

# دَعْوَةُ الْحَقِّ

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية  
والشؤون الثقافية والفكرية

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية  
الرباط - المملكة المغربية



العدد 3  
السنة 21





## هذا العدد

يسجل هذا العدد حلكتين تاريخيتين عاشهما المغرب خلال الفترة الاخيرة : الشفاء اكاديمية المملكة المغربية ، وتنظيم ندوة الامام مالك بن انس ، وكلاهما وقع في فاس مهد الحضارة ، ومنشأ المدينة ، ومنطلق الفتوحات الجهادية والفكرية في المغرب والشرق .

والحدثان لهما من الدلالات ما يرفي بهما الى مستوى التطورات الفاعلة في الحضارة البشرية ، لان الاكاديمية مشروع انساني مشترك ، تلتقي فيه خلاصة الفكر العالمي ، في وقت يحتدم الصراع بين الاتجاهات والمذاهب الفكرية على نحو يهدد عطاء الاجيال المتعددة وتناج العصور الطويلة من الخلق والابداع . والندوة انما هي خطوة أولى الى بلورة الدراسات الاسلامية ، وتمحيص البحوث الفقهية ، وترسيخ الاتجاهات العلمية نحو كل ما فيه سمو ديننا ، ورفعة امتنا وعزة اوطاننا .

وحينما يجلس رائد الفضاء ، مع محدث فقيه ، الى متفرج ديپلوماسي ، بجانب فيلسوف ، الى شاعر ، ولغوي ، ورجل القانون ، وعالم قزيباء ، تحت قبة واحدة ، في جو يعبق بأريج التاريخ ، بجوار القرويين اقدم جامعة في العالم ، يتصنون جميعهم ، وكان على رؤوسهم الطير ، الى رجل دولة له وزنه الدولي ، وصيته الاسمي ، يجمع بين العلم والخبرة والدراية ، وبين الحكمة والتجربة وطول الممارسة ، وبين رئاسة الدولة وبين امانة المؤمنين . تتضح امامنا الصورة الحقيقية لهذا العمل الانساني الكبير .

وحينما يقف علماء افريقيا في ندوة الامام مالك يعلمون على رؤوس الملا انتماءهم الفكري والحضاري الى المغرب ، ويؤكدون ان اسلامهم انما جاءهم من ناس ومراكز ، تكون اهمية الندوة قد تجلت في جمع شعلة علماء الامة ، وحثهم على النظر في امور دينهم وديارهم بعقول متفتحة ، وفلوب مؤمنة باحقية هذا الدين لسيادة العالم .

هي ليست تغطية صحافية بالمعنى السائر ، فهذا دور الصحافة اليومية ، ولكنها محاولة ، نحسب انها جادة ، لرصد اهم ملامح الحدثين البارزين على الصعيد الفكري ، اردنا بها تسجيل مرحلة متقدمة من مراحل تطورها المطرد نحو المزيد من الشموخ والعلو في الارض بالحق .

عبد القادر الإدريسي

الثنى : 5 دراهم

## بيانات إدارية :



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية  
والشؤون الثقافية والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية  
الرباط - المملكة المغربية

• تيمت المقالات الى العنوان التالي :

مجلة «دعوة الحق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط -

المغرب : الهاتف : 03 - 627 و 04 - 627

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل ، و 67 درهماً للخارج . والشريمى 100 درهم فأكثر

• السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة

• تدفع قيمة الاشتراك في حساب .

مجلة «دعوة الحق» رقم الحساب البريدي

485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte cheque postal 485 - 55  
à Rabat

أو تيمت رأياً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• لا تلتنزم المجلة ببرد المقالات التي لم تنشر .

رجب 1400

يونيو 1980

العدد 3

السنة 21



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الافتتاحية :

# أُصَالَتُنِي فِي الْفِكْرِ وَعَرِاقَتُنِي فِي الْحَضَرَةِ

●● ليست الأصالة تتعلق الغبي بالماضي على علاته ، وإنما هي القدرة الذكية على استثمار التاريخ واستنباط الدروس والمبر منه ، والنظر برؤية معاصرة الى التراث ، لا للاخذ به دون رؤية ووعي ، ولكن لاستلهامه ، والاقتباس منه ، واستيعاب مضامينه الغنية بالعطاء ، الزاخرة بالثراء ، بعقل وفطنة وتبصر .

وحينما يتعلق الامر بأصالة الشعوب والدول ، فليس المراد التنقيب - وإن اصطبغ بالصبغة الأكاديمية - عن مظاهر الحياة اليومية في انحرافات واسقاطاتها ومبازلها . فهذا مفهوم قاصر للأصالة الشعبية ، وإنما القصد من ذلك - احتكاما الى التعريف العلمي والتحديد الموضوعي لهذا الاصطلاح - البحث عن الجذور الحضارية ، والاصول الفكرية ، وأسباب البقاء والاستمرار ، وعوامل الصمود والتجدي التي ضمنت الاشعاع ، وعمقت التأثير ، وحفظت للشعب هويته الخاصة ، وصانته كيانه المادي والمعنوي على مدى الاحقاب .

ومن هذا المنظور ، فإن أصالة المغرب ليست فلكلورا وآثارا معمارية فحسب ، وليست عادات وتقاليد وأعرافا وطقوسا فقط ، وليست أنماطا من السلوك الشعبي والممارسة اليومية لأشكال الحياة في تدفقها وزخمها وتواترها ، ولكن أصالة المغرب دين ولفة ، عقيدة ولسان ، شعور وفكر ، احساس ومبدأ ، قلب وعقل ، بها أمتزجت ، وفيها انصهرت ، وعلى أساسها قامت ، ومن قاعدتها انطلقت ، فاشعت الخير والمحبة والإيمان ، وتدفقت عطاء موصولا ، والهاما مستمدا ، وتأثيرا مستمرا ، فتخطت الحدود ، وبلغت آفاقا واسعة في افريقيا وأوروبا وجزر البحر الأبيض المتوسط .



●● لقد عرفت بعض مناطق المغرب قبل الاسلام الديانتين اليهودية والمسيحية ، وسادت لفترات طويلة بعض اللغات القديمة ، وتعاقت على البلاد اجناس متعددة حملت معها مدينتها وحضاراتها وثقافتها ، فما اثر ذلك كله التأثير العميق الذي يلقي تجاوبا وتفاهما واستجابة من الشعب ، وما خلف الا اصدااء واهية ، وآثارا فنية ، ورسوما تشهد على المرور العابر والدور الفاتر .

● بيد ان للاسلام قصة وملحمة في هذه البلاد ، ما ان اقبل فانحوه الاول حتى تشربت به نفوس المغاربة ، فخالط دماءهم ، فرضوا به دينا ، ونشبتوا به عقيدة ، واقبلوا عليه يهودون عنه ، ويحمونه بالمهج والارواح ، فكان ان استقر الدين الجديد في الارض والعقل والوجدان ، واضحي خاصية من خصائص هذا الشعب ، به علا شأنه ، وارتفع مقامه ، وذاع صيته ، وفتح الامصار ، واعتق الإنسان ، واشاد الحضارة ، فلم يعرف الا باسلامه ، ولم يذكر له التاريخ مكرمة الا في ظل الاسلام ، فصار المغرب مسلما ، والاسلام مغربا ، وبذلك تحددت السمات الرئيسية لاصالة المغرب ، وازسيت القواعد الاولى لحضارة هذه البلاد .

وفد يورد البعض ، في سياق هذا الحديث ، ما سجله التاريخ في عهد الفتح الاسلامي الاول للمغرب ، من ردة اهل ، وعصيانهم ، وتمردهم على الفاتحين العرب ، في حالات متكررة . غير ان التمهيص التاريخي النزيه ، والركون الى الحجج القاطعة ، والدلائل الدامغة ، يثبت لنا حقيقة جديرة بالتنويه والتنبيه . ذلك ان سكان المغرب ، الذين تجاوبوا مع عقيدة التوحيد ولغة الضاد ، لاول عهدهم بهما ، لم يرضوا من قادة الفتح وجندهم تصرفات اتسمت بالشدة والغلظة ، والكبر والازدراء ، فانار ذلك حفيظة الاهالي ، وايقظ فيهم انفتهم واباءهم والشعور بالعزة ، فكان منهم ما نقراه في كتب التاريخ من رد فعل عنيف ، لم يكن موجها - اساسا - ضد العقيدة الجديدة ، فهذه قد استقرت وانتهى امرها الى رسوخ على قصر العهد ، ولكنه كان رفضا للعنوان والعنف واستغلال النفوذ ، حتى وان كان صادرا من حملة الرسالة ودعاة الحق . وهذه ميزة فريدة ، وشرف وفضل يحسبان لهذا الشعب ، لانه فرق بين الدين واهله ، وبين اللغة واصحابها ، فآمن بالدين عن اقتناع ورضي وارتياح ، واخذ باللغة لسانا له ، ورفض الظلم وابى الضيم . وتلك طبيعة المغاربة في كل وقت وحين .

● واستمرت الحال تتراوح بين اخذ ورد ، ومد وجزر ، الى ان كان الفتح الاكبر في النصف الاخير من القرن الثاني للهجرة على يد ادريس بن عبد الله رضي الله عنهما .

وفي هذه الفترة اصطبغ المغرب بالصبغة الاسلامية الشاملة التي محت كل صبغة ، ولم تبق الا على الخصال الكريمة ، والمزايا الشريفة ، التي تعود الى الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها جميعا .



ومضت اثنا عشر قرنا ، والمغاربة على دين واحد ، ولغة واحدة .  
ومرت مراحل تعرضت فيها الوحدة المذهبية لهزات عنيفة ، بحكم عوامل  
تاريخية ، وتطورات فكرية سادت العالم الاسلامي من اقاصه الى اقاصه في  
القرون الاولى . ولم تنل تلك الاحداث من اصرار المغرب على التمسك  
بالوحدة في مظاهرها المتعددة ، وانكشفت الفجوة ، وبقي هذا الشعب  
موحدا دينيا ومذهبا وعقيدة ولسانا ونظاما الى يوم الناس هذا . ولم  
يعرف المغاربة قط نزعة عرقية جاهلية ، او دعوة قبلية بغیضة ، او نزوة  
عنصرية كريمة ، او ميل الى اعتماد الاصل التاريخي اساسا في التفرقة  
والتمزق والتشتت ، الا في عهد الاستعمار ، حينما تفتق مكره الخبيث  
عن حيلة عدوانية اراد بها ان يهز الكيان الوطني هزا عنيفا ، لتداعى  
اركانه ، ويتساقط بنيانه . ونستطيع ان نؤكد ان تاريخ المغرب منذ الفتح  
المبكر الى سنة 1930 لم يعرف اتجاهها من هذا القبيل او محاولة من هذا  
الصنف . بل انه قامت في المغرب دول من عنصر غير عربي في ازمته  
المتأخرة ، وحكمت البلاد ، ودان لها الجميع بالسمع والطاعة ، وساد  
الاستقرار والاطمئنان ، ولم يجد احد غضاضة في ذلك . والاهم من هذا  
ان هذه الدول لم يصدر منها قط ما يؤكد تمسكها بالجاهلية الاولى ،  
وانحرافها عن الدعوة الاسلامية الخالصة التي تجعل الناس سواسية  
كاسنان المشط .

#### تلك قصة اصالة المغرب ..

● ● ويقتضيها الانصاف - وقد آلينا على انفسنا الاخذ بالمنهج العلمي  
في استقراء وقائع التاريخ والتعامل مع الماضي - ان نؤكد على الاصل  
المشترك للعرب والبربر ، استنادا الى مئات الدراسات التاريخية  
المعمقة لعلماء ومفكرين ومؤرخين من ابن خلدون الى محمود شيت خطاب ،  
وعلى هذا الاساس ، فان القول بثقافة المغرب الاصلية ، او بتعبير ادق  
اصالة اخوال ادريس بن ادريس ، لا معنى علمي له ، الا بالرجوع الى  
الاصول المشتركة للمجتمع المغربي ، هذا في حالة القبول بالجدل الذي  
لا يغير من الحقيقة التاريخية شيئا .

ولعلنا واضحون الآن . لان الدعوة الى اصالة الشعب المغربي في  
مفاهيمها العرقية التي ابطلها الاسلام لم تنشأ الا في حوض المختل . وله  
في بلاده اليوم معاهد ومراكز تختص بنوع من الدراسات ظاهرها العلم  
والادب والثقافة . ولكنها في الحقيقة تخدم اهداف استعمارية ان الاوان  
لفضحها .

ولقد فضحها علماءنا ومفكرونا ورواد حركتنا الوطنية منذ نصف  
قرن .

اننا جميعا نستظل بظل الاسلام ، ونقف تحت مظلته . فهي  
وحدها الواقية . وشعبنا مسلم ، لان هذا قدره ، وتلك هويته .  
والفضحي لغة القرهآن ، ومن ثم فهي لساننا جميعا ، وهي الاصرة القوية

والعروة الوثقى . واي مساس بالغصحي انما هو ليل مباشر من الاسلام ،  
لان هذه من تلك .

ولعله من لطف الله بهذه الامة ، ان جعل على رأسها أسرة شريفة من  
اهل البيت ، ظلت أربعة قرون تعيش مع البربر في الصحراء الشرقية ،  
الى أن تولت عرش المغرب ، فانضوت تحت لوائها كل عناصر الامة ،  
وانتظم في مسيرة العرش المغاربة اجمعون . وبذلك اكتملت ضمانات  
الاستمرار :

- اسلام .
- عروبة .
- عرش مغربي عربي اسلامي .
- وحدة مغربية عربية اسلامية .

● واذا كنا نأسف لشيء فاننا نأسف لما تضطربنا اليه تحديات  
المرحلة الراهنة من إعادة القول حول مسلمة وبنية آمن بها شعبنا  
واستوعبها ، وكانت منطلق الحركة الوطنية المغربية ، في الثلاثينيات .

وان مما يشير الانتباه ويجدر بنا ان نسجله بالمناسبة ، ان المغرب  
يشهد حركة فكرية عميقة الجذور على رأس الذكرى الخمسين لقيام الحركة  
الوطنية . وكان الاقدار شاءت ان تقترن هذه الذكرى المجيدة بمراحل  
تطور ، هي بكل المقاييس ، قمة في النضج والاكتمال والاستواء .

ولنا ان نرصد مظاهر هذه الحركة الواعدة ونجتهد ان نحصرها في  
المعالم التالية :

- اولا : استكمال الوحدة الترابية باسترجاع اقليم وادي الذهب .
  - ثانيا : انشاء المجلس العلمي الاعلى برئاسة جلالة الملك .
  - ثالثا : تأسيس أكاديمية المملكة المغربية التي تضم اعلاما شامخة من  
مختلف أنحاء العالم .
  - رابعا : تنظيم ندوة الامام مالك بن أنس .
  - خامسا : تعديل فصول من دستور المملكة يتعلق أولها بتنظيم  
مقتضيات مجلس الوصاية على العرش .
- وتجري هذه التحولات الهامة في الوقت الذي تستعيت القوات  
المسلحة الملكية العتيدة في مسح وتطهير الصحراء المغربية من جيوب



المرتزقة المارقين عملاء الاتحاد والتبعية الذليلة . وهي حالة ، لو توفرت  
ليد من بلدان العالم الثالث ، لكان ذلك داعيا الى ايقاف كل نشاط فكري  
وتعطيل العمل بالحريات العامة ، واطلاق الاحكام العرفية ، وممارسة القهر  
بشتى أشكاله ضد ارادة الانسان بدعوى المحافظة على صلابة الجبهة  
الداخلية .

غير ان صلابة جبهات المغرب جميعها تستمد من اصالة فكره  
وعراقة حضارته ، مما يوفر له القدرة على الصمود في جوانبه العسكرية  
والفكرية والدستورية .

●● وبهذا الرصيد الحضاري الضخم ، وبهذه الوحدة الدينية  
واللغوية والسلالية المتراصة ، يستشرف المغرب القرن الخامس عشر  
الهجري ويتطلع الى مستقبل يعز به الاسلام ، ويسود فيه السلام ،  
ويعم معه الوئام ، بين الامة الاسلامية والمجموعة الانسانية قاطبة .

وما كنا لنصل الى هذا المستوى من الرسوخ والثبات والصحة  
الدائمة ، لو لم تكن حصوننا آمنة مطمئة ، وصفوفنا موحدة متماسكة ،  
ولو لم تكن اصلتنا عربية اسلامية في مضمونها ومحتواها ، وفي اصولها  
وجذورها .

## دعوى الحق

خطاب جلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة الاستفتاء على مشروع  
تعديل الفصل 21 من دستور المملكة :

# تدعيم المؤسسات الدستورية بترشيح الديمقراطية وتعميق الشورى

وجه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يوم 13 ماي المنصرم خطابا ساميا الى شعبه الوفي طرح فيه حفظه الله موضوع الاستفتاء على تعديل الفصل الواحد والعشرين من دستور المملكة الذي ينظم مقتضيات مجلس الوصاية على العرش . وقد شرح جلالة العاهل الكريم في هذا الخطاب الاسباب الموضوعية التي دعت الى ان يتألف مجلس الوصاية من الرئيس الاول للمجلس الاعلى ورئيس مجلس النواب ورئيس المجلس العلمي العدوتين الى جانب عشر شخصيات يعينها الملك بمحض اختياره .

واوضح جلالة الملك الاغراض المتوخاة من هذا التعديل فاجزها كمايلي :

اولا : تجريد مؤسسة المجلس من الطابع الشخصي وطبعها بالطابع الموضوعي الخليق بان يكسبها الفاعلية القصوى .

ثانيا : جعلها في مأمن من الحوادث المحتملة باستمرار اذا ظلت مرتبطة بمصير شخص واحد بذاته معين تعيينا مسبقا .

ثالثا : توسيع نطاق الديمقراطية وذلك باختيار مواطن لرئاسة مجلس الوصاية .

رابعا : إبراز الصلات الوثيقة التي تربط الملكية كمؤسسة بسائر المجموعة الوطنية .

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي الهام :

التي نتحدث اليك فيها نارة بعد أخرى . وانما هو خطاب توجه الى جميع افرادك ، لانهم يؤلفون اسرتنا الكبيرة التي لا نرى ابرام امر ذي بال دون مشورتها واستطلاع رأيها ولأن موضوع الحديث اليك اليوم ، سيسرعي اهتمامك الكبير كما استرعى اهتمامنا البالغ لاتصاله المباشر باحكام ومقتضيات دستورية .

أحمد شؤحه والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

شعبي العزيز :

خطابنا اليك شعبي العزيز لا يتجه الى فئة منك دون سائر الفئات ، ولا يتناول شأنا من تلك الشؤون



### شعبي العزيز :

اتنا نريد من اسنادنا رئاسة مجلس الوصاية الى الرئيس الاول للمجلس الاعلى بدلا ، كما يقول الدستور الذي نريد تعديله في فصله ، بدلا من اقرب الاقرباء الى الملك من جهة الذكور واكبرهم سنا ، اتنا نريد أن نبلغ الاغراض التالية :

اولا : تجريد مؤسسة المجلس من الطابع الشخصي وطبعها على عكس ذلك بالطابع الموضوعي الخلق بأن يكسبها الفاعلية القصوى .

ثانيا : جعلها في مامن من الحوادث المحتملة باستمرار ، اذا ظلت مرتبطة بمصير شخص واحد بذاته معين تعيينا مسبقا .

ثالثا : توسيع نطاق الديمقراطية وكيف ؟ وذلك باختيار مواطن لرئاسة مجلس الوصاية يمارس احدى المهام الكبرى للدولة ولا يخضع في هذا الاختيار لاي اعتبار يمت بصلة الى انتماءاته الاجتماعية او العائلية .

رابعا : وبصورة اقوى ، ابراز الصلات الوثيقة التي تربط الملكية كمؤسسة بسائر المجموعة الوطنية .

وهنا يوجب علينا الانصاف : اتنا قد تناقشنا في هذا الموضوع مع اخينا صاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله وبالاخص حينما اجريت له عملية . وكل منا وضع اصبعه على نقطة الضعف في الدستور القديم .

فاني اريد بهذه الكلمة ان ازيل من الطريق كل تعليق خاطيء ، او كل حديث مزيف . فلانا ينتمي مدرسة المؤدب الاعلى والاسمى محمد الخامس طيب الله ثراه ، ولانا تعلمنا منه ان ننظر الى المستقبل بتجرد ، وان نتحمل التضحية في كل وقت وحين .

### شعبي العزيز :

هذا هو التعديل الذي نريد ادخاله على الفصل الواحد والعشرين من الدستور . فاذا وافقت عليه

لقد اطلنا النظر في كل مادة من مواد دستورنا الحالي قبل عرضه عليك وموافقتك على مضمونه ومحتواه ، ثم اخذنا بعد ذلك نراقب سير المؤسسات الدستورية ونوالي العناية بمختلف اطوار الديمقراطية وخطاها ، في كل مستوى وعلى كل صعيد ، وطفقنا الى هذا نعمن النظر في فصول تاريخنا المديد ونكثر التصفح والمطالعة لمتعدد احوالنا الجارية في مجاري الاحقاب والعصور . وكان من انار استرسال التامل واستعراض الاحداث والذباب على رعاية شؤونك ان استخلصنا العبر ، وانهينا الى الاقتناع بان صيانة مصالح الوطن العليا ، رهينة بمراعاة ما يقوم عليه تاريخنا من اصول وقواعد ثابتة .

وهكذا استقر رأينا على ان نتناول في مرحلة اولى فصلا من فصول دستورنا بتعديل لا يخلو من مرونة ، ولا يتعد بمحتواه الجديد عن تلك القواعد والاصول .

ويتعلق الامر بالفصل الواحد والعشرين الذي يحدد كما تعلمون بلوغ الملك سن الرشد في نهاية السنة الثامنة عشرة ، ويخول لمجلس وصاية قبل بلوغ الملك هذا السن ممارسة اختصاصات العرش وحقوقه الدستورية ، وينص علاوه على ذلك على رئاسة مجلس الوصاية وعدد اعضاء هذا المجلس .

اما المراجعة التي نريدها اعتبارا لما سلف فانها ترمي :

اولا : الى ان الملك يبلغ سن الرشد في نهاية السنة السادسة عشرة من عمره .

ثانيا : الى ان مجلس الوصاية يتألف من الرئيس الاول للمجلس الاعلى ، ورئيس مجلس النواب ، ورئيس المجلس العلمي لمدينتي الرباط وسلا ، وعشر شخصيات يعينهم الملك بمحض اختياره .

ثالثا : الى ان مجلس الوصاية يقتصر عند بلوغ الملك سن الرشد ، اي السادسة عشرة من عمره ، على العمل كهيئة استشارية بجانب الملك الى ان يدرك تمام الستة العشرين من عمره .

رابعا : الى ان يزاول الرئيس الاول للمجلس الاعلى رئاسة مجلس الوصاية .



من طريق الاستفتاء عرضنا عليك في مرحلة ثانية ما نرى ضرورة مراجعته .

ان دستور المملكة هو القانون الاسمي للدولة ، وهو الاطار الذي لا يجوز أن تخرج عن نطاقه القوانين التي تعبر عن ارادة الامة ، وتنظم علاقات الدولة بالافراد وعلاقات الافراد بعضهم ببعض ، ولكن الدستور ، وان اُسم بهذه السمة ، وامتاز بهذه الميزة جار على سنة النشوء والارتقاء ، قابل للتبديل والتغيير ، متى ظهرت الحاجة الماسة الى تعديله وتطويره ، ودعت المصلحة الى جعله أكثر ملاءمة لما لنا من اصول تاريخية قارة ، او لما يطرا على الاحوال من تحول ، ويجد من جديد في المجتمع ، بالنظر اليه وحده ، او باعتبار صلاته بغيره من المجتمعات .

وعندك بنا شعبي العزيز ، الا نسارع الى اتخاذ المبادرات ، ولا نبادر الى انفاذ التوجيهات الا بعد استعمال الروية والتفكير ، والمفاضلة بين قرار وقرار .

ولئن عرضنا عليك فيما سلف . ما نبتغيه في هذه المرحلة من مراجعة ، فما ذلك الا لانه صرح لدينا ، بعد النظر الفاحص المستقري ان التعديل الذي تقصد اليه ، مرتبط اوثق ارتباط ، بالرعاية التي نسال الله ان يوفقنا بعونه لاضفائها شاملة متصلة ، على كل شأن من شؤون حياتك .

ولنا اليقين الراسخ ، بان ارادتنا في مجال المراجعة ، وفي غيره من المجالات ، سيكتب الله لها ان تلتقي دائما بارادتك .

فالمنتظر منك ان تصوت بنعم وباقتناع وبيمان لان هذه المراجعة ليست مراجعة دستورية فحسب ولكنها هي في الحقيقة دليل آخر على ان ما يربط بينك وبيننا ليس هو الا وشائج قري ، تلك الوشائج وتلك الصلات التي تجمع بين الاب واسرته الكبرى .

والله ولي التوفيق والتسديد ، وهو المستعان على ما نريد وتريد .

والسلام عليكم ورحمة الله .



جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يفتتح أكاديمية المملكة المغربية  
ويحدد مقاصدها:

## حمل الأمانة الربانية الملقاة على عاتق الإنسان والإسهام في التقارب بين الشعوب

افتتحت يوم 21 أبريل لماضي بمدينة فاس اشغال الدورة التأسيسية  
لأكاديمية المملكة المغربية . وقد ألقى جلالة الملك الحسن الثاني بالاسمبة  
كلمة سامية حدد فيها أهداف هذه المؤسسة العلمية العليا وأوضح المرامي  
والمقاصد المتوخاة منها وذلك على ضوء أوضاع عالمنا المعاصر .

وأكد جلالة العاهل الكريم بأن الأمل معقود بأكاديمية المملكة المغربية  
الجامعة لالوان من التفكير وأصناف من الاحساس وأفانين من التخصص  
والعرفان أن تطوي المسافات وتوثق أوامر الاتصال والتعارف بين مفكرين  
وحماة للفكر يتمسكون بقيم ووحية واحدة ، وأن اختلفت العقائد والأديان .  
ويهتمون اهتماما مشتركا بكل ما يستحث خطى الحضارة ، ويؤمنون بالحسبر  
الآمن المشرق للإنسان ) .

وقد عبر جلالة الملك عن روح العبقرية المغربية وترجم مشاعر  
شعبنا المتطلع الى استئناف دورة حضارة جديدة يشع فيها العلم  
والعرفان ويزدهر الفكر والثقافة ويسود الأمن والسلام

وقد اعتبرت هذه المبادرة الملكية السامية ثيلًا جديدًا على  
الاستقرار والرسوخ اللذين يتمتع بهما المغرب رغم ضراوة المعركة التي  
فرضت عليه للدفاع عن وحدته الترابية . وذلك انطلاقًا من الفهم الموضوعي  
لمقتضيات المرحلة التاريخية التي تفرض على الدول ذات الأصله  
والعراقة الحضارية أن تضطلع بمسؤولياتها في اشاعة الأمن العقلي والسلام  
الثقافي والأزدهار الحضاري .

ومن أجل هذا كان إنشاء أكاديمية المملكة المغربية عملا في مستوى  
الدور العلمي الهائل الذي قام به المغرب طيلة أربعة عشر قرنا . وبهذا  
الاعتبار فهو استمرار مكثف له جذته وجديته وأهميته القصوى .

( دعوة الحق )





حضرات الاعضاء الاجلة المحترمين :

لقد انطلقنا في تحديد غايات أكاديميتنا ،  
وتشكيلها على نحو غير مرسوم ، من منطلق موقع  
المغرب الجغرافي وهو موقع أراد الله ان يكون في  
مفترق حارات فرس وجهه المغرب التاريخية ،  
وفرض على بلادنا ان تقوم باستمرار بدور أداة للربط  
والاتصال والتأليف بين الشعوب والحضارات .

واذا كنا قد اترنا ان يلتقي في رحاب أكاديميتنا  
أقطاب يردون من جهات متباينة فان مرد ذلك الى ان  
جهود بلادنا وحدها لا تؤدي الى اغراضنا المنشودة  
ولا تحقق مطامحنا المقصودة ولذا فقد التفت علينا  
الرغبة في مد مؤسستنا بإبعاد تجعل منها مسترادا  
فسيحا تتضافر في رحابه جهود سامية لا للتباحث  
والتداول في شؤون فكرية وعلمية فحسب ، ولكن  
لايجاد ذلك التقارب وفلك التفاهم الخلقين بالاتساع  
والامتداد .

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله  
وآله وصحبه

أصحاب الفخامة ، أصحاب السعادة ، أصحاب  
المعالي ، حضرات السادة العلماء الاعلام .

حضرات السادة الافاضل .

يمتلئ قلبنا في هذه اللحظة المشهودة من  
تاريخنا ، بشعور فياض ، تلتقي فيه المسرة والاعتزاز .  
ذلك ، ان الله يحقق لنا في هذه الآونة السعيدة  
اليمونة امية غالية من امانينا وحلمنا عزيزا من  
احلامنا ، فظالما تطلعت نفسنا الى يوم يعلو فيه فوق  
ارضنا ، ببيان يكتسب سموحه ممن يجتمع في  
رحابه من اقطاب الفكر ، واساطين المعرفة ، وأئمة  
البيان ، وبناة الحضارة .

وها نحن اليوم في هذه الجلسة الافتتاحية ،  
تبارك انطلاق اعمال أكاديمية المملكة المغربية مؤلمين  
من وراء هذه الاعمال الاسهام المنشود في تألق الفكر  
وازدهار العرفان ، والتقارب بين الافراد والشعوب ،  
والتفاهم المفضي الى سعادة الانسان .

وقد كان حرصنا شديدا على ان تحتضن  
الأكاديمية رجالا يفدون من آفاق متباينة ، وينتمون  
الى اجناس مختلفة ، وينتسبون الى ثقافات  
وحضارات متغايرة ، ويمتازون كلهم بالصيت البعيد ،  
والشهرة الواسعة ، والتجربة الوافرة والحكمة البالغة .

ومن تباشير اليمن ان يسر الله ما اليه قصدنا ،  
وعليه حرصنا ، فلبى دعوة الانتساب الى أكاديميتنا  
نخبة من قادة الفكر وصفوة من جهاينة العلماء واكابر  
الادباء والشعراء ، فالى هؤلاء الاعضاء الاجلاء نوجه  
خالص الشكر وجزيله وبهم جميعا نرحب في بلدكم  
هذا صادق الترحيب وجميله .

فالامل معقود باكاديمية الملكة المغربية الجامعة  
لالوان من التفكير واصناف من الاحساس وافانين من  
التخصص والعرفان أن تطوي المسافات وتوثق  
اواصر الاتصال والتعارف بين مفكرين وحماة للفكر  
يتمسكون بقيم روحية واحدة ، وأن اختلقت العقائد  
والاديان ويهتمون اهتماما مشتركا بكل ما يستحدث  
خطى الحضارة ، ويؤمن المصير الامن المشرق  
للانسان .

ان الظروف التي تجنازها حياة البشر ، ظروف  
عسيرة عصيبة ، بما يتلاحق من مشاكل ويتفجر من  
ازمات ويتجهم الخلق من سحاب ويتناول للمادة من  
نفوذ ، ويتساءل من جاه للروح وسلطان ، ويشيع  
في النفوس من قلق وخوف ، ويتوالى على الالسننة  
والقلوب من اسئلة لا طرحها التفاؤل والاستبشار ،  
وما اشد حاجة الانسان والظروف التي تحيط بحياته  
لا تنبت الاطمئنان ولا تزهو بالامال الى حظ كبير من  
الغنى ونصيب وفير من التفكير مما يعيد البشاشة  
ويفيض الانشراح . ويرد عازب الامل .

فاذا كتب الله لهذه الاكاديمية - والظن بالله  
جميل - ان تعين على حث ركب الحضارة ، ونشر  
الطمائنة . وبعث الامل . فان الاعضاء المتأخرين في  
هذه المؤسسة ارباب الفكر السامي واصحاب القلب  
الطافح بالخير سينيرون في هذا الزمن المتبدل  
المتحول ، بسبيل ولوج العهد الجديد ويساعدون على  
حمل الامانة الربانية الملقاة على عاتق الانسان .

ولنا - حضرات الاعضاء الاجلة المحترمين -  
ثابت اليقين ورأسخه بأن اهدافا كهاته الاهداف  
وعزائم كعزائمكم الماثورة ستكون اعظم ضمان لاداء  
الرسالة الموكولة الى اكااديمية الملكة المغربية .

وفيقكم الله ويسر لكم مسالك الخير وسدد  
خطاكم على محجة العمل الصالح . واناب جهودكم  
بالنجاح الذي لا يتخلف ولا يغيب .

واليكم منا تحية اعزاز وتبجيل واكبار .  
والسلام عليكم ورحمة الله .



# كلمة الأستاذ أحمد الصبي بنهيمية أمين السر الدائم للأكاديمية الملكية المغربية بين يدي صاحب الجلالة

— مولاي —

ان هذه المبادرة الحضارية الهائلة التي أقدمتم جلالكم عليها ، ليست وليدة فكرة جديدة ، فهي — في أساسها — ومنطلقتها الأول — رغبة سامية شغلت بال جلالكم زمنا طويلا ، وجعلت همّتكم العالية تنصرف الى التمهيد لها بإنشاء مؤسسات علمية عليا ، وخلق مجالات واسعة لمبحث العلمي ، وتوفير فرص متعددة للدارسين والباحثين وطلاب المعرفة . ولعل التوسع في أحداث الجامعات والمراكز التعليمية المختلفة وتكوين المجلس العلمي تحت رئاسة جلالكم . وتأسيس دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا ، ليس الا مظهرا للعناية الملكية بالفكر العمي في طولانته الشاملة سعي وراء الرفع من مستوى المواطنين تعليميا وثقافيا حتى تنأهل الاطر في مجال العطاء الفكري ، علاوة على ان ذلك يجسم فضائل العبقرية المغربية ، ويبرز خصائص الحضارة العربية والإسلامية . وبغض استمرار التواصل الحضاري الذي طبع تاريخ المغرب بمسح التمييز منذ انشأه لعضور .

ويقتضينا الانصاف ان نؤكد بان انشاء الاكاديمية ليس عملا متفردا تقومون به يا مولاي ، ولكنه حلقة في سلسلة الاعمال الفكرية والانسانية التي انجزتموها

— الله الرحمن الرحيم —

والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

مولاي صاحب الجلالة والمهابة .

صاحب الفخامة :

أصحاب السعادة :

زملائي الاعضاء :

لقد حظيت صباح اليوم في الجلسة الافتتاحية لأكاديمية المملكة المغربية بشرف تعييني أمين السر الدائم لهذه المؤسسة العليا . وانه — يا مولاي — لفخر لبليدي ، ان يكون خديم امتابكم الشريفة وأحد المواطنين المقاربة ، قد نال هذه العظوة من صفوة رجال العلم والمعرفة والثقافة والسمعة الدولية الرفيعة .

ولقد سجلت امام زملائي الكرام اعضاء الاكاديمية — بالصدق الكامل — احساسا ملك على أقطار نفسي . فلقد عبرت لهم بأنني حينما اتطلع الى وجوههم الكريمة التي تمثل ارفع مستويات الفكر ، وأرفع درجات العلم ، وانصع الصفحات في سجل الخدمات الانسانية المتعددة الوجوه ، فانه يترسخ لدى اعتقاد جازم بأنني كللت بمأمورية مستغل عندي ما حبيب موضع زهو واعتزاز .

العلمي ، كل هذا على أساس من التقدير المتبادل بين الإنسان ولحيه ، لمواجهة حالة الانهيار الحضاري التي توشك أن تخلق راحة العقل والحكماء على السواء .

ولست في حاجة الى القول بأن الجهود التي تميزت فيها الإنسانية بالابداع والخلق والمطاء وتوسيع الاسس الاولى لعصور النهضة بالنسبة لمختلف الحضارات ، إنما تميزت بذلك بحكم ما كان يسودها من فضائل الحق والعدل والحرية والاحياء والسلام .

لذلك ، فإن استئناف الاشعاع الحضاري ، واعادة سجايا الخير الى سابق عهدها الزاهرة ، مرتبطان أساسا بمدى الجهد الذي تبذره في سبيل الرفع من قيمه الفكر . والسمو به الى مدارج الرمي . حتى تتلاشى الفوارق المصطنعة ، ويعلو شأن الإنسان من جديد ليخطى السيل للنامح .

ولامراء في أنه كلما سما العقل البشري وتحرر من رواسب الانتابة ، كلما اقترب من الصفاء الروحي ، وعمل على صون كرامة الإنسان بغض النظر عن معتقده وجنسه وانتمائه .

وتلك هي رسالة الاديان ، وهدف كل دعوة خيرة تنشئ سلامة البشرية من انقلاشي والذوبان والانهيار .

وغني عن التذكير أن الحضارة العالمية المعاصرة ، هي ميراث مشترك بين جميع الامم والشعوب . فهذا هو شأن الحضارات جميعها ، تتراوح بين المد والجزر ، وتنوع بالتمثل والتفاعل ، وتزدهر بالاحد والمطاء . الامر الذي يبلوره لقاء الحضارة الاسلامية بالحضارات الاخرى ، والذي ما يزال يعبرر لأن مودحا صليحا على الاحياء .

وتوكيدا لما ذكر ، وانباتا لحسن النوايا ونيل الثمانيات ، واسهاما من المملكة المغربية في تحمل قسطها من المسؤولية الدولية للحفاظ على كرامة الفكر والمفكرين ، كانت مبادرتكم يا صاحب الجلالة بانشاء هذه الاكاديمية ، التي تمثل بأعضائها التابعين

سواء على الساحة الوطنية أو على الصعيد الدولي ، مثبتين بها صواب اختياراتكم الرشيدة ، ومرسخين صلاحية فكركم الباني الذي يحكم مسيرتنا في مدارج التقدم والرفعي .

ولقد أيتم يا صاحب الجلالة بانشاء اكاديمية المملكة المغربية ، إلا أن تصلوا الحاضر بالماضي بأقوى سبلات الفكر والمعرفة والثقافة ، وتزيدوا من الاشعاع العقلي في ميادين البحث والدراسة والتأليف ، وتخلقوا وسائل جديدة لاتراء الحياة العلمية في مختلف الفروع المتصلة بها ، وذلك بالنظر الى ما يمكن أن يؤديه المغرب من جلائل الاعمال في سبيل الدفاع عن القيم الروحية .

وان عمل جلالتم يا مولاي العنقل اليوم في تأسيس هذه الاكاديمية الرفيعة المستوى ، إنما هو تجسيد لرؤيتكم الحسيفة الى عالمنا المعاصر ، تلك الرؤية الواضحة التي لا يحصرها قيود العقيدة أو الجنس أو الحدود الجغرافية ، والتي تأخذ في الاعتبار طبيعة هذا العام ، الذي وان كان يغلب عليه التضراب الشكلي في الكثير من العلاقات الدولية والانسانية ، فإنه في الحقيقة عالم متداخل محكوم عليه بالتجانس والتعايش .

واستلهاما لهذه المعاني ، فقد جعل من أهداف الاكاديمية ، الاسهام بحظ موفور في الحفاظ على المثل والمبادئ الانسانية العليا ، وذلك عن طريق انعاش العقل ، وتوير الوجدان ، وتحديث اساليب العمل الثقافي ، تطلعا الى الافاق التي يمتزج فيها الايمان بالمحبة والسلام والاحياء ، وانقاذا لبني الانسان مما بات يهدده من اخطار حضارية ، ناتجة عن التنكر للقيم ، والاقبل على التعصب ، والاعراض عن الايمان ، والجنوح الى التبغض ، وممارسة العنصرية ، مما اثر اسوا اثر على العلاقات بين الشعوب من جهة والعلاقات بين الدول من جهة أخرى .

واذا كانت البشرية قد امتحنت في أعز مقوماتها بما تم التلميح اليه ، فإن من صميم المقاصد التي توحىتموها يا مولاي من أحداث الاكاديمية ، احياء الحوافز الروحية ، والمخيف من ضغوط المادة ، واشاعة الامن العقلي والتعايش الثقافي والتبادل



سائر الحضارات القديمة والحديثة ، والتي تقوم  
دليلاً على صدق عزم جلالته في إثراء الحوار بما  
يخدم قضايا الإنسان أولاً وقبل كل شيء .

ومن بين الأعمال والمواقف النبيلة التي  
اضطلعتم بها يا مولاي من أجل خدمة هذه الغايات  
الشريفة ، زيارتكم الأخيرة لحضرة الفاتيكاني ، تلك  
الزيارة التي كانت سعيًا خالصًا لفائدة القدس  
الشريف ، وجهودًا صادقة في سبيل بلورة مفهوم العمل  
الدولي المشترك الرامي إلى تحرير مدينة الأديان  
كلها .

ولود أن أقول بالمناسبة ، إن لعاء الفاتيكاني لم  
يتم فقط بقصد تعزيز المرامي الدبلوماسية التي  
يضعها لها العالم الإسلامي في هذا الصدد ، وإنما  
كان لقاء يهدف إلى إشراك جميع الفسوف المؤسسة  
والأرادات الطيبة ، لتجسيم التصاميم الدينية بمدينة  
القدس ، واعطاء هذه المدينة المقدسة صبغة  
نموذجية لما يمكن أن يلعبه الفكر الرصين والحوار  
المتكافئ والإيمان الناضج من دور في إقرار السلام  
واسعد البشرية .

وإن مدينة القدس باعتبارها مهد الديانات  
وأرض المقدسات منذ عشرات القرون ، محكوم عليها  
بأن تبقى على الدوام منطلقًا للاخاء والسلام والوثام ،  
وأي مساس بهذه الوضعية ستصبح معه المدينة  
المقدسة مصدرًا للتفرقة والتعزق والتشتت .

مولاي صاحب الجلالة والعهدة :  
أصحاب السعادة :  
زملائي الأعضاء :  
سيداتي سادتي :

إن تدشين أكاديمية المملكة المغربية اليوم ،  
ينطوي على كل المعاني النبيلة والتصورات الإيجابية  
والدلالات العميقة التي حاولت قدر الامكان التعبير  
عنها في هذه الكلمة . وفي ذلك ما فيه من رمز إلى  
إمكانية استئناف دورة حضارية وأعدة وفاعلة ، من  
شأنها أن تثري وجدان الإنسان ، وترد عنه خطر  
التطاول على ذاته وكرامته وحرية .

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم .  
« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا  
العلم درجات » والله بما تعملون خبير .  
( صدق الله العظيم )

وإن هذه الآية الكريمة لتعتبر تكليفًا إلهيًا لأهل  
الفكر والعلم في كل مكان ، من أجل النهوض بأعباء  
الإمامة المقدسة بما يرضي الله والضمير والإنسانية  
جمعاء . وأعضاء أكاديمية المملكة المغربية عازمون بكل  
تفان وإخلاص على القيام بهذه المهمة بالصورة  
الواقعية بالقصد والمتفقة مع أهداف ومرامي جلالته  
السامية في هذا العضمار .

والسلام عليكم ورحمة الله .

# كلمة الأستاذ عبد الله كنون باسم أعضاء أكاديمية المملكة المغربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مولاي صاحب الجلالة :

وتحتفلون في مواكبة بالذكرى التاسعة عشرة للعيد الوطني ، عيد جلوسكم على عرش اسلافكم المنعمين ، ثم تنتقلون لتعبد مراسيم الولاء الى مدينة الداخلة عاصمة اقليم وادي الذهب بصحرائنا المسترجعة ، فلم يكن من المستغرب اليوم ان تعودوا من رحلتكم الموفقة التي قعتم بها الى فرنسا وإلى الفاتيكان من اجل قضية القدس ، لافتتاح الاكاديمية الملكية التي تضيفونها الى مآثركم الخالدة .

والامر من الاهمية بمكان ، فلقد طابعا تشوفت نفوس اهل العلم والنخبة المثقفة بملكتمكم السعيدة . الى انشاء مؤسسة من قبيل ما يوجد في البلاد العربية الشقيقة كالمجمع العلمي أو الفقهي أو اللغوي ، وتضاربت الآراء في الاختيار بين هذه المجمع واسبقية بعضها على بعض بالنظر الى الكفاءات المغربية والاختصاص الغالب على أهلها ، فجاء رأيكم السديد . وقراركم العتيد ، رافعا للخلاف مستحجما لكل هذه الاتجاهات ومضيفا اليها غيرهاب مما لم يفكر فيه احد ولم يخطر لغيركم ببال .

وهكذا جعلتموها اكاڤيمية تعمل على تنمية البحث والاستقصاء في اهم ميادين النشاط الفكري ، من علم العقائد والفلسفة والاخلاق والفقه والقانون ومناهج الحكم والتاريخ والاداب والفنون الجميلة

فابى همتمكم العالية ونظرتكم المستقبلية ان يشغلكم مهم عن مهم ، من امر اصلاح البلاد والنهوض بالشعب وبناء الاستقلال واستكمال الوحدة الترابية للوطن وبعث الحضارة المغربية وتطعيمها بما جد في عالم العلم والمعرفة والادب والفن ، مع مد عنايتكم الثريفة وبسط يدكم الكريمة للاخوة الاشقاء في ارض العروبة وديار الاسلام بالعون العادي والادبي وحمل الكل وخوض المعارك والاضطلاع بالمسؤوليات الجسام التي لا يتقلدها الا الرجال العظام ، فالزمن عند جلالنكم انما هو توقيت لمشروع ينجز ، ومشكل يحل ، وخطة ترسم ، وحملة للانبناء والتعمير والتشييد والترميم وليس دون ذلك فسحة الا للتفكير في جولة جديدة ، ومبادرة حميدة ، فشأنكم شأن الحال المرمحل ، الخاتم المفتوح الذي ورد انه افضل الامور .

وملكك رايك يا مولاي وانك تجرؤ المساهم الاخيرة على المسيرة الخضراء ، تنطلقون الى وضع الحجر الاساس في السد الذي أصبح يحمل اسمها ،



والرياضيات والعلوم التجريبية والطب والدبلوماسية  
والسكرية والإدارة والاقتصاد والصناعة والتعمير  
والتقنيات التطبيقية إلى العمل الجليل الذي يمكن  
المغرب أن يقوم به في حضرة الإسلام دفاعاً عن القيم  
الروحية والحضارة الإنسانية ، مع إقرار تكافل  
ممنم بين هذه النشاطات وجمع شمل رجالات  
الملكة الذين برهنوا على دراية كاملة وتضلع واسع في  
هذه المبادئ ، وتحقيق الاتصال بينهم وبين رجال  
من جنسيات مختلفة اشتهروا بما أنتجوه من أعمال  
فكرية وما أسدوه للحضارة من حليل الخدمات .

إنها في الواقع يا مولاي ، أكاديمية ملوكية  
بالنية إلى الجمع لا إلى المفرد ، لجمعها اشتات  
المعارفة ومتنوع الثقافات ، وهل تكون الأكاديمية  
الحسن الثاني إلا كذلك ؟ فقد قال المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وقال أحد شعراء السلطان المرحوم مولاي  
يوسف :

تحب المعالي من يحب المعالي

ونظرا إلى موقع المغرب الجغرافي في مفترق  
القارات الذي يحدد وجهته التاريخية ويقضى عليه  
أن يضطلع بدور يجعله صلة وصل ولادة ربط وعامل  
تأليف بين الشعوب والحضارات في أوروبا وإفريقيا  
وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط وعبر  
شواطئ المحيط الأطلسي الذي يمتد إلى العالم  
الجديد ، فإنه لا يمكن للمغرب أن يكون إلا كما عهد  
من قبل ، منارة إهداء ومناخ لقاء وأرض تعايش بين  
جميع العناصر الخيرة والفئات العاملة لما فيه مصلحة  
الإنسانية جمعاء ، ولا يتحقق ذلك إلا في أكاديمية من  
النوع الذي اخترتموه والمغرب لنسب بعيدا عن هذا  
الميدان فمنذ أحرز كيانه وحقق سلطانه وبرزت  
شخصيته الحضارية ، من أيام دولة الأشراف  
الإدارسة إلى أيام دولة بني عميم الأشراف العلويين  
— ادامها الله — وهو مركز من مراكز الثقافة في

العلم بحاضراته العلمية وجامعته القروية وما ورثه من  
تراث علمي وحضاري عن عاصمة المغرب الكبير  
مدينة القيروان وعاصمة الفردوس الأندلسي مدينة  
فوطية ، وما أبدعه من مدينة زاهرة في عاصمته  
الجنوبية أيام الموحدين الذين كان من وذرائهم أبو  
بكر بن طفيل وأبو الوليد بن رشد وإبناؤه زهر وتلك  
الطبقة والذين انشأوا بمراكش بيت الطلبة على غرار  
بيت الحكمة الذي كان ببغداد في العصر العباسي  
الأول، ومنه ومن جامعته القرويين، أم الجامعات ترب  
التور إلى أوروبا عن طريق إسبانيا فكان بداية عصر  
النهضة فيها .

وكنا نعلم أن ابن رشد هو الذي لحق فلسفة  
أرسطو وشوحتها بأمر من يوسف بن عبد المومن  
الموحدي ، وعن كتبه ترجمت إلى اللغة اللاتينية  
وغير زمن في أوروبا لم تكن الفلسفة تدرس فيه إلا  
بكتب الشارح أي ابن رشد كما كان الأوروبيون  
يدعونه ، واشتهر أن الأرقام العربية وما تستعمل فيه  
طبعا من عمليات حسابية ومعادلات جبرية أتم إدخالها إلى  
أوروبا أحد رجال الدين المسيحي الذين تعلموا في  
المغرب وكان يدهش رؤساء الكنيسة بسعة معارفه  
وما رشحه لتقلد منصب البابوية ، وأمر الشريف  
الأديسي الجغرافي الكبير مع روجر معروف ، فإنه  
كان يعتبر طبيبه الخاص فضلا عما وضعه له مسن  
خارطة العالم وألفه في جغرافية الدنيا من كتابه  
المشهور زهرة المشتاق ، وكان روجر هذا وهو ملك  
صقلية يحله ويرفع مكانته حتى أنه لجلسه معه في  
أريكنه .

ومثل ذلك حصل للعالم الفاسي الحسن الوزان  
الذي يعرف بليون الإفريقي فإن قراصنه البحر أسروه  
وباعوه للسبا الذي قرب به وأحاطه بعنايته لما رأى  
من علمه وواسع اطلاعه وكان يستفيد منه كثيرا ولذلك  
حرص عليه ولم يقبل فيه فداء .

وما بالناس تبع النجفة وبالإمام القريب قال  
البابا يوحنا بولس الثاني يا مولاي في كلمته التي  
القاهها ترحيبا بكم في القاتكان : أنكم يا صاحب

الامتلاء على ما نفتحوه من مغاليق وما تشرعونه من  
ابواب امام شعبيكم الناهض للاتصال بالثقافات المتنوعة  
وسفح فوره بالمازج المتحررة من حضارة العصور  
، منشآت المدينة الحديثة ، بكم الشكر الجزيل  
والثناء العطر باسم الاجيال العاملة والصاعدة ،  
والساعية والناشئة ، والله يقر عينكم ببلوغ الاهداف  
وتحقق المطامح التي تعملون لها ليل نهار من اجل  
رقي شعبيكم وتقدمه وهو المسؤول سبحانه ان يحفظ  
المغرب فيكم وفي ذريتكم الواعدة ولا سيما ولي  
عهدكم الامير مسدي محمد وصنوه الامير مولاي  
رشيد . والسلام على مقامكم العالي بالله .

الجلالة ملك بلد لا ينكر احد ما فيه الزاهر بالمفاخر ،  
وشعبيكم بين شعوب الشمال الافريقي هو وارث  
لتقاليد مجيدة وعريقة في القدم وحامل للواء حضاره  
طبع اشعاعها وما زال يطبع مجالات الثقافة والفن  
والعرفان ، فهذه شهادة يزيد في قيمتها انها تمجيد  
حاصر كم تمجد لماسي

والفضل في ذلك يرجع الى جلالكم وما مبدون  
من جهود جبارة في سبيل تطوير المغرب وتطويع  
المراحل التي تفصل بينه وبين النمو الكامل والازدهار  
ليبقى دائما يعطى ويأخذ ويصدر ويورد ، وما هذه  
الأكاديمية التي تدهشونها اليوم الا مثال من عشرات





# كلمة السيد المديروالعلماء للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

يا صاحب الجلالة :

ان اكاڤيئة المملكة المغربية التي ارسيت  
اسسها الراسخة واقتمت قواعدها العالية على رؤيته  
مستوعبة ، وفكر سديد ، وأدراك متكامل لابعاد  
المسؤولية الحضارية قوميًا وعالميًا معلم تاريخي في  
حياة المملكة الناهضة ، وهي الى ذلك اضافة سريّة  
الى مسيرة الفكر العربي الاسلامي ..

وانه بتوفيق من الله ، يا صاحب الجلالة ،  
ونوقيت من القدر ، واختيار من ارادتم السامية  
رشيد ، ان تقوم هذه المؤسسة الشامخة في هذه  
القيمة القالية من الوطن العربي الاسلامي ، والتي  
كانت ارض اللقاء بين الحضارات ، وقاعدة الحوار  
بين الثقافات ، والتي انطلقت منها ، ومن حوالها -  
وسما بلور فيها من اصول العلم والفكر ، طلائع  
الحضارة العالمية المعاصرة ... وهي مع ذلك تكون  
في هذه المدينة الرائدة « فاس » القرويين التي  
جعلت شعل الفكر العربي الاسلامي المستنير قرونا  
موصولة عبر القارات ، ثم تكون في هذه المدينة  
الطليعة ، في هذه الدار التاريخ ، التي ارتفع منها  
صوت الحرية والكرامة وهكذا جمعت حكمة الاختيار  
لهذه المؤسسة ، كل مقومات النمو الحضاري ،  
الدور والقدرة ، والقُدوة ، موقعًا فريدًا ، وعلمًا  
مبدولًا ، وحرية مضمونًا بها ، وكانت في وقت واحد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده  
والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عاهل  
المغرب نصره الله .

انه واجب انيق ، وشرف سني ، يا صاحب  
الجلالة ، ان اتقدم في هذه المناسبة الجليلة الى مقام  
جلالتكم ، باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة  
والعلوم وباسمي ، بأعظم آيات التقدير واصدق معاني  
الشكر على الدعوة الكريمة للمشاركة في استقبال  
هذا الحدث العلمي الكبير ، وفي الاحتفال به في  
الرعاية الملكية السامية ، مع هذه النخبة الخلافة من  
اعلام الفكر والعلم والفن ، وان اشيد باللقاء الحميم  
والضيافة الحفية ، وباتنظيم الرشيد الذي هيأته  
حكومة جلالتكم القادرة ، وان احبي شعبيكم الابي  
الوفي الذي يبني بالارادة والقدرة ، الحياة الكريمة  
على هذه الارض المباركة بقيادتكم السامية .

وانذونا لي ، يا صاحب الجلالة ، ان ارفع الى  
مقام جلالتكم تحيات الامين العام لجامعة الدول العربية  
معالي الاستاذ الشاذلي القليبي الذي حالت ظروفه  
الصحية دون اشتراكه في هذا الاحتفال القومي  
والعالمي .

نكريما لكل هذه المعاني ، ونجسدا لها ، ورمزا دالا عليها حيث يقتزن العلم بالحرية ، وهما وجهان لمفهوم واحد . هو الحقيقة ، فلا علم يكون بغير حرية ولا حرية تتحقق بغير علم ، والعلم بعد ذلك معاناة وعطاء والحرية كذلك .

ان هذه الاكاديمية يا صاحب الجلالة . وهي مائة كرسيه من ماتركم الكثيره لشعبكم ولايتكم . سوف تكون كما اردتموها ، ان شاء الله ، فوه جديدة ، في البناء الفكري القومي الذي يتبها لاستثاف دوره الحضاري ، متفاعلا مع الحضاره المعاصره ، في مسؤوليه ايجابية يتكامل معها ، محتفظا باصالته وعبقريته فلم يعد الاسهام التاريخي لامتنا في الحضارة الانسانية مجدا نتفني به ، ولكنه مسؤوليه جليله علينا ان نقوم لها في ارادة وفي قدرة .

ولقد كان ثرائنا العظيم ، هو أحد مشكلات . وان التعامل مع هذا التراث العريض انخذل صورا متعددة ، فقد ادى انقسام الفكر القومي عن نسيج الحياة الاجتماعية في الظروف التاريخية التي عاشتها الامة العربية الإسلامية ، الى توقف الابداع ، فلم يعد هناك نمو كافي للمعرفة ، وانما أصبح هناك تراكم كمي لها ، فالمتشون شرح ، والشروح تحشي . والمطولات تلخص ، وهكذا ، فكانت فترة استغراق : واستفلاق ، عكست صورة المجتمع المتجمد . . .

ثم كان اللقاء المفاجيء والعدواني مع الحضارة المعاصرة والذي تم في اطار المد الاستعماري الاوربي ، وما سبقه ، وصحبه واعقبه من وفائع وظاهرات وعلاقات ، انضت الى سيطرة الحضارة الوافدة واجهزتها ومؤسساتها وقيمها على مقومات حياتنا الاجتماعية والسياسية ، والى محاصرة منابع قوتنا الفكرية المتمثلة في ثرائنا ، مستودع قيمنا ، ومناط شخصيتنا ، فاغترب بذلك جيلان او ثلاثة من اجيالنا من الذات الثقافية القومية او كادت وجعلت تنظر الى ذلك التراث العظيم ، نظرة سلبية ، من خلال التصور الظالم الذي فرضه المعروضون من الاحناب .

حتى اذا تحررت امتنا ، وفكت قيودها بالفضال والتضحية والبذل ، بدأت فترة التلاحم الحي ، مع

القيم ، ومع الاصابة ، في ضوء المعطيات الجديدة . منهجيات وحقائق ، ونشأت العلاقات الوظيفية بين الواقع وبين الوجود التاريخي . واصبحت مسؤولية الفكر القومي ، مسؤولية اختيار ومسؤولية اجتهاد ومسؤولية ابداع . . .

ان المشكلات المطروحة امامنا ، مشكلات كبيرة ومعقدة ، وهي كبيرة ومعقدة ، لانه لم تعد هناك مشكلة تعني شعبا واحدا او امة واحدة ، فالمشكلات المعاصرة بطبيعتها مشكلات كونية ، تتعدد اطرافها ، وتنوع طبيعة قضاياها ، فهي حصيلة حضارة كونية غالية تحاول تميظ الحياة البشرية ، وهي باجهزتها وقدراتها التكنولوجية ، تتحكم في وجود الناس وفي مصائرهم ، واذا كانت الحضارة . اي حضارة . بناء متكامل ، فهي تفوز قيمها الخاصة ، والتكنولوجية التي هي قوام هذه الحضارة ، ليست سلعة صديده ، ولكنها منظوية على قيم ، وسلوكيات تحدد التعامل معها ، ومع ان للقيم في كل حضارة جهازها التفسيري ووديتها التكميلية مع الواقع ، فان المشكلة الانسانية الكبرى في ظل هذه الحضارة هي ذلك التحدي الذي تقيمه بين الاصاله والمعاصرة ، والتحدى المطروح امام اندول النامية كلها هو معادلة طرفاها التنمية في التصور التكنولوجي قيما واهدافا واتجاهات من ناحية والشخصية القومية خصائص ومقومات وغايات من ناحية اخرى .

وفي مثل هذه الاكاديمية التي رايتم جلالكم بالحكمة تكوينها في تصور شعولي متكامل لمجالات المعرفة البشرية ، وللاتجاهات الفكرية ، والمواقع الاجتماعية والانتماءات القومية والاهتمامات العالمية ، بنشأ المناخ الايجابي لتنمية المعرفة الانسانية وتطوير الحوار العلمي النافع ، وترسيخ التعاون القومي والعالمي المسؤول .

الذنوا لي ، يا صاحب الجلالة ، ان احبي هذا الجهد العلمي والفكري الذي يجيء حلقة في سلسلة وضئمة من جلائل اعمالكم المذكورة والباقية ، وان الامل معقود على ما تحققة هذه الاكاديمية من اهداف في خدمة ثقافتنا القومية في كل المجالات .

والنوفيق من الله مسؤول ، وهو من وراء القصد معبر .



# كلمة السيد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

عام من جهة ثانية - ولا يزال هذا الإشعاع الثقافي متاجعا متعمق الجذور خاصة في ارضنا العربية التي تجمعها بالمغرب وشائج قوية الصلة .

ان مظاهر اليوم ليست في اواقع الا استمرارا للدور الذي لعبه المغرب في الماضي الثقافي والحضاري . وان قيام الاكاديمية المغربية بمثابة جسر يمتد بين العاصي والمسيحي ، جسر يهيمه الجيل الحاضر وفد لماضي حافل بالمعرفة والإشعاع الفكري ، وتطلعا لمستقبل مشرق زاهر . وان اختيار بعض أعلام الفكر المعاصر عن الاجانب للانضمام للأكاديمية الملكية لمؤشر على تلاقح الثقافة حبر الحصار الانسانية فاطية .

بهئنا للمغرب بمؤسسته الجديدة ، ومزيديا من الازدهار والتقدم للبلد العزيز في عهد ملكه الهام .

الحبيب الشطي  
الامين العام  
لمنظمة المؤتمر الاسلامي  
بجدة

يطيب لي ان اتقدم بخالص التحية والتقدير الى جميعكم الحافل بمناسبة افتتاح اكاديمية المملكة المغربية ، وأهنيء المغرب الحبيب بهذه المؤسسة الثقافية التي أمني لها مستقبلا زاهرا واحص بأغلى الثماني جلالة عاهل المغرب الهام الملك الحسن الثاني راعي الثقافة والمعرفة . فهذا الانجاز الجديد يكتب في سجل أعماله ومبادراته الموفقة كما أهنيء الشعب المغربي بهذه المؤسسة التي جاءت تتوجسا لمعاهد العلم والفن والادب التي ازدادت بها المملكة المغربية منذ أشرق فجر الاستقلال على ربوعها ، التي رعاها عاهل البلاد بنفسه مثلما كان رعاها من قبله والده العظيم محمد الخامس تفصده الله برحمته الواسعة . وبعد قيام اكاديمية المملكة المغربية لينة جديدة في صرح البنية الحضارية التي امتاز بها المغرب العربي عبر القرون كهمزة وصل بين الشرق والغرب والاندلس ، والتي حملت مشعل الحضارة ازيد من سبعة قرون من جهة وبين قاره افريقا التي استمدت معنى مقوماتها الفكرية والروحية من العطاء الذي قدمه لها المغرب العربي منذ قرابة الف

## لائحة أستاذ أعضاء أكاديمية المملكة المغربية

- |                                    |                                      |
|------------------------------------|--------------------------------------|
| 1 - الدكتور احمد عبد السلام        | 6 - السيد عبد العزيز بن عبد الله     |
| 2 - الاستاذ نبيل ارميترونغ         | 7 - الدكتور عبد اللطيف بن عبد الجليل |
| 3 - الدكتور بهجت الاثري            | 8 - الدكتور المهدي بن عبود           |
| 5 - الدكتور محمد الحبيب بلخوجة     | 9 - الدكتور محمد بن شريفة            |
| 4 - الاستاذ الحجاج امحمد ابا حنيني | 10 - السيد أحمد الطيبي بنهممة        |

- |  |                                      |
|--|--------------------------------------|
| 11 - السيد عبد الوهاب بن منصور             | 25 - السيد محمد العربي الخطاطبي      |
| 12 - الدكتور عبد الطيف بريني               | 26 - الدكتور هنري كستجر              |
| 13 - السيد المطران ثوربير كالمس            | 27 - الدكتور محمد عزيز الحبابي       |
| 14 - السيد مسوريس فريبورت                  | 28 - السيد احمد الاخضر عيرال         |
| 15 - الدكتور احمد الضبيب                   | 29 - الدكتور المهدي المنجرة          |
| 16 - السيد عبد الرحمن العاسي               | 30 - الدكتور عبد الله ناصف           |
| 17 - الامام محمد القاسي                    | 31 - صاحب السمو الملكي اوغودوها سبور |
| 18 - الفقيه العلامة السيد الرحالي الفاروقي | 32 - الرئيس ليوبولد سيدار منطفور     |
| 19 - الرئيس ادغافور                        | 33 - الدكتور صبحي الصالح             |
| 20 - الاستاذ اميليو كارسيا غوميث           | 34 - الدكتور فؤاد ساركيين            |
| 21 - السيد عبد الكريم غلاب                 | 35 - الدكتور محمد علال سيناصر        |
| 22 - الفقيه العلامة السيد عبد الله كون     | 36 - الدكتور عبد الهادي التازي       |
| 23 - الدكتور عبد المنعم القيسوني           | 37 - السيد العميد جورج فوديل         |
| 24 - السيد ابراهيم الكتاني                 | 38 - السيد سموان كيانه               |





في الرسالة الملكية السامية الى ندوة الامام مالك :

# مواجهة التحدي الحضاري الجديد على ضوء منهجية الامام مالك

اجتمع المشاركون في ندوة الامام مالك بن انس على أن الرسالة الملكية السامية الموجهة الى الندوة تعتبر بكل المقاييس وثيقة عمل ليس فقط في إطار عملهم ، وانما في كل ميدان فكري تطرح فيه الآراء وتناقش لأفاد رعايل الرشيد احتضنه بالتعاضد العربي الاسلامي .

لقد حددت الرسالة الملكية بدقة متناهية مسؤولية علماء الاسلام في الحاضر والمستقبل ، وانطوت على توجيهات سديدة أثار الطريق أمام الباحثين في التراث الاسلامي والدارسين لاثر الثقافة العربية الاسلامية في ازدهار الحضارة الانسانية ، وتضمنت المقاييس الموضوعية لوظيفة المفكر الاسلامي واسلوب تعامله مع التراث على ضوء تغيرات عصره وتطورات برنته .

وخاطب امير المؤمنين نصره الله العلماء بقوله : « لكن ندوتكم هذه فرصة للبحث عن ذلك الاسلوب ومناسبة للنصدي لهذا التحدي الحضاري الجديد ، وذلك بدراسة وتحليل قضايا العصر واتخاذ مواقف بناءة على ضوء منهجية الامام مالك ، موافق تتسم بالإيجابية والاقناع والانسجام مع عقيدتنا وبيئتنا وحياتنا وتكون امتدادا طبيعيا لتاريخنا وحضارتنا » .

وقال جلالة الملك : حاشا أن يكون التحجر والجمود من شيم الاسلام ، وأكد حفظه الله أن هذا الدين يرى من كل من يقفون في وجه التقدم باسم الاسلام .

والحق ان الرسالة الملكية الموجهة الى ندوة الامام مالك بن انس اشاعت في اوساط الندوة جوا من الثقة والامل والاقبال على الحوار البناء والمناقشة الهادئة بحيث انطبعت اعمال الندوة بالروح العلمية . واتكبه المشاركون على اشغالهم في حماس كبير . وبلغت حقوق الندوة قدرا رفيعا من الشجاع .

وفيما يلي النص الكامل للرسالة الملكية القيمة التي تلاها الاستاذ السيد احمد بن مودة مستشار صاحب الجلالة نيابة عن جلالتة :



### حضرات السادة العلماء المكرمين

منذ بضعة أيام ، حققنا بمشيئة الله وعونه ، أملاً عزيزاً علينا ،  
وَحُلُمًا طالما راودنا ، وذلك بتدشين أكاديمية المملكة المغربية التي  
نأمل أن يُصبح المغرب بوجودها مركزاً إشعاعاً للعلم والفكر ، والحضارة  
البشرية بجميع مقوماتها وأبعادها .

ولم تُضِرْنَا مشاغلنا اليومية ، ومشاكلنا الظرفية عن تكريس بعض  
جهدنا واهتمامنا لإقامة صرح تلك المؤسسة العتيدة ، علماً منا بأن عظمة  
الأمم والشعوب لا تقاس بضخامة بنيانها ، ولا بسعة عمرانها ، ولا بكثرة  
سكانها ، ولكن بعدد ما أنجبتَه للإنسانية من عقول مبتكرة ، وأفكار  
نيرة ، وقيادات روحية تشع حكمة ونوراً ، وتبقى على مر الزمان منارات  
تضيء الطريق للبشرية ، وتأخذ بيدها نحو السعادة الأبدية .

وإن من بواعث رضانا ، ودواعي غبطتنا وارتياحنا ، أن تُقام على أرضنا  
هذه الطيبة الطاهرة ، وفي هذا الطرف بالذات ، ندوة خاصة بالإمام  
مالك بن أنس رضي الله عنه ، إحياءً لذكراه ، وتذكيراً لأهله بفضله ، وتعريفاً  
بمقامه الرفيع بين شبابنا المتطلع إلى ثرائه الروحي العريق . وذلك بتسليط  
الأضواء بما سبّلَق من محاضرات ، وما سيعقبها من مناقشات ، على جميع  
أعماله العظيمة الخالدة ، التي ضمنت للشئ النبوية البقاء والثبات ،  
والصحة والصفاء ، وذلك بما احتواه كتابه " الموطأ " من صحيح الحديث ،  
وثابت الشرائع ، مما جعل تلميذه الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول :  
" ليس بعد كتاب الله أصح من موطأ الإمام مالك " .



وما أغناه، رضي الله عنه، عن التعريف والتذكير في بلدٍ كالغرب وبين قومٍ كالمغاربة. فقد اختلط مذهبُه العظيمُ بحياتنا منذ أن اعتنقناه . فلا يمر يوم دون أن نمارس فيه حُصلةً من تعاليمه ، ولا يتمّ أكلٌ ولا شرابٌ ، ولا صلاةٌ أو صيامٌ ، ولا زواجٌ أو طلاقٌ ، ولا معاملةٌ دون الرجوع إليه ، والاهتداء بما أخرج فيه ، من بيعٍ وشراءٍ . ولو عارة وكراء ، ومعاوضةٍ ومناقلةٍ ، ومقاصّةٍ ومُحاسبةٍ وشركاتٍ ، إلى غير ذلك من المعاملات ، " فالدينُ المعاملة " .

وإن انعقاد هذه الندوة في مثل ظروفنا الراهنة لينطوي على أكثر من مغزى ؛ فقد ألهم الله أجدادنا المنعمين إلى اختيار مذهب الإمام مالك ، ونشره - وحده دون غيره - في طول البلاد وعرضها ، حفظاً لوحدة البلاد المذهبية ، وذراً لكل ما يحمله تعدّد المذاهب والتحلل من بُدور الشقاق والخلاف ، فبرهنوا بذلك على بُعد نظرهم ، وعمق محبتهم لشعوبهم ، ورغبتهم في إسعادها بدفء الوحدة ، وما ينتج عنها من قوة ومنعة . ولو صدروا في سلوكهم عن أنانيةٍ أوحيت للتسلط ، لعمَلوا بمبدأ " فرق تسد " ولأصبحت بلادنا طوائف وشيعاً تتقاتل فيما بينها وتتناحر . ولما رأينا اليوم هذا التماسك والتلاحم بين أفراد شعبنا في مواجهة الغزو الأجنبي الرامي إلى تمزيق وحدتنا الترابية ، وعرقلة مسيرتنا الحضارية .

أما المغزى الثاني من إقامة هذه الندوة ، فهو تأكيد تمسكنا بالمسير في الطريق الوسط التي اختطها لنا إمامنا مالك رضي الله عنه ، عملاً بقوله تعالى : " وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً " فتجنبنا باتباع مذهب الإفراط والتفريط ، والانحراف عما يمليه العقل السليم ، والطبع القويم . فقد كان رضي الله عنه ، في حياته مثلاً للتوسط والاعتدال ، مقتدياً بأخلاق وشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم . ورغم اعتداله ودعائه أخلاقه ، فقد كان درعاً متيناً للعقيدة ضدّ التعريف والتزوير ، والتأويل المغرّض ، ونبراساً يضي الطريق أمام الخلفاء ، والأئمة والعلماء في مملكة الإسلام . فكان المفتي الدقيق ، والشارح الواضح ،

والمؤول الصادق الأمين . ولم يبتعد ، في كل فتاواه وتعاليمه ، عن المنطق السليم ، والخلق المستقيم ، مما جعل غالبية المسلمين تطمئن إليه ، وتأثم بهديه . وهذا مغزى آخر نستخلصه من سيرة هذا الرجل العظيم . ومما يجب استلهامه كذلك من سيرة الإمام مالك ، ثباته ، رضي الله عنه ، على المبدأ ، ومطابقة أقواله لأفعاله . فقد كان شجاعاً في نصره الحق ، قوياً الإيمان بالله ، واضح المواقف ، لا يخشى في الله لومة لائم ، فلم يذاهن قوياً ، ولم يتملق طاغية ، ولم يتنازل عن شروى نقير من مبادئ العقيدة وأوامر الله .

وقد امتحن من أجل ذلك في إيمانه أيما امتحان ، وضرب وعذب ، وأهين في سبيل الله ، وطيف به في شوارع المدينة ، وخلعت ذراعه ليتنازل عن رأيه ، ويفتي بغير ما أنزل الله ، ويأذن بطلاق المكره ، فأبى وصبر على الأذى ، وخرج من محنته التي كان يراذ بها إذلاله ، أعز وأكرم على الله ، وأجل وأعظم في عيون قومه ، وفي ضمير الأمة الإسلامية إلى عصرنا هذا . وصدق الله وعده : " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " .

وذهب الإمام مالك ، وبقيت صيغته الشهيرة : " من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس . طلاق المكره لا يجوز " . بقيت تتردد أصداؤها بين شعاب المدينة وتكبر وتعظم لتشمل أرجاء المعمور ، ولتبقى شاهداً حياً مدى التاريخ على رفض الظلم ، والانتصار للحق . هذا عن جانب الإيمان ، والجهد ، والثبات ، في شخصية الإمام مالك رضي الله عنه .

ولو أردنا تطبيق المقاييس العامة العصرية على الجانب العلمي لهذا الرجل الفذ ، لبرزت لنا شخصية عبقريّة ثاقبة الفكر ، متعددة الأبعاد ، واضحة المنهج ، شديدة العمق والانضباط . فهو لم يكتف بإثبات سند الحديث وتجشّم المشاق في تقصي رواياته إلى نبعه الأصلي ، بل تعدى ذلك إلى تحليل شخصيات رواة الأحاديث ، والتأكد من استقامتها وصدقها ورسوخها في العلم .



وقد أفضى به اجتهاده ودقته العلمية إلى النزول إلى شوارع  
المدينة المنورة لدراسة البيئة الاجتماعية التي عاش فيها الرسول  
صلوات الله عليه وسلامه . فدرس عادات وتقاليده أهل دار الحجرة  
التي انطبع سلوك أهلها بالسلوك النبوي . وذلك حتى يطمئن إلى صحتها  
ظروف بعض الأحاديث . فأوحى بذلك للعلامة المغربي عبد الرحمن بن خلدون  
بالمناهج العلمية التجريبية الذي نصح به لتصحيح وقائع التاريخ القديمة  
بالرجوع إلى البيئات الاجتماعية التي وقعت فيها .

ولم يكتف ، رضي الله عنه ، بكل ذلك رغم عظمتها ، فترك بأسب  
الاجتهاد مفتوحاً للأئمة من بعده ، وذلك بسننه استنباط الأحكام  
في ما كان يستجد من قضايا يفرضها اتساع رقعة الإسلام ، بالقياس  
على ما ورد في السنة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم . فضمن بذلك  
المرونة والشمولية للمبادئ والأحكام الإسلامية ، وقطع الطريق على  
السطحية ، والتزمّت ، والركود .

وقد اكتشف الغرب المسيحي ، بعد ألف عام من وفاة الإمام  
مالك ، ما لمذهبه الكامل من قوة وثراء ودقة في تنظيم أحوال المجتمع  
البشري أبدع نظام . فاستعاروا منه الشيء الكثير ، وخرجوا به على العالم  
وكانه من صنع أيديهم ، وعبريتهم مفكرينهم .

ورغم ما أسداه الإمام مالك للإسلام من خدمات جلّى ، وما  
تحقّله في سبيل الدفاع عن مبادئه من أذى ، فقد خالجه في أواخر حياته  
شئ الشكوك والمخاوف من أن يكون قد أفتى برأيه سهواً أو خطأ بسا  
يُخالف الكتاب والسنة . قال (معن بن عيسى) : سمعت مالكا يقول :  
”إنما أنا بشر ، أُصيب وأُخطئ ، فانظروا في رأيي ، فما وافق السنة فخذوا به “ .  
وقال (ابن قُتَيْب) وهو أحد زوّاته البارزين ، حين عاذه وهو على  
فراش موته : جلست إليه فرأيت يدي ، فقلت : يا أبا عبد الله ، ما الذي  
يُبكيك ؟ فقال : ”يا ابن قُتَيْب ، وما لي لا أبكي ؟ ومن أحق بالبكاء مني ؟  
والله لو ددت أني ضريت بكل مسألة أفتيت فيها برأبي بسوط سوط ، وقد  
كانت لي السعة فيما سقت إليه . وليتني لم أفت بالرأي “ .

وإن دلّ هذا على شيء ، فإنما يدلّ على شفافية في الروح ، وقرب من الملكوت الأعلى ، وإشراق داخلي لا يحظى به إلا الراسخون في العلم من أولياء الله والصالحين " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " . وإذا تدبرنا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " يبعث الله على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد أمر دينها " وجدناه ينطبق انطباقاً كاملاً على الإمام مالك رضي الله عنه ، فقد ولد سنة 93 للهجرة ، وتوفي سنة 179 ، فملاً بعلمه وفضله قرناً كاملاً من الزمان ، وأخذ عنه العديد من العلماء والفقهاء من المشاركة والمعاربة . وقد حدث عنه أئمة لا يحكادون يُخصّون ، ومع ذلك لم يجلس للفتوى حتى شهد له سبعون من جلة العلماء بأنه أهل لذلك . ومن شهادات أهل عصره له ما قاله تلميذه الإمام الشافعي : " إذا ذكر الأئمة (فمالك) النجم الثاقب . وما أحد أمّن عليّ من مالك " . وما كان أحد في زمانه أبرّ منه ولا أعلم ، فهو بحق مبعوث هذه الأمة الأول بعد رسول الله .

معشر العلماء المجلين ، إن حيوية الأمة الإسلامية ، وتدخل مجتمعاتها مع غيرها ، وتفاعلها مع حضارات ، وثقافات ، وديانات ، ومذاهب كانت إلى أمد قريب تفصلها عنها المسافات المادية والمعنوية ، وإن التطورات والتغيرات السريعة التي طرأت على المجتمع البشري في السبعين سنة الماضية ، والتي قال عنها أحد المستقبليين : " بأن ما حدث خلالها من تقدّم يوازي ما حدث في مدى الخمسة آلاف سنة الماضية " كل هذا يفرض علينا أسلوباً جديداً في التعامل مع ثرائنا الحضاري بجميع جوانبه . أسلوباً يتيح للمسلم والمسلمة أن يندمجا في المجتمع التكنولوجي الذي يعيشان فيه ، وينسجما مع هياكل الحضارة الحديثة في إطار من الأخلاق الإسلامية السامية ، ودون شعور بالاغتراب والاستلاب ، أو بالتناقض والتفصام أو بالذونية والإثم .

فلتكن ندوتكم هذه فرصة للبحث عن ذلك الأسلوب ، ومناسبة للتصدي لهذا التحدي الحضاري الجديد ، وذلك بدراسة وتحليل قضايا

قضايا العصر واتخاذ مواقف بناءة منها على ضوء منهجية الإمام مالك، مواقف تتسم بالإيجابية والإقناع، والانسجام مع عقيدتنا، وبيئتنا وطبائعنا، وتكون امتداداً طبيعياً لتاريخنا، وحضارتنا، وإسهاماً من مفكرينا في تحسين نوعية العيش، ونماذج السلوك، في مجتمعاتنا، بل وحتى في المجتمعات الإنسانية الأخرى.

وهذه المواقف يجب أن تكون قابلة للبلورة حتى تصبح بديلاً قوياً، وواضحاً، وجذاباً لما هو مطروح في الأسواق من شعارات أجنبية عنا، أفرزتها ظروف تاريخية واجتماعية لم نعيشها، وفي مجتمعات بعيدة كل البعد عن مجتمعاتنا.

واننا على يقين من أنكم ستواجهون هذا التحدي بإقدام وإيمان، ومن أنكم ستفوزون بهذا الرهان. فكل ما نفع به أسواق الكتب، والصحف، والندوات، وأمواج الأثير من شعارات الحرية، والديمقراطية، والاشتراكية، والعدالة، والمساواة، وحقوق الإنسان، ما هو إلا بضاعتنا ردت إلينا مخنونة بشقي العناوين.

وليست هذه أول مرة يطالب فيها علماء الإسلام بالتكليف بوضع جديد، فقد كان لهذا الوضع في تاريخ أمتنا ما يوازيه. ولم يكن ذلك أبعد كثيراً من عصر إمامنا مالك. فقد جاء بعده من العلماء من استخذوا منهجه وانتهوا إلى غير ما انتهوا إليه من نتائج، فكانوا يعلنون عدم اتفاقهم معه جهاراً بقولهم المشهورة " وإن قالها مالك، فليسنأله بمالك " ولم يجد أحد في ذلك غشاضة ولا انتقاصاً من مقام الإمام العظيم. ذلك أن روح مذهبه قائمة على الاجتهاد فيما لم يرد في الكتاب أو السنة أو الأثر. والاجتهاد هو مفتاح المسلمين للتكليف مع كل تقدم أو تطور فكري أو مادي في العالم، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وحاشا أن يكون التحجر والجمود من شيم الإسلام. وهوريء من كل من يقفون في وجه التقدم باسم الإسلام. فحتى في عهد الرسول



صلى الله عليه وسلم ، وُجِدَ من أساء فهم الإسلام من ذوى الأُمزجة  
 السوداءوية الجامدة ، واعتقدوا أنه جاء للتحريم ، والتضييق ،  
 والترهيب ، فحاجَّهم الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز بقوله :  
 " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق " .  
 ونحن على يقين من أن بركة الإمام مالك ستحل بينكم ،  
 وتشمل ندوتكم هذه ، وأنكم ستخرجون منها موقنين إن شاء الله ،  
 ومُعمِّلين بما يملأ مجلِّدات من الأبحاث ، والدراسات ، والاكتشافات ،  
 تضاف إلى ثرائه الخالد وتبقى مرجعاً حافلاً لدارسيه ، وشاهداً على  
 فخرنا واعتزازنا بالانتماء إلى مذهبه ، وتشبُّثنا بعبادته السامية .  
 " وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون " صدق الله العظيم  
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .  
 حرر بالقصر الملكي بالرباط في يوم الجمعة 9 جمادى الثانية عام 1400  
 الموافق 25 أبريل سنة 1980 .

خطاب السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في الجلسة الافتتاحية  
لندوة الإمام مالك :

## إجماع المغاربة على المذهب المالكي يؤكد تمسكهم بالسنة النبوية الصحيحة

تتصبه الظروف المعصرية من استعمال الوسائل  
التقنية الحديثة وهي سلاح يقوى ساعد المسلم  
وعقله وتضع المسلمين في المكانة اللائقة بهم بين  
الامم مع الحفاظ على جوهر الاسلام تقياً خالصاً  
ناصحاً .

واني باسمكم لاتوجه بالشكر والامتنان الى  
صاحب الجلالة حفظه الله على التفاتته الكريمة التي  
قصد منها اكرام العلم والعلماء ووضع برنامج عمل بين  
أيديهم ليهتدوا به في أعمالهم وتفكيرهم .

حضرات السادة :

يجدر بنا أن نحتفل بالإمام مالك وأن نندرس  
تراثه وأثره على الأمة الإسلامية ، فقد ولد الإمام في  
سنة خمس وتسعين للهجرة ، ونشأ في دار الهجرة،  
المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ،  
واخذ العلم عن شيوخ من جلة التابعين وكبارهم ،  
فروى عنهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بالمدينة المنورة ، ومعلوم ان المدينة شهدت من حياة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أهمها وأغزرها  
تسريعا وفيها عاش جل صحابته رضي الله عنهم ،  
أخذ التابعون صفات رسول الله وأعماله وتقريراته ،  
وتكون هي السنة التي تعد المصدر الأول للشرعية  
بعد القرآن الكريم .

بسم الله الرحمن الرحيم  
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

حضرات السادة :  
السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد ، ففي إطار الاحتفالات ببدء سنة القرون  
الخامس عشر الهجري وتنفيذا لأوامر صاحب الجلالة  
الملك الحسن الثاني نصره الله ، تنظم وزارة الأوقاف  
والشؤون الإسلامية ندوة الإمام مالك بن أنس رضي  
الله عنه ، وبسمعدي وشرقي في هذا الحفل  
الافتتاحي أن أرحب بكم متمنيا لكم المقام الطيب  
وراجيا لكم العمل النافع الخالص لوجه الله فيما  
ستصرفونه من جهد أثناء انعقاد هذه الندوة .

لقد أصفينا باجلال واحترام للرسالة الملكية  
السامية التي وجهها جلالة الملك الحسن الثاني نصره  
الله الى الندوة على لسان مستشار جلالته الاستاذ  
أحمد بن سودة .

ويجدر بالندوة أن تعتبر هذه الرسالة الملكية  
السامية دستوراً لها وورقة عمل أساسية لاشتغالها لما  
تحتويه من أفكار أصيلة ومعاني نفيسة ، فهي تدعونا  
الى رؤيا مستقبلية نبنى فيها المنهجية في العمل  
والإسلوب العلمي في التبليغ والإيصال تمثيا مع ما

واستنتاجاته يواجهون بها ما يعرض لهم من قضايا ، ومن ثم أصبح مذهب الامام مالك أغزر مادة في ميدان الافتاء وقواعده التي بنى عليها علماء الفتوى ما استنتجوه من احكام أصبحت علما مستقلا وضع فيها المتأخرون مؤلفات قيمة لا تزال مراجع للفقهاء ترشد لهم وتبهر لهم طريق الفهم الصحيح من قواعد القرآني والمقري والوشريسي وغيرهم ، والامام مالك اول من ألف كتابا اجتمع شيوخ العلم والحديث على انه أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى حيث يقول الشافعي : ما في الارض كتاب في العلم أكثر صوابا من كتاب مالك ، يقول أيضا ، ما كتب الناس بعد القرآن شيئا هو أنفع من مؤلف مالك .

وقد درس المقارنة المذاهب كلها دراسة تحصى وتحليل وأحاطوا بأصولها وقواعدها وفروعها وتبعوا سيرة أصحابها الفراء ومتابعيهم المدينة ومآثرهم الحميدة فوقع اختيارهم على المذهب القائم على الكتاب والسنة والاجماع والقياس وعمل أهل المدينة والاخلد بالمصالح المرسلة ، وقلدوا الامام الذي انتهت اليه رئاسة الحديث والفقه واعترف له بذلك من كافة الأئمة ووجدوا فيه القدوة والمثل الذي يجب احتذائوه والافتداء به في التمسك بالكتاب والسنة وما عليه جماعة أهل الحق والسلف الصالح .

ونظروا إلى ما اتفق عليه السابقون واللاحقون من زيادة علم مالك وورعه وبعد غوره في الكتب وللسنة نتأكدت لهم ضرورة الإخذ بمذهبه لما بين العلماء من خلاف في جواز تقليد المفضل مع وجود الفاضل .

وأذا كان المغرب أن يعتز في أباء وشعهم بذلك الدور الطلائعي الذي لعبه في نشر الاسلام وافشائه وفي حمل راية الجهاد وتادية واجيب الدعوة وبثها في بلاد المعمور وفي مختلف الأئمة والعصور فإن له كذلك أن يعتز بأن جعله الله المنطلق الثاني بعد المدينة المنورة لنشر مذهب الامام مالك وتلقي دعوتيه .

فقد تقى المغاربة هذا المذهب وكافحوا وجاهدوا تحت رايته وألقوا فيه وشرحوا وأجادوا فيه وأبدعوا ودافعوا عنه وقالوا بأرجحيته على سائر المذاهب .

والى جانب هذا كان عمل أهل المدينة وهم أعرف الناس بحياة الرسول عليه السلام وسلوكه وسجلوا كل حركاته وسكناته وما وأكب سلوكه من ملازمات ، وهم الامناء الثقلاء الذين لا يتطرق الشك الى ان أعمالهم كانت تبعا لما تعلموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت من ثم اجتهاداتهم فيما لم يرد فيه نص صريح أقرب الى الصواب ، خصوصا وأن المدينة المنورة لم تبلغها الخلافات التي اندلعت في جهات أخرى من الأمة الاسلامية . وهكذا كانت المدينة مهدا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة نقية من الشوائب ، رواها صحبه وعندهم نلامتهم كبار التابعين والفقهاء ، ومن هؤلاء تفقه الامام مالك ، فقد لازم ابن هرمز عبد الرحمن الأعرج وثاغما مولى ابن عمر ومحمد بن شهاب الزهري وغيرهم حتى أصبح علما من أعلام السنة والفقه يمحض ما يبلغه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستقي الثقات من الرواة والشيوخ ، فلا يروي الحديث إلا ممن يعلم صدقه وأمانته ، وقد قال في هذا المعنى : ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون منه . ولقد ادركت سبعين ممن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأماطين ، فما أخذت عنهم شيئا ، وان أحدهم لو أوثمن على بيت مال لكان أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن .

وقد ثبت عنه انه كان لا يخوض في تلقي العلم أو تدريسه حتى يستعد لذلك بما يقتضيه مقام العلم وشرف حديث الرسول صلى الله عليه وسلم والمسجد النبوي الذي كان يرتاده طالبا ومعلما ورائدا .

وأذا علمنا ان الأئمة الثلاثة الذين انتشرت مذاهبهم في جميع أقطار الدنيا : أبو حنيفة النعمان والشافعي وأحمد ، أخذوا عنه جميعا حتى أبا حنيفة الذي يكره سنا ، علمنا نسب الذي جعل المغاربة يختارون علمه مذهبيا ويتمسكون به منذ أن وصل اليهم في مطلع القرن الثالث على يد علماء أفاريقة أخذوا عنه كتابه الموطأ ، أمثال علي ابن زياد وعيسى ابن شجرة من تونس وأسد بن القرات القروي وخلف ابن جرير بن فضالة القروي وصيد العزيز بن يحيى وصيد الله بن عمر بن غانم الرعيني ومحمد بن معاوية الطرابلسي ويحيى بن يحيى الليثي الأندلسي ، وقد ظل المغاربة متمسكين بمذهب مالك طيلة فصول عاقلين على اثراته بما قاموا به من دراسات لنصوصه



ويجدر بنا جميعا أن تسعى في جهد هام إلى  
إنجاح الندوة بالبحوث القيمة والمناقشات  
والندوات .

حضرات السادة :

أشكركم على تلبية الدعوة وأكبر فيكم روح  
التضحية بالوقت النفيس للحضور والمشاركة في  
البحوث والمناقشات التي ستدور في هذا اللقاء حول  
حياة امام الأئمة وسيرته وأصول مذهبه وقواعده  
وقروعه وأعلام مدرسته وما له من خصائص  
ومميزات .

وأني لادعو الله بهذه المناسبة أن يحفظ مولانا  
أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني وأئمة البعث  
الإسلامي ومجلد أمجادهم ويقر عينه بولي عهده الأمير  
المحبيب سيدي محمد وصنوه الأمير مولاي رشيد  
وبقي أفراد الأسرة الملكية الكريمة ، كما أدموه  
سبحانه وتعالى أن يحفظ الأئمة الإسلامية من كيد  
أعدائهم وأن يحرسها .

والسلام عليكم ورحمة الله .

والمقاربة كذلك أن يرفعوا رؤوسهم في اعتزاز  
بأن اعترف لهم دون غير من بلاد المعمور بأنهم قادة  
الفكر المالكي ورجال دعوته وجمهور مذهبه حتى عد  
بعضهم من مرجحات المذهب المالكي تمسك  
المقاربة به للحديث الوارد في تمسكهم بالحق .

وقد استقل المذهب المالكي بالمقاربة  
فاستقطب مؤلفاتهم وتقولهم وقتاويهم وهيمن على  
تفكيرهم ، فمنهم من دافع عن صحة الموطأ وجعله في  
الرتبة الأولى من درجات الصحة ، ومنهم من دافع  
عن المذهب وأرجحته وترجم لطبقاته ، ومنهم من  
وضع المختصرات المفيدة ، ومنهم من ألف في أصول  
المذهب وقواعده .

حضرات السادة :

نعقد هذه الندوة أكبارا للامام مالك واعترافا  
بفضله على الإسلام والمسلمين ، وهي مناسبة  
لتحريك همم المتخصصين ليعملوا فيما يستقبل من  
الأيام والسنين على بحث الدراسات الإسلامية في  
التشريع والحديث والفقه والأحوال الشخصية .

## بحوث ندوة الامام مالك

- ① « الإمام مالك ونظريته في تأصيل عمل أهل  
المدينة وترجيحه على الحديث الذي لا يصحبه  
عمل » : للأستاذ الرحالي الفاروقي .
- ② « المذهب المالكي مذهب المقاربة المفضل » :  
للاستاذ المكّي الناصري .
- ③ « الفقه والوحدة المذهبية بين المغرب  
وصحرائه » : للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله .
- ④ « أثر الإمام مالك في تدعيم مكانة السنة النبوية  
في النهج الفقهي العام » : للدكتور فلروقي  
النههمان .
- ⑤ « أصول مالك في الموطأ » : للأستاذ عبد  
الفقور الناصر .
- ⑥ « أثر الشخصية المغربية في فقه مالك » :  
للاستاذ محمد حماد الوريغلي .
- ⑦ « ابن أبي زيد القيرواني » : للأستاذ أحمد  
سحنون .
- ⑧ « ذكرى الإمام مالك بن أنس امام الأئمة » :  
للاستاذ الشاعر الزيتوني .
- ⑨ « فتاوي النوازل في القضاء المغربي » :  
للاستاذ رضا الله إبراهيم الألفي .

- ١ « مالك المحدث » : للاستاذ ابراهيم بن الصديق .
- ٢ « ابو مروان عبد الملك بن حبيب السالمي » : للاستاذ محمد سيف .
- ٣ « القانون المدني الفرنسي مأخوذ من مذهب الامام مالك » : للاستاذ الصديق العلوي .
- ٤ « قيس من تاريخ مالك رحمه الله » : للاستاذ عبد السلام جبران المسفيوي .
- ٥ « علماء شقيط » : للاستاذ عبد الكبير العلوي .
- ٦ « نثر القوانين المغربية بالمذهب المالكي » : للاستاذ شيهنا حمداتي ماء العينين .
- ٧ « نافع استاذ مالك » : للدكتور التهامي الراجبي الهاشمي .
- ٨ « الامام مالك امام دار الهجرة وآثره في الامة الاسلامية » : للاستاذ ابراهيم صالح بن بونس الحسيني .
- ٩ « الواقعية في مذهب الامام مالك » : للاستاذ حسن السائح .
- ١٠ « اسباب انتشار المذهب المالكي واستمراره في المغرب » : للدكتور عباس الجراري .
- ١١ « آفاق فقه مالك عبر التاريخ » : للاستاذ محمد صالح .
- ١٢ « الاستدلال بعمل اهل المدينة عند الامام وموقف الفقهاء منه » : للاستاذ عمر الجيدي .
- ١٣ « القضاء المغربي في خرواصه » : للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله .
- ١٤ « سيرة الامام مالك مع الخلفاء » : للدكتور عبد السلام الانغيري .
- ١٥ « المصالح المرسلة في المذهب المالكي وبقيّة المذاهب الاخرى » : للدكتور يوسف الكتاني .
- ١٦ « المنهجية في مدرسة مالك بن انس وفي اصول مذهبه » : للاستاذ عبد الكريم التواني .
- ١٧ « البيئة واترها في صياغة مذهبنا المالكي » : للدكتور عبد الله العمراني .
- ١٨ « نظريات الامام مالك حول العقيدة والعبادات » : للاستاذ محمد الطنجي .
- ١٩ « الامام مالك وكتابه الموطأ » : للاستاذ المهدي الوافي .

## الوفود الإسلامية المشاركة في ندوة الإمام مالك

- ١ المملكة العربية السعودية :  
— الديار التونسية .  
— الشيخ محمد الشافعي البفسر .
- ٢ الاردن :  
— الدكتور عبدة محمود .
- ٣ الكويت :  
— الشيخ عبد الله السوي .
- ٤ الدكتور محمد العلوي مالكي .
- ٥ الاستاذ أحمد قراج الأمين العام لاتحاد اذاعات الدول الاسلامية .
- ٦ تونس :  
— الدكتور الشيخ الحبيب بلخوجة مفتي





في برقية الى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله من ندوة الامام مالك

## أعضاء الندوة يرفعون الى جلالة الملك اقتراحاً بإنشاء ندوة علمية دائمة للفقہ المالكي

كانت بمثابة نبراس أضاء السبيل لأعضائها وحفظ لهم  
محتاج العمل في اجتماعاتهم التي استغرقت أربعة  
أيام ، أحياء لذكرى هذا الإمام الجليل وتوثيقا للصلة  
بين الممتحنين بالفقہ المالكي في الاقطار الشقيقة .

وان أعضاء الندوة ليعبرون لمقامكم العالي بالله  
عن سرورهم وكامل ابتهاجهم للقرار السامي الذي  
اتخذتموه بجعل هذه الندوة مفتوحة لكي تستمر في  
اعمالها وتثري نشاطها بدراسات عن شخصية القاضي  
عباس أحد اعلام المذهب المالكي .

كما يرفع أعضاء الندوة الى علم جلالكم  
اقتراحهم لوضع اللبنة الاولى لإنشاء « ندوة علمية  
للفقہ المالكي » تستقطب علماء المالكية وغيرهم من  
نقباء السنة وكذا اساتذة المعاهد العليا والجامعات  
الاسلامية المعنيين بالبحوث الفقهية ودراسة الفقہ  
المالكي خاصة .

وان هذه الحركة الفكرية لمنجمة تمام  
الانسجام مع الخطوات المباركة التي اتخذتها جلالكم  
باحداث المجلس الاعلى واكاديمية الملكة المغربية .

بسم الله الرحمن الرحيم  
والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

السلامي

حضرة مولانا أمير المؤمنين حامي حمى الملة  
والدين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أدام الله  
عزكم ونصركم .

السلام على مقامكم العالي بالله ورحمة الله  
تعالى وبركاته .

وبعد .

وبمناسبة انعقاد ندوة الامام مالك بن أبي  
رزي الله عنه بعاصمة مملكتكم العلمية ، يشرف  
علماء المغرب والاقطار الاسلامية المشاركون في  
الندوة بأن يرفعوا الى حضرتكم السامية كامل  
تشكراتهم وموفور امتنانهم على الرسالة الكريمة التي  
بفضلتم بتوجيهها اليهم يوم افتتاح الندوة والتي  
اشرحت لها الصدور لما تضمنته من توجيهات  
سامية كان لها الاثر الفعال في نجاح الندوة والتي



كما يجلسون أمامه يتراروا ويصيحون ما بعد  
الحكمة لا حقائق خلق فتنين وتحرير  
أما ليس الرضا والرضا لا يحد في أولي  
عقله من وراءه الحرمي .

زادكم الله يا مولانا عزرا ورفعته  
ونصرا ونوفيقا وسدد خطاكم وخطد في  
الصالحات ذكركم وأواكم في شعبكم ما  
سر وحفظكم في سمو ولي عهدكم الأمر  
لمحجوب علي محمد . عنوه المولى  
لرحمته وماله وأمراد الأمر المثلث .  
الكرامة الله سبع مصاب .

والسلام على مقامكم العالي بالله .

وحرر بفاس في 12 جمادى الثانية 1400 هـ

موافق 28 أبريل 1980 م

توقيع :

« ندوة الإمام مالك بن أنس »

فانكم يا أمير المؤمنين صاحب المكرمات  
الطبية والمبادرات النيرة الموفقة .

وانتم يا صاحب الجلالة باحياكم المجد  
الاسلامي الملبد لتعبون عن أريجكم . لفضله  
بتظلماتكم الكريمة لجمع الكلمة وتوحيد  
الصف ذرأ للشكوك والشبهات في هذا  
الظرف الذي يتطلع فيه المصممون الى  
درغ قرون حديد تتكرر في هذه الحق  
الله من المعنود الأمر هذا الدين .

تجميع ممالككم مبرورة على خدمه  
الصالحين العظام وخدمته العلم ونصرة  
العروبة والإسلام وأغلاء كنهه الله والحفاظ  
على مقومات الأمة الروحية والأخلاقية  
والحضارية .

ون كلفه أمم في حدود الإمام مالك  
ليعتبرون أنفسهم جنودا مجتدين وراءكم  
للدود عن وحده الأمة في العقيدة والمذهب  
ويحدثوا السراية المعاصرة .

# بشري

## للشاعر الأستاذ محمد محمدي

دفعوا الطبول وهللوا نهلا  
واستروحوا عطر الحياة رضية  
وضعوا على الأرض الحدوة وقيلوا  
بالبرم كتف صدرها عن سرها  
واليوم تلقى خبر ما لقت منه  
حملته في أحشائها حتى مضت  
فرمت به ذهباً وخيراً لودا  
وكانما ضنت به لمرارة  
بشري ومولد أمة طماحمة  
وإذا الجيود تضافرت هانت بهما  
لم تدخر في وسعها جهدا ولا  
شعب التحدي منه كان ولم يزل  
شق الجبال معايرا ومالكها  
شعب دس قيمة العلم السدي

وتطلعوا لغد يضيء جملا  
وتغياوا ظل الهنداء ظليلا  
كتباها وسياها نفيلا  
واليوم تفتح كنزها المجهولا  
أرض وتجري بالعطاء سريلا  
حقب وملكت ثقلها المحمولا  
أثري البلاد وحقق العامولا  
عمن غزاها فأنشئ مفلولا  
لغد بدمع مجدها الموصولا  
كل الصعاب وذلل تدلا  
بشت فأنهم جهدها المبذولا  
إن قال كان لما يقول فعولا  
وكما أسهول جادا ولا وحقولا  
ينشئ ويعلى الساعد المفتولا



من قال لتاريخ عرف ! فتوقفت  
 كتبت بد التاريخ عنه ملاحمها  
 هي ارضنا سالت على جنباتها  
 والارض تفتح قلبها لمحبهها  
 ولمن يرد العار عن ساحاتها  
 ولمن يفتش في ثرى اعماقها  
 كالغداة الحناء تمنح وصلها  
 حلم ، وكم تحلو الحياة لامة  
 بالامس غصنا في ثرى صحرائنا  
 ورفقت بكنز مياهاها وكانها  
 واليوم باسم الله تفتح كنزنا  
 لند حاجة عاطل او جاهل  
 هي نعمة قد تستحيل لشخصه  
 ما قيمة الثروات ان تاض  
 اخرى بها ر سفلى عمدا

اقلامه وصفت اليه طويلا  
 فوق الملاحم صورة ونضولا  
 ارواحنا ، فتدققت يترولا !  
 ولمن يعيش بحبها مثقولا  
 ويعيش فيها قاتلا مقتولا  
 محمدا . مكامحا شعلا  
 لافرحا ، ويهجر المسكولا !  
 احلامها قد اصبحت بغيلا  
 وحضورها تبدلت بيدا  
 من بعد لهفتها تلاقى النبلا !  
 لنصوغ منه معاملا وعقولا  
 لتحارب الفقر العدو القولا !  
 ان لم يجد تدبيرها مثولا  
 ولم تنش فقيرا عاطلا مثولا ؟  
 او مصنع ، او تنشي الاسطولا

\* \* \*

يشرى باعظم حداث من عاهل  
 قطع الرياض بيانه لكتها  
 كالفيث في خضر الخمائل رحمة  
 ما زال يدعسو للهدى جيرانه  
 ويرد بالحنى على لطعاتهم  
 ومن البلاء ان تصيب عداوة  
 والحلم مفيدة لمن لعبت بهم  
 والحزم امل في الخطوب مغيبة  
 والشعب كالاعصار ان يعصف بهم  
 لكنها القوي التي تسمى لها  
 ما ذا يريد الشامخون بأنفسهم

جلت موافقه فكان جليلا  
 اسمى اذا ما استلهم التنزيلا  
 واليف في ساح الوغى مالا  
 من امشوا في اهلنا تكيلا  
 فكانه عيسى اعيد رسولا !  
 ويكون خصمك في العدا جهولا  
 أهواؤهم وتعودوا التضيلا .  
 ترجى واقرب للمراد وصولا  
 ينزل عليهم كالتضاء نورا  
 ودم المروية هدرنا مطلولا  
 والساحبون من القسود ذبولا

من أجفأوا بهودنا وجوارنا  
 واستأسدوا في أرضنا وكانهم  
 لا تحسبوا أغفأنا عن طيشكم  
 أنا لنكره أن نقاتل أخوة  
 ونريد سلعاً لا عداوة بمعد  
 هذي مبادئنا وتلك أصولنا  
 واسترجعوا عهد القرون الأولى  
 في نزهة يتصيدون وعسولاً  
 ضعفاً ولا أمهالنا تلبس  
 لم يرتضوا غير العبداء سبيلاً  
 ونريد جبا دائماً موصولاً  
 اكرم بها بين الشعوب أحولاً

تطوان : محمد الخلوي

### الاشتراكات بمجلة "دعوة الحق"

الاشتراك السنوي بالداخل 55,00 درهما

الاشتراك السنوي بالخارج 67,00 درهما

\*

سنة المجلة ثمانية أعداد

# الإمام مالك

## ونخريته في تأصيل عمل أهل المدينة

لأستاذ الرحلى الفاروقى

ومفكرا من المفكرين الاعلام لما يتمتع به هذا الامام من صفة شرعية وصيغة دينية ، ولما يذكروا به مما نملك من ثروة فقهية وقيمة قانونية تتصل بصيانة الناس وتفصل بينهم في الحياة الدنيا ، ويعتبر هذا المهرجان الكبير من السمو في منابر التعبير ومناطق التفكير وهو ما يجعله يسر مسيرة عصره ويبحث مع ذلك حياة امله ، ويتعمق أماكن قوتها وتقوذا ومواضع عرها ومجدها فاشكر لهؤلاء الاعيان عنايتهم بهذا المهرجان واستجابتهم للدعوة في هذا المكان الذي تعتبر دعوته دعوة الشان واحتماء ودعوة ارتباط وانتماء وأسأل الله لنا ولكم ولمن جاء قبلكم او جاء بعدكم قوة الايمان وصحة الإرادة وإخلاص العمل في دائرة التعاون على البر والتقوى حتى يتأتى لنا ان نجتمع بين روابط الماضي وروابط الحاضر ، من دون ان يلتبس علينا الحق بالباطل ، ومن غير ان يشتبه عيت مفهوم الخير بمفهوم الشر ، وحتى لا تكسبون بيننا وبين الاسلام طبيعة ولا مسافة بعيدة ، فان الاسلام الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة هو اساس تاريخنا وحضارتنا وقاعدة عزتنا ومكانتنا ، ومن كان يريد العزة فله العزة جميعا ، ومن كان يريد القوة فله القوة جميعا ، وانما يقوم البناء الصحيح على اساس الايمان الصحيح ، وانما تكتسب العزة بالهداية والارشاد ، وبالأعداد والجهاد .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين .  
والصلاة والسلام على الانبياء والمرسلين وعلى آل  
والاصحاب كلهم أجمعين .

حضرات السادة العلماء الافاضل ، حياكم الله  
وبياكم وسلام عاطر بلباكم ورحمة الله تفشاكم ، وبعد .

فقد كان قام فيما مضى تفكير في احياء ذكرى  
من الذكريات الفقهية والمناسبات القومية باسم  
شخصية اسلامية وصالمة لها ميزات لها الخاصة في  
باب الفكر والمعرفة ومقامها المعروف بين الائمة  
المجتهدين والعلماء الراشدين ولها مذهب سمي  
وسوى عرف في انحاء الدنيا بالتمكن من مادة الفقه  
والحديث وبالأصابة في القول والعمل الا انه كتب له  
ان يستقر ويزدهر في المغرب العربي وعلى الاخص  
المغرب الأقصى الذي دخل اليه مذهب الامام مالك بن  
انس رحمه الله في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة على  
يد ابي ميمونة درار ابن اسماعيل المعروف  
بالمحدث .

وها هو المغرب الحديث يشهد الآن في عيد  
ملك قوامهم رفع الرايات والبثود واقام السدود  
والحدود يشهد اقامة مهرجان يتناول فيه علماءنا  
الاحلاء امامنا من ائمة الدين الحنيف ومجتهدنا من  
مجتهدى الفقه الشريف ومظلمنا من عظماء الاسلام



المرسلة ، ويتشدد في باب الطاعة والعبادة حتى انه لا يكاد يخرج عن الدلائل الواردة .

ومن طائف المغرب وخصائضه ان يكون منبوعه علم المدينة وخادم السنة وامام الائمة كما ان من دلائل ترجيح مذهبه ان يكون اتبعه اهل المغرب الوارد فيهم قوله صلى الله عليه وسلم : لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ) . كما قال .

ومن تأليف هذا الامام العظيم : رسالته الى الليث بن سعد في اهل المدينة واجماعهم ، ورسالته الى هارون الرشيد في الآداب والمواعظ ، ورسالته في القدر والرد على الفدرية ، وتفسيره لغريب لفرمان . وكتابه في النحر ومدبر الرمال ومنازل القمر ، ومنها غير ذلك الا ان اشهرها ذكرا واعظمها نفعا هو كتابه الموطا الذي كان اول ما ظهر في القرن الثاني بالمدينة الطيبة وأول من جمع بين شرفي الفقه والحديث ، فكان كتابا جامعاً لآبواب الحياة كلها ، وكان مقامه في الحديث معروفا في الدنيا بأسرها .

— ولذلك اعتنى به المسلمون شرقا وغربا وخدموه اجل الخدمات وشرحوه في أعلى مستوياتهم واستفادوا منه كل ما يشتهون في حياتهم الدينية والدنيوية ، ولا سيما المغاربة الذين اكبروه ونصروه ووضعوه فوق رؤوسهم — ومن ثم تم له الفضل وحق له ان يتبوأ مكان الصدارة فأمرى مكان المساواة — وذلك ان البلاغات والمراسيل التي يوجد فيه تساوي المعلقات في صحيح البخاري ، وكما ان المعلقات توجد متصلة في مواضع اخرى ككتابك المراسيل والبلاغات وجدت متصلة في أماكن اخرى كما حقق ذلك أبو عمرو بن عبد البر وغيره من الحفاظ والنقاد .

ومن بلاغاته في الاجتماع قوله : بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( ما من داع يدعو الى هدى الا كن له مثل اجر من اتبعه لا ينقص من أجورهم شيئا ، وما من داع يدعو الى ضلالة الا كان عليه مثل أوزارهم لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا ) .

وما اكثر ما نرى من جليل الذكريات وعظيم الاحتفالات ولكن ما احوجتنا الى الذكريات العاصرة بلقيم والمعاني والعلية بالاسرار والمعاني . وكذلك الى الرجبال الذين تصنع بهم الدنيا وتخضع لهم الاعناق ، يسبرهم على صراط الله لعباد الله . وجهادهم في سبيل الله ، واجتماع مثل هذه الصفات وهذه السمات قليل في الناس كما قال سيحانسه وتعالى : « وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » . وقليل ما هم — وكما قال : « وقليل من عبادي الشكور » .

والشخصية التي تكرمها اليوم ونجتمع حولها في هذا المكان وفي شهره من آحاء المغرب هي شخصية الامام مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر الاصمعي المدني ابو عبد الله المولود سنة 93 والمتولي سنة 179 في اصح الاقوال وأرجح الروايات ، وهذه الشخصية التي لها عدة جوانب خفية ومواهب هدية — تكونت في ظل أبيه الغريبي ، والثقافة الاسلامية ، وظروف الحياة الطيبة ، فلقد عاش رضي الله عنه في العرون المثلى عيشا يعول النبي صلى الله عليه وسلم : خيركم قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، فهو من السلف الصالحين واتباع التابعين الذين طلع نجمهم واتسع أفقهم وطار صيتهم ، فاتجه الرأي العام الاسلامي الى آرائه وافكاره لما امتاز به من الفقه في الكتاب والسنة . حتى ضربت اليه هابط الابل من كل بلد ، ورجع السيوخ اليه في العتق والسند ، كما كان شيخ ائمة المذاهب الذين شرق ذكرهم وعرب فحاز بذلك ثقة الائمة واصبح منابة وقدوة للامة بما حياه الله به من صفات خلقية ومزايا علمية وصراحة دينية — ومن اجل هذه الصراحة تعرض رضي الله عنه لضرب والاذاية فقد كانت الدولة في وقته تآخذ الناس بالطلاق في البيعة فافتهم رضي الله عنه بعدم لزوم الطلاق رغم تبيحه عن ذلك بل خرج الى الشارع وقال : من عرفني فقد عرفني الخ . وهكذا يكون العلماء لا يخافون في الله لومة لائم بل يصدعون بأمر الله كما قال الله لنبيه : « فاصدع بما تؤمر » .

ومن عادته في مذهبه رضي الله عنه انه يتوسع في باب الحياة والمادة حتى انه يقول فيها بالمصالح

لي عليك بالاطلاع على اقوال امام دار هجرتي وابوقوف  
عندها فانه شهد اتاري .

فامتثلت امره صلى الله عليه وسلم وطالعت  
الموطا والمدونة الكبرى ، ثم اختصرتها وميزت فيها  
المسائل التي تميز بها عن بقية الائمة عملا باشارته  
صلى الله عليه وسلم ، ورايته رضي الله عنه يقف  
عند حد الشريعة لا يكاد يتعداها وعلمت بذلك ان  
الوقوف على حد ما ورد أولى من الابتذاع ولو  
استحسن فان الشارع قد لا يرضى بتلك الزيادة في  
التحريم او في الوجوب . اهـ .

والى ذلك تناول قضية من اهم الفصايل .  
وعبره من اسد النظريات عنده وهي اعتبار استمرار  
عمل اهل المدينة راجحا ومقدما على غيره من اخبار  
الاحاد التي لم يصحبها عمل . اذ كان ذلك اصلا من  
اصول مذهبه ، وقاعدة من قواعده . بيد ان هذا  
الاصل قد تعرض لكثير من النقد والتعقب ، حتى  
بلغ احيانا حد الطعن والتعصب ، فمنهم من غاب عن  
نظرة القصد والحد ، ومنهم من غاب وقال هذا امر  
حدد ، وكل نزاع قائم ينشأ عن سوء الفهم او عن  
سوء القصد ، وكيفما كان الحال فالخلاف طبيعة  
بشرية لا تقاوم ، ولكننا قد نحاكم .

وقبل ان نأخذ في عرض القضية وبوضيح  
مراميها ، وتقديم شواهدنا نذكر بشيء من صفات  
الامام مالك اذ الاخلاق هي اساس العلم والتجاح ،  
وباب الخير والفلاح .

لقد كان رحمه الله معروفا بالامانة في الفقه  
واحكامه ، وبجودة النظر في ما أخذ ومداوكه ،  
وبالحظوة في معرفة السنن والانار ، وحفظ سيرة  
رواة الاخبار ، كما اعتبر ذلك اهل عصره ، واعترف  
به اهل مصره ، وشاهد ذلك أولا - انه اول من وطئ  
للناس الحديث ، واول من الف في تفسير غريب  
الحديث ، واول من اشتهر بالجمع بين شرق الفقه  
وشرق الحديث - وانه اعلى سندا وثبت نظرا  
واصح بصرا ، وشاهد ذلك ثانيا ان ابا عبد الله  
البخاري وهو ادرى بعلم الحديث وباهل الحديث قد  
ملا جامعه الصحيح بالرواية عنه . وفي الوقت ذاته  
لم يرو عن الامام الشافعي والامام ابي حنيفة ولا  
حديثا واحدا - وليس هذا خطأ من قدرهما ولا تقصا

ومن احاديثه في الاجتماع حديث ام سلمه  
قالت : قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون  
قال نعم اذا كثرت الخيث ، ومصدق هذا قول الله  
تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم  
خاصة » والفتنة تشمل الفوضى في الاخلاق التي  
تنشأ عن ركوب الهوى والمحارم ، والفوضى في  
الاوراق التي ترتب على وجود الحيل والمظالم .

وقد دلت هذه التصوص الكريمة على ان طبيعة  
الاسلام لا تقبل الخيث والفساد ، وان تقوم على  
العدالة والطهارة ، وان العبرة بالاكثرية لا بالقل  
وبطهارة الباطن لا بطهارة الظاهر وان كان الظاهر  
عنوان الباطن .

ومثل هذه الشخصية التي تناولت بها  
الاعتناق ، ورحل اليها الناس من كل الافاق ، تناولها  
العلماء بالدراسة وأولوها مزيدا من العناية وحلوا  
بعمق في البيئة والاجتماع ، وفي السلوك والاخلاق  
وفي الفكر والاصلاح ، وفي العطاء والانتاج ، كيف  
وهو من اجل المجتهدين المشهورين بأفكارهم الرشيدة  
وانظارهم السديدة ، والمعروفين بشدة اتباعهم  
وتعظيمهم للشريعة المعصومة في السر والخفاء ، وفي  
لجهر والضحاء .

وكفاه فضلا وثناء قول السلفه الصالح كسفيان  
ابن عيينة رحمه الله في الحديث الذي تردد ذكره  
وتعدد لفظه ، يوشك ان يضرب الناس آباطه الابل في  
طلب العلم فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة ، انه  
مالك بن انس .

والناس اكيس من ان يمدحوا رجلا  
حتى يروا عنده آثار احسان

قال القاضي عبد الوهاب البغدادي : لا ينزع  
في هذا الحديث احد من ارباب المذاهب اذ ليس  
مبهم من له امام من اهل المدينة فيقول العرادي به  
امامنا ، ونحن ندعى انه امامنا بشهادة السلف له انه  
اذا اطلق عالم المدينة او امام دار الهجرة فالمراد به  
مالك دون غيره من علماء المدينة .

وقال الامام الشعرائي رحمه الله تعالى في  
الميزان : رايت النبي صلى الله عليه وسلم مرة وقال

من مرتبتهما حاشا وكلا وانما هو بيان للمواهب ، وتقدير للمناصب ، واما الامام احمد وهو من هو في الحديث فروى عنه حديثين لا غير لانه ادرك شيوخه ، واهل الحديث يرغبون دائما في علو السند ، ولا ينزلون عن ذلك الا لغرض .

وقد كان رحمه الله حاملا لصفات العلم ولاخلاق العلماء ، وسالكا سبيل التبيين والتثبت في المشكلات . ومتحررا من الكلام في المعوصات ، وذلك ما سلك به سلك الاولين ، وجعله يسير على سنن الماضين ، يراه الناس اهلا للرئاسة والصدارة ، ويرى هو نفسه دون ذلك ، - تواضعا لربه وغضبا لنفسه ، ومن شأن العظماء عدم الرضا عن انفسهم ، وقلة النظر الى اعمالهم ، قال مالك رحمه الله ربما وردت على المسألة تمنعتي من الطعام والشراب والنوم فقليل له يا ابا عبد الله ، والله ما كلامك عند الناس الا تقر في حجر ما يقول شيئا الا تلقوه بالقبول ، قال فمن احق ان يكون هكذا ، الا من كان هكذا ، قال الراوي فرأيت في الثوم قائلا يقول : مالك معصوم - وقال اني لا أعكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة فما اتفق لي فيها رأى الى الآن وكان اذا سئل عن المسألة قال للسائل انصرف حتى انظر فيها فليصرف ويردد فيها ، فقبل له في ذلك فيكي ، وقال اني أخاف ان يكون لي من المسائل يوم وأى يوم - وكان اذا سئل عن مسألة تغير لونه ، وتكسر رأسه ، وحرك شفتيه ، قائلا ما شاء الله لا قوة الا بالله - وكان يقول من احسب ان يجنب عن مسألة فليعرض نفسه قبل ان يجنب - على الجنة والنار ، وكيف يكون خلاصه في الآخرة - وقال ما شيء أشد على من ان اسأل عن مسألة من الحلال والحرام لان هذا هو القطع في حكم الله ، ولقد أدركت اهل العلم والفقه ببلدنا وان أحدهم اذا سئل عن مسألة كان الموت اشرف عليه ورأيت اهل زماننا هذا يشتهون الكلام والفتيا ، ولو وقفوا على ما يصيرون اليه قدا لقللوا من هذا ، وان عمر بن الخطاب رجليا وعامة خيار الصحابة كانت ترد عليهم المسائل وهم خير القرن الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت يجتمعون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويسألون ثم حينئذ يفتون ، واهل زماننا هذا قد صار فخرهم الفتيا فيقدرو ذلك يفتح لهم من العلم - قال ولم يكن من امر الناس ولا من مضى من سلفنا الذين يقتدى بهم ، ومعزل الاسلام عليهم ، ان يقولوا هذا حلال وهذا حرام ، ولكن يقولون انا اكره

كذا وأرى كذا ، واما « حلال وحرام » فهذا الافتراء على الله « قل ارايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله فترون » لان الحلال ما حله الله ورسوله والحرام ما حرمناه .

وسأل رجل مالكا عن مسألة وذكر انه ارسل فيها من مسيرة ستة أشهر من المشرب فقال له اخير الذي ارسلك انه لا علم لي بها ، قال ومن يعلمها ، قال من علمه الله ، وسأله رجل آخر فلم يجبه فقال يا ابا عبد الله اجنبي فقال ويحك تريد ان تجعلني حجة بينك وبين الله فاحتاج انا اولا ان انظر كيف خلاصي ثم اخلصك ، وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال لي اثنين وتلاتين عنها لا أدري ، وكان يقول في أكثر ما يسأل عنه لا أدري ، ويقول اذا اخطأ العالِم لا أدري أصيبت مقاتله ، قال عمر بن يزيد فقلت لمالك في ذلك فقال يرجع اهل الشام الى شامهم ، واهل العراق الى عراقهم ، واهل مصر الى مصرهم ، قال فأخبرت الليث بذلك فبكى وقال - مالك والله اقوى من الليث - قال ابو مصعب قال لنا المغيرة تعالوا نجتمع كل ما بقي علينا مما نريد ان نسال عنه مالكا فمكثنا نجتمع ذلك وكثبنا ، ووجه به المغيرة اليه وسأله الجواب فأجابه في البعض وكتب في الكثير منه لا أدري فقال المغيرة يا قوم لا والله ما رفع الله عدا الرجل الا بالتقوى ، من كان منكم يسأل عن هذا فيرضى ان يقول لا أدري - وكان يقول لاصحابه كما رواه عنه صاحبه مع بن عيسى الفزار انما انا بشر أصيب واخطيء فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وكل ما لم يوافق ذلك فانركوه .

عده جملة القينا بها لتبين ان العلم لا ينمو ولا يسمو الا في قلوب اهل الدين والورع ، ولتبيين بها من يكون من العلماء اولى بالاجتهاد والاتباع ، وليتخذ ذلك قانونا في سائر العلماء فان هذه الصفات موجودة في سائر هداة الاسلام غير ان بعضهم اشد اتصافا بها من بعض .

ثم انه لا جدال ان كل امام من أئمة الاجتهاد له قواعد معينة ، وتسايم محددة ، يركزون عليها احكامهم الفقهية ، ودلائلهم النظرية - واذا تأملت منازع الفقهاء ، ومناهجهم في الفقه ، واجتهادهم في الشرع ، وجدت مالكا رحمه الله تاهجا في هذه



القواعد خير العناهج ، وسألتها فيها أفضل المسالك ،  
ومرتباً لعراتها ومداركها أحسن ترتيب ، مقدماً كتاب  
الله على الآثار ، ثم هي على القياس والاعتبار ، تاركا  
متباً ما لم يتحملة الثقات العارفون بما يحملونه -  
أو ما يحملونه ووجد الجمهور من أهل المدينة قد  
عملوا به وماروا على خلافه - وهم مركز الإسلام  
ومواطن الإيمان ، وأعرف بالتقديم والحديث ، وأولى  
بالتمسك والتسك ، ولأن لمدينة متورة مزايها  
وفضائل متورة ، ولاهليها مواقف ومقامات مشهورة -  
وقد تكلم الإمام البخاري رحمه الله آخر كتاب الحج من  
جامعه الصحيح على فضلها ، وتكلم في آخر كتاب  
الاختصاص على فضل أهلها ، وترجيح علمهم على علم  
غيرها ، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم :  
المدينة كالكير تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث  
الحديد ، والخطأ في الدين خبث ، وقوله أن الإيمان  
ليأرز إلى المدينة كما تآرز الحية إلى جحرها ، إلى  
غير ذلك من الأحاديث التي تتكلم عن المدينة  
وخصائصها ، ومن ذلك ما استنده البخاري في المتبر  
والمد والساع وغير ذلك مما يدل على تقديم أهل  
المدينة في العلم على غيرهم وترجيح ما ذهب إليه  
الإمام مالك رحمه الله .

وقال القاضي عياض في المدارك - باب فضل  
علم أهل المدينة وترجيحه على علم غيرهم واقتداء  
السلف بهم - قال زيد بن ثابت إذا رأيت أهل المدينة  
على شيء فاعلم أنه السنة ، قال ابن عمر لو أن الناس  
إذا وقعت فئة ردوا الأمر إلى أهل المدينة لصلح  
الأمر ولكنه إذا نقي ناعق تبعه الناس - قال مالك كان  
ابن مسعود يسأل بالعراق عن شيء فيقول فيه ، ثم  
يقدم المدينة فيجد الأمر على غير ما قال فإذا رجع لم  
يحط رحله ، ولم يدخل بيته ، حتى يرجع إلى ذلك  
الرجل فتخبر بذلك ، قال وكان عمر بن عبد العزيز  
يكتب إلى الأمصار يعلمهم السنن والفقه ، ويكتب إلى  
المدينة سألهم عن مضي وعلمون بما عندهم ، ويكتب  
إلى أبي بكر بن حزم أن يجمع له السنن ويكتب بها  
إليه فتوفي وقد كتب له ابن حزم كتاباً قبل أن يبعث  
نفا إليه . قال مالك والله ما استوحش سعيد بن  
المسيب ولا غيره من أهل المدينة لقول قائل من  
الناس ، وقال عبد الله بن عمر ابن الخطاب - كتب  
إلى عبد الله بن الزبير - وصيد الملك بن مروان كلاهما  
يلدوني إلى المشورة فكتبت إليهما أن كنتما تريدان

المشورة فكتبكما بدار الهجرة والسنة - وقال رجل  
لأبي بكر بن حزم في أمر والله ما أدري كيف أصنع في  
كذا فقال أبو بكر يا ابن أخي إذا وجدت أهل هذا  
البلد قد اجمعوا على شيء فلا يكن في قلبك منه  
شئ - وقال الإمام الشافعي أما أصول أهل المدينة  
فليس فيها حيلة من صحت - قال الإمام مالك كان  
ابن سيرين أشبه الناس بأهل المدينة في ناحية ما  
أخذ به .

قال مسعود بن كدام قلت لحبيب بن أبي ثابت  
أيما أعلم بالسنة أو بالفقه أهل الحجاز أم أهل العراق  
قال أهل الحجاز - وقال الشافعي رحمه الله كل  
حديث ليس له أصل بالمدينة فقيه ضعيف .

### رسالة الإمام مالك إلى الليث بن سعد

من مالك بن انس إلى الليث بن سعد سلام  
عليكم فاني أحمد الله اليك الذي لا اله الا هو اما بعد  
عصمتا الله وأيدك يضاعفته في السر والعلانية ، وعافانا  
وأياك من كل مكروه اعلم رحمك الله أنه بلغني أنك  
تفتي الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس  
عندنا وبيلدنا الذي نحن فيه . وأنت في امامتك  
وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجة من قبلك  
اليك ، واعتمادهم على ما جاءهم منك ، حقيقسق بأن  
نحاف على نفسك وتببع ما ترجو النجاة باتباعه - فان  
الله تعالى يقول : « والسابقون الاولون من المهاجرين  
والانصار » الآية وقال تعالى : « فيشر عبادي الذين  
ستمعون القول فيتبعون أحسنه » فالكما الناس تبع  
لأهل المدينة اليها كانت الهجرة ، وبها نزل القرآن .  
وأحل الحلال وحرم الحرام ، أذ رسول الله -  
أفهمهم ، يحضرون الوحي والترييل ، ويأمرهم  
قيطيعونه ، ويبين لهم فيتبعونه ، حتى تؤتاه الله  
واختار له ما عنده صلوات الله عليه ورحمته وبركانه  
م قام من بعده اتبع اناس له من أمته ممن ولى الأمر  
من بعده فما نزل بهم مما علموه انفذوه ، وما لم يكن  
مندهم فيه علم سألوا عنه ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا  
في ذلك - في اجتهدهم وحدانية عهدهم - وأن  
خالفهم مخالف أو قال أمرؤ غيره أقوى منه وأولى  
ترك قوله وعمل بغيره ، ثم كان التابعون من بعدهم  
يسلكون تلك السبيل ويتبعون تلك السنن ، فإذا كان  
الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به لم أر لأحد خلافه لشيء

في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لأحد انتحالها ولا ادعائها .

ولو ذهب أهل الامصار يقولون هذا العمل ببلدنا ، وهذا الذي مضى عليه من مضى منا لم يكونوا من ذلك على ثقة ، ولم يكن لهم من ذلك الذي جاز لهم ، فاعلموا وحكم الله فيما كتبت اليك فيه لنفسك وأعلم اني أرجو ان لا يكون دعائي الي ما كتبت به اليك الا النصيحة له تعالى وحده . والنظر لك ، والظن بك ، فانزل كتابي منك منزلته ، فانك ان فعلت تعلم اني لم آلك تسعيا وفقنا لله وياك لطاعته وطاعة رسوله في كل امر وعلى كل حال حال والسلام عليكم ورحمة الله وقد وافقه الليث رحمه الله في جوابه ، على ما اشار اليه في كتابه ، وانما تركته اجتنابا للطول وتقديرا لثوقت ، ثم قال في المدارك « باب ما جاء عن السلف والعلماء في وجوب الرجوع الى عمل أهل المدينة ، وكونه حجة عندهم وان خالف الاكثر » :

روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المشبر اخرج بالله على رجل روى حديثا العمل بخلافه - قال ابن القاسم وابن وهب - رأيت العمل عند مالك اقوى من الحديث - قل مالك وقصد كان رجال من أهل العلم عن التابعين يحدثون بالاحاديث وتبلغهم عن غيرهم فيقولون ما نجهل هذا ولكن مضى العمل على غيرهِ .

قال مالك رايت محمد بن ابي بكر بن حزم وكان قاضيا وكان اخوه عبد الله كثير الحديث رجل صدق فسمعت عبد الله اذا قضى محمد بالقضية قد جاء فيها الحديث مخلفا للقضاء يعاتبه ويقول له ألم ياب في هذا حديث كذا فيقول بلى فيقول اخوه فما بالك لا تقضي به فيقول فآين الناس عنه - يعني ما اجمع عليه من العلماء بالمدينة - يريد ان العمل بها اقوى من الحديث - قال ابن المعمد سمعت انسبا سال ابن الماجشون - لم رويت الحديث ثم تركتموه قال ليعلم اتنا على علم تركناه - قال ابن مهدي السنة المتقدمة من سنة أهل المدينة خير من الحديث - وقال ربيعة الف عن الف احب الي من واحد عن واحد - قال ابن ابي حازم كان ابو الدرداء رضي الله عنه يسأل فنجيب فيقال انه يلغنا كذا وكذا بخلاف ما قال فيقول وانا قد سمعته ولكنني ادركت العمل على غير ذلك - قال ابن ابي الزناد كان عمر بن عبد

العزير يجمع الفقهاء ويسألهم عن السنن والاقضية التي يعمل بها فيثبتها ، وما كان منه لا يعمل به الناس الغاه وان كان مخرجهم من ثقة ، وقال مالك رحمه الله انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة كذا في نحو كذا وكذا الفا من الصحابة مات منهم بالمدينة نحو عشرة آلاف وباقهم تفرق بالبلدان قايما اخرى ان يتبع ويؤخذ بقولهم - من مات عندهم التي صلى الله عليه وسلم واصحابه الذين ذكرت - او مات عندهم واحد او اثنان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال عبيد الله بن عبد الكريم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الف عن تطرف انتهى .

ولقد اشيع القاضي رحمه الله انكلام في هذه المسألة واحال في ترجيحها والدفاع عن وجوها : وهي مسألة وان تبناها الامام مالك رحمه الله واقام مذهبه عليها فهي قضية السلف الصالح مسن الصحابة والتابعين كما سمعت ورأيت وكان الاختلاف في فهم هذه القضية نشأ عن الاختلاف في القصد ومن المفهوم ان القصد هو الاجماع او شبه الاجماع الذي لا مجال فيه للرأي - وهو العمل المستند الى الأصول وقالوا يرجع الخبر على معارضه بعمل اكثر الدليل الشرعي لا مجرد العمل كما صرح بذلك علماء السلف - ويعمل أهل المدينة وقد قال الامام مالك ومن ثم كان رحمه الله في الموطأ يأتي بالانار عن الصحابة والتابعين مبيحة بها المتن وما يعمل به منها وما لا يعمل به ، وما يقيد به المطلق وما يخص به العام ، وكثيرا ما تراه يقول في الموطأ - الامر المجتمع عليه عندنا - او السنة التي لا اختلاف فيها عندنا - او من السنة كذا ومراده رضي الله عنه بذلك عمل أهل المدينة وليس اتباع عمل المدينة لعصمة أهلها ، وانما ذلك لكونهم اعرف بالوحي وبالمراد منه ، واعرف بالقديم منه والجديد - لان المدينة مهيطة الوحي وهم حاضرون فيها وغيرهم غائبون فيكون ضبط الوحي فيها ايسر وأكثر ومن اجل ذلك رجح العلماء والمحدثون الاحاديث الحجازية على الاحاديث العراقية حتى قالوا اذا جاوز الحديث الحرة انقطع حاكمه .

وقال ابو اسحاق الشاطبي رحمه الله في مبحث ترجيح الدليل باستدالة العمل بمقتضاه او بكثرته - ما نصه رحمه الله احب الاحاديث الي ما اجتمع عليه الناس -

ومن هذا المكان يتطلع الى قصص مالك رحمه الله في جعله العمل مقدما على الاحاديث - اذ كان انما يراعي كل المراعاة العمل المستمر والاكثر ويترك ما سوى ذلك وان جاء فيه احاديث ، وكان ممن ادرك التابعين وراقب اعمالهم ، وكان العمل المستمر فيهم مأخوذا عن العمل المستمر في الصحابة ولم يكن مستمرا فيهم الا وهو مستمر في عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم او في قوة المستمر - وقد قيل لمالك ان قوما يقولون ان التشهد فرض فقال اما كان احدهم يعرف التشهد فاشار الى الانكار عليه بان مذهبهم كالمبتدع الذي جاء بخلاف ما عليه من تقدم .

وسأله ابو يوسف عن الاذان فقال مالك وما حاجتك الى ذلك فحجبا من فقيه يسأل عن الاذان ، ثم قال له مالك وكيف الاذان عندهم فذكر مذهبهم فيه فقل من اين لكم هذا فذكر له ان بلالا لما قدم الشام سأله ان يؤذن لهم فاذن لهم كما ذكر عنهم ، فقال له مالك ما ادري ما اذان يوم وما صلاة يوم هذا مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولده من بعده يؤذنون في حياته وعند قبره وبعضه الخلفاء الراشدين من بعده - فاشار مالك الى ان ما جرى عليه العمل وثبت مستمرا اثبت في الانبأ وأولى ان يرجع اليه - وقد بين في العتبية اصلا لهذا المعنى عظيم يجعل موقعه عند من نظر الى مقرئه - وذلك انه سئل عن الرجل ياتي اليه الامر يحبه فيسجد لله شكرا فقال لا يفعل ، ليس مما مضى من امر الناس قيل له ان ايا يكر الصديق فيما يذكرون سجد يسوم اليماة شكرا فسمعت ذلك قال ما سمعت ذلك وأرى ان كذبوا على ابي بكر وهذا من الضلال ان يسمح المرء الشيء فيقول هذا شيء لم تسمع له خلافا ، ثم قال قد فتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين بعده فسمعت ان احدا منهم سجد - اذا جاءك مثل هذا مما كان في الناس وجرى على ايديهم لا يسمع منهم فيه شيء فعليك بذلك ، فانه لو كان للذكر لانه من امر الناس الذي قد كان فيهم - فهل سمعت ان احدا منهم سجد فهذا اجماع اذا جاءك الامر لا تعرفه فدعه ، هذا ما قال وهو واضح في ان العمل العام هو المعتمد على اي وجه كان وفي اي محل وقع ولا يلتفت الى قلائل ما تقل ولا نوادر الافعال اذا عارضها الامر العام والكثير - وسجدوا الشكر ان فرضنا ثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم

لم يداوم عليه مع كثرة البشائر التي تواليا والتهم التي اقرغت عليه ، فلم ينقل عنه موافقة على ذلك ولا جاء عن عامة الصحابة منه شيء الا في التدوة مثل كعب بن مالك اذ نزلت توبته فكان العمل على وفقه تركا للعمل على وفق العامة منهم - ومن ذلك حديث الصيام عن الميت قانه لم ينقل استمرار عمل به ولا كثرة ، فان غالب الرواية فيه دائرة على عائشة وابن عباس رضي الله عنهم وهما أول من خلفاه فروى عن عائشة انها سئلت عن امرأة وعليها صوم فقالت اطعموا عنها - وعن ابن عباس انه قال لا يصوم احد من احد .

قال مالك ولم اسمع ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن التابعين بالعدينة - امروا احدا ان يصوم عن احد ولا يصلي احد عن احد وانما يفعل ذلك كل احد عن نفسه - فهذا اختيار بترك العمل دائما في معظم الصحابة ومن يليهم وهو الذي عول عليه في المسألة - وقد سئل عن سجود القرآن في الفضل وقيل له اتسجد انت فيه فقال لا وقيل له انما ذكرنا هذا لك لحديث عمر بن عبد العزيز فقال احب الاحاديث الي ما اجتمع عليه الناس وهذا مما لم يجتمع الناس عليه وانما هو حديث من حديث الناس .

واعلم من ذلك القرعان - يقول الله تعالى : « منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات » فالقرعان اعظم خطرا وفيه الناسخ والمنسوخ فكيف بالاحاديث ، وهذا ظاهر في ان العمل يأخذ المتعارضين دليل على انه الناسخ للآخر اذ كانوا انما ياخذون بالاحداث فالاحداث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عن ابن شهاب الزهري انه قال اعيا الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسخه ومنسوخه وهذا صحيح - ولما اخذ مالك بما عليه الناس وطرح ما سواه انضبط له الناسخ من المنسوخ على يسر والحمد لله - وبسبب ذلك ينبغي للعامل ان يتحرى العمل على وفق الاولين فلا يسمع نفسه في العمل بالقليل الا عند الحاجة ومن الضرورة .

اما لو عمل بالقليل دائما للزومه امور :

1 ( ) المعاناة للاولين في تركهم الدوام عليه وفي مخافة السلف الصالح ما فيها من الضرر .



2 ا واستلزام ترك ما داوموا عليه اذ المفروض انهم داوموا على خلافه هذه الآثار يادامة العمل على موافقة ما لم يداوموا عليه مخالفة لما داوموا عليه .

3 ) وكون ذلك ذريعة الى اندراس اعلام ما داوموا عليه واشتهروا ما خالفه والاقتداء بالافعال ابلغ من الاقتداء بالاقوال فالحذر الحذر من مخالفة الاولين فلو كان ثم قصل ما لكان الاولون أحق به ، والله المستعان اهـ .

ومن جراء ذلك لم يجمع أهل السنة دعوى الرافضة ان النبي صلى الله عليه وسلم نصح على علي رضي الله عنه انه الخليفة بعده لأن عمل كافة الصحابة على خلافه دليل على بطلانه أو عدم اعتباره - ولأن الصحابة لا تجتمع على خطأ وضلال - وكثيرا ما تجد أهل البدع يستدلون بالكتساب والسنة يحملونهما مذهبهم ويفترون بمشبهاتهما في وجوه العامة ويظنون انهم على شيء مما يعمل المتأخرون من هذا الجنس مخالف لاجماع الاولين وكل من خالف اجماع الاولين فهو مخطيء وقال .

وبعد فما انبتناه في هذه الكلمة المتواضعة والموضوعة في تحقيق اصل من اصول المذهب

المالكي كاف ان شاء الله في رد الافاويل وشبهه التأويل - ونال على ان مالكا رحمه الله قد ألهم السداد وتصرف تصرف الرشاد ، وان ذلك ليس بدعا منه ولا خاصا به وانما هو السنة الفلانة ، والعمل الدائم المستمر ، والقول الصادر المتكرر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعهم ، وان ذلك داخل في نطاق التاسخ والمسخ - وان الاجماع اكبر من كل شيء ومن اجماع أهل المدينة وذلك هو وجه الحق وعن الصواب وإلى الله سبحانه المرجع والمآب .

واخيرا نسأل الله العلي الاعلى أن تنير هذه الذكرى المالكية معالم الطريق وان يكون لها نجاح ملحوظ وانر محفوظ حتى يقوم الناس لله منسى وفرادى ثم يتطهروا من الاهواء والافاعيل ويتناصروا اذا هجمت الاهوال والباطيل ، وشكروا للعلماء واكبارا للعلم الذي اوانا سعادة الدنيا وسعادة الآخرة كما اوانا عجائب الحياة في خلايا الكائنات ودعاء لصاحب الجلالة والمهابة بالنصر والتأييد ولولسي عهدك بالحفظ واستمراره .

### مصادر مقريية في موسوعة المواهب اللغنية

للاستاذ سعيد اعراب  
أفسرا العدد القادم

# ابن زيد القيرواني ورسالته

## للاستاذ أحمد محنون

وضعف بها بعد أربع مائة سنة ، وضعف بالبصرة بعد  
خمس مائة سنة ، وغلب في خراسان على قزوين ،  
وظهر بنيابور وكان له بها وبغيرها اتباع وأئمة  
ومدرسون ، وكان ببلاد فارس ، وانتشر ببلاد اليمن ،  
وكثر في بلاد الشام (1) .

واجتمع للمالكية قضاء عواصم الاسلام في  
اقرن الثالث ، فكان « اسماعيل بن اسحاق »  
المشوفي سنة 282 هـ قاضي القضاء الاعلى ببغداد ،  
و « الحارث بن مسكين » بمصر ، و « عبد السلام  
سحنون » قاضي القضاة بالقيروان وممالك افريقيا ،  
و « يحيى بن يحيى الليثي » مستشاراً في تعيين  
القضاة بالاندلس (2) .

وذكر « ابن خلدون » في ( المقدمة ) (3) أن  
اهل المغرب والاندلس اختصوا بالمذهب المالكي وأن  
كان يوجد في غيرهم الا أنهم لم يقلدوا غيره الا في  
القليل ، وعلل ذلك بأن رحلتهم كانت غالباً الى  
الحجاز ، وهو منتهى سفرهم ، والمدينة يومئذ دار  
العلم ومنها خرج الى العراق ، فانتصروا عن الاخذ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا  
محمد وآله وصحبه اجمعين

### مدخل موضوعي :

قبل الحديث عن ابن ابي زيد القيرواني ورسالته  
يجمل بنا ونحن في ندوة للامام مالك أن تشير باختصار  
الى المذهب المالكي واستقراره بالمغرب واهم  
مصادره .

في حياة الامام مالك ، تجاوزت شهرته دار  
الهجرة والحجاز ، الى اقطار العالم الاسلامي ، فكانت  
اليه رحلة طلاب العلم للاخذ عنه ، وتفرق تلاميذه  
ومريدوه في مختلف الاقطار فكان ذلك سبباً في  
انتشار مذهبهم .

ذكر « القاضي عياض » أن المذهب المالكي  
غلب على : اهل الحجاز ، ومصر وبلاد افريقيا ،  
والاندلس ، وصقلية ، والمغرب الأقصى وما جاوره  
من بلاد السودان ، وظهر ببغداد ظهوراً كبيراً ،

(1) المدارك 1 / 67 .

(2) الفكر الباسي 3 / 105 .

(3) ص : 449 .

بني مرين ، وانتعش من جديد ، واستمر عمدة القضاة  
والمفتين ، الى اليوم .

\* \* \*

تلقي المغرب المصادر الامهات للفقہ المالكي ،  
فوعاها رواية وحفظا ، ثم اتقنها دراية وفقها .

واول هذه المصادر :

( الموطأ )

وهو لول تدوين في الحديث والفقه - فيما  
تعلم ، والله اعلم - وقد توخى فيه الإمام مالك القوي  
من اهل الحجاز ، ومزجه بأقوال الصحابة وفناوي  
التابعين ، وبويه على ابواب الفقه فأحسن التبويب ،  
وأودعه أصول الاحكام من الصحيح المتفق عليه .  
واستغرق تأليفه وتعليقه نحو أربعين سنة ، ولم  
يخرجه حتى عرضه على بعض عالماء من علماء  
المدينة كلهم وأفقوه عليه .

والفي كل ما تعلق به طعن في المتن أو السند ،  
وما لم يقع به عمل الائمة . وتجنب رخص ابن عباس ،  
وتشديدات ابن عمر ، وشواذ ابن مسعود .

وذكر القاضي عياض نقلا عن سليمان بن بلال  
أن مالكا وضع الموطأ وفيه أربعة آلاف حديث أو  
أكثر ، فمات وهي ألف حديث ونيف ، يخلصها عاما  
عاما بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في  
الدين . (7) وذكر غيره أنه اختاره من أكثر من  
ذلك (8) .

واقبل الناس عليه لتحريه في النقل ، وانتقاء  
أحاديثه ورجاله ، وحسن نسبه وترويه واعترفوا

على علماء المدينة ، وشيخهم وإمامهم مالك وشيوخه  
من قبله وتلاميذه من بعده ، فرجع اليه اهل المغرب  
والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم  
طريقته .

كما عجل ذلك بعة أخرى ، وهي أن اهل المغرب  
والأندلس كانت غالبة عليهم البداوة ولم يكونوا يعانون  
الحضارة التي لاهل المراق ، فكانوا الى اهل الحجاز  
أميل لمناسبة البداوة )) .

ثم ضعف مركز المالكيين في عدد من الاقطار  
الإسلامية ، حيث اتى من المنافسة والمحاربة الشيء  
الكثير ، وسائد الولاة والمسؤولون مذاهب أخرى  
وركزوها ، ولكنه احتفظ بقوته ونفوذه في المغرب  
الى اليوم ، ولم تؤثر فيه حملات الفاتحين وما حملوه  
من مذاهب ، منذ أن ادخله الى المغرب وإلى فاس  
« المحدث الفقيه درأس بن اسماعيل » المتوفى  
سنة 357 هـ (4) .

واختفى بذلك المذهب المحتفي الذي ظهر بفاس  
قبل ذلك كما نبه عليه القاضي عياض (5) .

ونشير الى أن المذهب المالكي مر في المغرب  
بفترات عصبة ، واعتراه فتور في آخر القرن الرابع  
بسبب جماعة من الشيعة ظهروا بالمغرب والقيروان ،  
وحملوا الناس على ترك مذهب مالك والسنة ،  
وأصاب العلماء منهم بلاء عظيم .

ثم ما كان من قطعة الموحدين الذين صرفوا  
الناس عن كتب المالكية وأحرقوها والزعموا بمذهب  
الظاهرية كما يدل على ذلك كلام المراكشي في  
المعجب (6) . وسموا ذلك اجتهدا ورجوعا الى  
الكتاب والسنة ، الى أن أعاد له ولرجاله النفوذ أيام

(4) أنظر ترجمته في الفكر السامي 3 / 115 .

5: المــــــــــــــــدارك 1 / 65 .

(6) المعجب في أخبار المغرب ص 278 ، فقد ذكر المراكشي أنه شاهد بنفسه أيام أبي يوسف يعقوب  
المتصور الموحدي احتمالا من أمهات المذهب المالكي يؤتي بها وتطلق فيها النار .

(7) المــــــــــــــــدارك 2 / 73 .

(8) أنظر الزرقاني على الموطأ 1 / 8 .



أحكامها على مذهب مالك أو مذهبه هو ، وسمع من  
أشهب وغيره .

ثم رجع بها إلى القيروان ونشرها وكان قاضيا  
هناك ، وأخذت المدونة إذ ذاك اسم ( الاسدية )  
نسبة إليه ، ثم أخذها عنه « سحنون » ، وذهب إلى  
مصر سنة 188 هـ واتصل بابن القاسم ، فقرأ عليه  
مدونة أسد وصححها ، ورجع ابن القاسم عن أشياء  
منها ، وأصلح فيها مسائل ، ثم رجع بها سحنون إلى  
القيروان سنة 191 هـ ، وطلب من أسد أن يصلح  
نسخته ويغيرها وفق ما أتى به . فامتنع من ذلك .  
وكان هذا - على ما قيل - سببا في ترك مدونته  
( الاسدية ) وأقبل الناس على ( مدونة سحنون ) (11) .

قال ابن يونس في جامعه : « ورحل سحنون  
إلى ابن القاسم حتى هذب هذه المدونة والمختلطة  
وحصلت أصل علم المالكيين ، وتقدمت على سائر  
الدواوين يعد موطأ الإمام مالك رحمه الله » .

\* \* \*

كانت ( مدونة سحنون ) في التأليف على ما  
جمعه أسد أولا ، غير مرتبة المسائل ، ولا مرسومة  
التراجم ، فرب سحنون أكثرها ، وشرح آراءها ،  
واحتج لبعض مسائلها بالأثر من روايته من موطأ ابن  
وهب وغيره . وضم عددا كبيرا من المسائل زيادة  
على ما كانت عليه الاسدية التي جمعت ستة وثلاثين  
ألف مسألة على ما ذكره ابن فرحون في ترجمة ابن  
عبد الحكم (12) .

وأخذت اسم المختلطة أيضا لاختلاط المسائل  
في الأبواب (13) .

وتيسيرا لتداول ( مدونة سحنون ) وتقريبها  
للمرجوع إليها ، اختصرها « ابن أبي زيد القيرواني »  
في كتابه ( المختصر ) ثم أتى دور « أبي سعيد خلف

لمؤلفه بالإمامة في الحديث والصدق في الرواية .  
ورحل إليه علماء الإقطار الإسلامية ليأخذوه عنه .  
ووصل الموطأ تراترا إلى الأفاق في حياة مؤلفه ،  
وقيل أنه أصبح كتاب يعد كتاب الله .

قال الشافعي : « ما في الأرض كتاب في العلم  
أكثر صوابا من كتاب مالك » وقال : ما على الأرض  
كتاب أصبح من كتاب مالك ، وما كتب الناس بعد  
القرآن شيئا هو أنفع من موطأ مالك ، وإذا جاء الآخر  
في كتاب مالك فهو في الشربا » (9) .

وطلب إليه أحد خلفاء بني العباس أن يعلق  
كتابه في الكعبة ، ويفرقه في الأفاق ويحمل الناس  
على العمل به ، فلم يوافق على ذلك ، واعتل بأن  
الصحابة تفرقوا في الأمصار ورووا أحاديث غير  
أحاديث أهل الحجاز التي اتهموها . وآثر أن يترك  
للناس حريتهم ، ولم يشأ أن يجعل للسياسة دخلا في  
نشر كتابه . وذاعت له مع ذلك شهرة كبيرة ، وكان  
سببا في انتشار مذهبه ، وأعتنى الناس به شرقا  
 وغربا ، كما لعلم لم يعتنوا بكتاب من كتب الحديث  
والعلم الأولى ، فقد عد القاضي عياض في المدارك  
نحو تسعين رجلا تكلموا عليه وشرحوه وعلقوا  
عليه (10) .

وأشهر روايات ( الموطأ ) رواية يحيى بن يحيى  
الليثي ، وهي نسخة الإفارقة والانطسيين .

### وأما ( المدونة )

فكان لها دور هام في انتشار المذهب المالكي،  
واليها كان المرجع في القضاء والافتاء على المذهب .

وأصل المدونة سماعات « أسد بن القرات » ،  
المتوفى سنة 213 هـ . واسئلة فقهية مجردة أتى  
بها من العراق ، وذهب بها إلى ابن القاسم - وكان  
أعلم الناس بعلم مالك وأمنهم عليه - فتلقى عنه

(9) انظر شهادات العلماء في الموطأ . المدارك : 2 / 70 وما بعدها .

(10) المدارك : 2 / 80 .

(11) انظر معالم الإيمان في ترجمة سحنون : 2 / 49 - ومقدمة ابن خلدون ص : 450 .

(12) الديباج ص : 134 .

(13) مقدمة ابن خلدون ص : 450 .

ابن أبي القاسم الأزدي المعروف بالبرادعي \* - أكبر تلامذة ابن أبي زيد - فأعاد ترتيب المختصر على نسق المدونة ، وحذف زيادات ابن أبي زيد ، وهذب مسائله ، فحظي كتابه ( التهذيب ) بالقبول ، وتوارد عليه الشراح والدارسون من أئمة المالكية بالاندلس والمغرب ، وآثروه بالعناية فكان أقرب مرجع في المذهب قبل ظهور مختصر ابن الحاجب القرعسي (14) .

\* \* \*

والى جانب مؤلفي الآمام ، ومدونة سحنون - ومختصرها ، وتهذيب البرادعي - انتشرت كتب أخرى لتلاميذ ابن القاسم ، عدت من مصادر الفقه المالكي ، وأخص بالذكر منها :

( كتاب الواضحة ) : لابن حبيب

و ( الموازنة ) : لمحمد بن المواز

و ( العتبسية ) : لمحمد العتيبي ، وغيرها من الأمهات .

\* \* \*

ورسوخ المذهب المالكي في المغرب ، لم يكن مجرد حمل لامهات مصادره رواية ودراية ، بل تتابع العلماء المغاربة على خدمة المذهب والتصنيف في فقهه ورجاله . وبرز منهم في هذا المجال اعلام كبار، مشهود لهم بالإمامة ، في طليعتهم : الشيخ الآمام ابن أبي زيد القيرواني .

عصر ابن أبي زيد :

مع سقوط الدولة الأموية بالشام وقيام الدولة العباسية في العراق ، بدأ ظهور دويلات في أقطار المغرب الإسلامي ، مستقلة عن دولة الخلافة ببغداد .

أولها ، دولة بني أمية بالاندلس سنة 132 هـ .  
ودولة الإدارة بالمغرب سنة 172 هـ .  
ثم دولة الأغالبة في القيروان سنة 184 هـ وهي التي تتصل بموضوعنا .

قبل الأغالبة ، شهدت القيروان وأفريقية عدة حركات ثورية للانفصال عن الدولة العباسية بالشرق . ثم لما قامت دولة الأغالبة ، عرفت البلاد على عهدهم تقدماً علمياً ونهضة حضارية ، لكنها لم تنعم بالاستقرار السياسي ، بل ماثت من محاولات تمرد على الولاية بعد قرن وبضع عشرة سنة .

وقامت دولة الفاطميين سنة 297 هـ لبيداء صراع مذهبي عنيف بينها وبين الأناقرقة بعامسة والقيروانيين بخاصة ، إذ كانوا أهل سنة يتبعون المذهب المالكي الذي رسخ قواعده فيهم ، أمامهم « سحنون » صاحب ( المدونة ) .

وكان من الطبيعي أن يدخل الفقهاء في صميم ذلك الصراع المذهبي بين الحكام الشيعة والرعايا المسيحيين المالكيين ، وأن يأخذوا أمانتهم في قيادة كتائب المجاهدين في سبيل السنة ، المتمردين على الأكرام المذهبي ، فيكون لأولئك الفقهاء حساب خطير في موازين القوى ، يحمل الحكام على مطاردتهم والتأكد من تسليمهم .

وتركز على الحقبة التي عاش فيها فقيهه القيرواني « ابن أبي زيد » فنقرأ في ترجمة شيخه « أبي الفضل عباس العمسي » بمدارك عباس ما ملخصه : أن شيوخ القيروان اتفقوا على الخروج على ملوك أهل الشيعة بني عبيد وقتلهم ، منهم : أبو اسحاق السبائي ، وأبو الحسن علي بن سعد الخراط ، وأبو العرب محمد التميمي ، وأبو الفضل عباس العمسي ، وبيع القطان ، وسروان العابد ، وإبراهيم المني . وقد جندوا الجنود والبثود ثم خرجوا إلى

(14) الفكر السامي 4 / 45 - وذكر الحنجوي أنه وقف على نسخة عتيقة من التهذيب ، ذكر البرادعي أولها أنه روى المدونة عن أبي بكر محمد بن أبي عقبة عن جيلة بن حمود عن سحنون ، وأنه فرغ من تأليفه سنة 372 .

وانظر ابن خلدون في التطورات التي مرت بها المدونة ، وتهذيب البرادعي ، ومختصر ابن الحاجب في المقدمة ص : 450 .

## نفسه ونشأته :

أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني . وقد شك بروكلمان في تسميته عبد الله ، أو عبيد الله ، وإنما هو عبد الله بن عبد الرحمن ، وقيل في اسم والده ، بلال بن عبد الرحمن بن اسحاق . ويلقب بالنفري نسبة إلى أسرة من « نفرة » من أعمال الأندلس . وفي هذه النسبة ، ذكر « التتائي » في ( مقدمة شرح الرسالة ) أنه من نفراوة قبيلة من قبائل أفريقية . وهو ما أخذ به بروكلمان .

وقال الشيخ زروق : (15) وأصل نسبه الأصلية وهو النفراوي لانه من نفري من بلاد الجريد.

والذي اكده المؤرخ التونسي عثمان الكمال انه من نفرة الأندلس . وهو ما أخذت به دائرة المعارف الإسلامية .

\* \* \*

ولد بالقيروان سنة 310 هـ على ما ذكر ابن ناجي في معالم الإيمان ، وابن قرحون في الديباج ، ومخلاف في شجرة النور الزكية ، حيث نصوا على وفاته سنة 386 هـ عن 76 سنة وهو ما أخذ به الزركلي في الأعلام ، (16) ودائرة المعارف الإسلامية (17) ، ورضا كحالة في معجم المؤلفين (18) .

وذكر الشيخ زروق أنه ولد سنة 316 هـ ، فإذا قابلناه على إجماع مؤرخيه بأنه صنف رسالته في الفقه سنة 327 هـ ، كان عمره يومئذ ، على قول زروق ، إحدى عشرة سنة ، وهذا بعيد .

وبالقيروان نشأ وتربى ودرس ، ولم تذكر لنا المصادر شيئاً عن أسرته ولا عن ماضي حياته الأولى ، وكيف تلقى دراسته الأولية إلا ما هو معروف من طريقة التعليم في عصره وبيئته ، فحصل القراءان

المهذية ، وكانت الهزيمة عليهم ، فاستشهد عالم كثير ، فمن الأئمة والعباد خمس وثمانون ، منهم : ربيع القطان ، وأبو الفضل العمري . ومن سلم من أقتل من العلماء سجن أو ضرب : أبو الصرب التميمي يسجن مع ولده ويقيدان معا ويكل بهما ، وأبو بكر بن اللبد أكبر شيوخ ابن أبي زيد يسجن بدوره ويضرب ويلاقى من المحن الشيء الكثير في سبل عقيدته ، وبعد خروجه من السجن يلزم بيته فيأتيه تلاميذه - ومنهم ابن أبي زيد - خفية ويجعلون الكتب في أوساطهم حتى تبطل يعرفهم .

وغير هؤلاء من العلماء كثير ممن امتحن على يد الفاطميين ، ومع ذلك فلم تنل لهم قناعة ، ولم يتخلوا عن عقيدتهم السنية ومذهبهم المالكي ، بل احتملوا تكاليف الجهاد مستبشرين إلى أن خرج المبيدون إلى مصر ، وخلصتهم في القيروان وأفريقيا ، الدولة الزيرية سنة 362 هـ .

\* \* \*

في هذه الحتبة التاريخية القاسية ، وعلى هذه الأرضية المهتزة بجولات الصراع العنيف بين العقيدة السنية والمذهب الشيعي ، عاش « ابن أبي زيد » وشهد مشرع كثير من شيوخه وامتحان بعضهم بالسجن والعذيب .

أثرت هذه الأحداث في حياته ، وفي مؤلفاته التي لم تخرج عن الدفاع عن السنة والذب عن مذهب مالك ، إلا أن الروايات لم تذكر شيئاً عن دور كان له في هذا الصراع وهل أصابه شيء من أذى العبيديين ، وامتنح كما امتحن غيره من شيوخه ؟

ولعل ذلك يرجع إلى أنه كان وقت حدة هذا الصراع ما زال في مرحلة الصبا والشباب ، مشتغلاً بالدرس والتحصيل ، فلم يشارك علانية في حريهم .

(15) في مقدمة شرح الرسالة 1 / 5 .

(16) ج 4 ص : 230 .

(17) ج 1 ص : 80 .

(18) ج 6 ص : 73 .



الكريم أولا في الكتاب ، وكان مؤدبه الشيخ محرز بن خلف ، ثم انتقل الى دراسة علوم الاسلام والعربية .  
وظهر نبوغه مبكرا حيث تذكر المصادر انه ألف الرسالة سنة 327 هـ وهو اذ ذاك ابن سبع عشرة سنة .

ومعروف ان الرسالة تلخيص للمذهب المالكي ، وفيها أربعة آلاف مسألة وأربعمائة حديث ، مما يشهد له بالتفوق العلمي والرسوخ في فقه المذهب في هذه السن المبكرة .

#### شيوخه : —————

ومثل ذلك الشيوخ المبكر في انفعه ، لا يكون الا عن موهبة نادرة واستعداد فطري ، انضجها جده في الدرس والتحصيل والنظر ، وتلمذته العليقية لشيوخ من أئمة عصره ، نخس بالذكر منهم من تلقى عنهم وكان لهم اثر واضح في شخصيته وفقهه .

1 - أبو بكر محمد بن محمد بن وشاح المعروف بابن اللياد القيرواني المتوفى سنة 333 هـ (19) وسبق ان أشرت في الكلام على عصر ابن أبي زيد الى أنه من جملة من امتحنوا على يد ابييدين في سبيل عقيدتهم السنية ومذهبهم المالكي .

ورثاه تلميذه ابن أبي زيد بقصيدة جاء فيها :

يا طول شوقي الى من غابته منتظره  
وذكره في جوى الاحياء قد سكنا

لهفي على ميت مات به بـلـ  
قد كان احيا وسوم الدين والسنا

كم معنة طرفته في الاله قـلـم  
يحزن لذلك اذ في ربه امتحننا

حتى استشار به الاسلام في بلد  
لولاه مات به الاسلام واندننا

الفقه حاشه والعلم حليته  
والدين زينته والله شاهدنا

اب لاصغرنا كفل لأكبرنا  
وفي النوازل ملجأنا ومفرجتنا

2 - أبو الفضل العباس بن عيسى المصفي القيرواني قتل في حرب العبيدين ، قرب المهدي في رجب سنة 333 هـ ورثاه جماعة من العلماء بقصائد منهم ، ابن أبي زيد (20) .

3 - الفقيه أبو عبد الله محمد بن مسرور العسال المتوفى سنة 346 هـ عن 96 سنة (21) .

4 - أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم بن مسرور التحيبي المعروف بابن الحجام ، توفى محروقا سنة 346 هـ عن 87 سنة (22) .

5 - أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي العالم المؤرخ الأديب ، امتحن فيمن امتحن من العلماء على يد العبيدين وسجن مع ولده مدة . توفي في ذي القعدة سنة 333 هـ عن ثلاث وثمانين سنة (23) .

6 - أبو عثمان سعود بن أحمد الخولاني المتوفى سنة 324 هـ وهو ابن مائة سنة ، صحيح العقل والبصر (24) .

7 - الفقه الأديب أبو القاسم حبيب بن الربيع العنوني سنة 339 هـ وهو ابن ثمانين سنة (25) .

(19) ترجم له عياض في المدارك 5 / 286 ، وابن تاجي في معالم الايمان 3 / 23 ، وابن فرحون في

الدراسات ص : 249 . ومخلوف في الشجرة الزكية ص 84 ، والحجوي في الفكر السامي 3/111-

(20) المدارك 5 / 297 ، معالم الايمان 3 / 31 ، شجرة النور ص : 83 .

(21) معالم الايمان 3 / 73 ، شجرة النور ص : 84 .

(22) المدارك 5 / 330 ، معالم الايمان 3 / 7 ، الديباج 135 ، شجرة النور ص : 85 .

(23) المدارك 5 / 323 ، معالم الايمان 3 / 42 ، الديباج 250 ، شجرة النور ص : 83 - 84 .

(24) شجرة النور ص : 82 .

(25) المدارك 5 / 334 ، الديباج ص : 106 .

3 - أبو بكر محمد بن أحمد بن العجم المروزي،  
المتوفى سنة 329 هـ (31) .

\* \* \*

#### تلاميذه :

مكانة ابن أبي زيد العلمية مع شهرته الواسعة جعلته مقصد طلاب العلم ممن لا يكاد يحصيهم عد .  
واليه كانت رحلتهم من أقطار المغرب بخاصة ، ومنهم من بلغوا رتبة المشيخة فتفقه بهم جيل من طلاب العلم .

فمن تلاميذه القروانيين :

1 - أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الخولاني القيرواني شيخ فقهاء القيروان في وقته ، المتوفى سنة 432 هـ (32) .

2 - أبو سعيد وأبو القاسم خف بن أبي القاسم الأزدي المعروف بالبرادعي (33) ، من حفاظ المذهب المالكي ومن كبار أصحاب ابن أبي زيد وهو صاحب كتاب ( التهذيب ) .

3 - أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المعروف بالبيدي القيرواني المتوفى سنة 440 هـ (34) .

8 - العالم الزاهد أبو الحسن حسن بن محمد ابن حسن الخولاني الكاشي . المتوفى سنة 347 هـ وهو ابن مائة وثمان ستين (26) .

9 - أبو العباس عبد الله بن أحمد بن إبراهيم ابن إسحاق التونسي المعروف بالإيباني ، عالم إفريقية في وقته ، من حفاظ المذهب المالكي مع ميل إلى مذهب الشافعي ، توفي سنة 352 هـ وقد قارب عمره مائة سنة (27) .

10 - أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الجرجسي القاسي أول من أدخل مدونة سحنون إلى فاس ، وعنه انتشر المذهب المالكي بالمغرب . توفي سنة 357 هـ ودفن في خارج باب الفتوح بفاس وقبره معروف بـزار (28) .

\* \* \*

ومع هؤلاء الشيوخ الذين اتصل بهم وأخذ عنهم بالسمع ، جماعة من علماء المشرق اتصل بهم بالمكاتبة ، وأجازوه ، منهم :

1 - الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله الإبهري المتوفى سنة 395 هـ (29) .

2 - أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المصري ، شيخ فقهاء المالكية بمصر في وقته ، توفي في جمادى الأولى سنة 355 هـ وقد جاوز ثمانين سنة (30) .

- (26) الديباج ص : 104 . شجرة النور ص : 85 .  
(27) الديباج ص : 136 . شجرة النور ص : 85 .  
(28) ترجم له أحمد بابا في الثنيل ص : 146 ومخلوف في الشجرة ص : 103 ، والحجوي في الفكر السامي 3 / 115 .  
(29) ترجم له ابن فرحون في الديباج ص : 255 ، والسيرازي في الطبقات ص : 167 ، ومخلوف في الشجرة ص : 91 ، والحجوي في الفكر السامي 3 / 122 .  
(30) ترجم له ابن فرحون في الديباج ص : 248 ، ومخلوف في الشجرة ص : 80 .  
(31) ترجم له ابن فرحون في الديباج ص : 243 ، ومخلوف في الشجرة ص : 78 .  
(32) انظر ترجمته في طبقات الفقهاء ص : 161 ، وشجرة النور ص : 107 .  
(33) انظر ترجمته في الديباج ص : 112 ، وشجرة النور ص : 105 ، والفكر السامي 4 / 44 .  
(34) انظر ترجمته في الديباج ص : 152 ، والشجرة ص : 109 ، والفكر السامي 4 / 44 .

#### ومن أهل المغرب :

1 - أبو عبد الرحمن عبد الرحيم بن أحمد ابن العجوز السبتي الفاسي ، المتوفى سنة 413 هـ من ثلاث وسبعين سنة (43) .

2 - أبو بكر خلف بن أحمد بن خلف الرهوني الفقيه الطليطلي (44) . لم أقف على وفاته .

ومع ما كان لابن أبي زيد رحمه الله من مكانة علمية ، ورسوخ في المذهب ، كان مشهوداً له بالورع والتقوى ، ونبل السجيا ، مع الزهد وانقلاق النمل في البر والاحسان ، فقد ذكروا أنه لم تجيب عليه زكاة قط رغم ثروته الوفيرة لكثرة بذله وعطائه ، وسجلوا له امثلة رائعة في هذا المجال .

من ذلك أنه بعث الى القاضي عبد الوهاب حين بلغه اقلاله بالف دينار ذهباً . وبعث الى الفقيه أبي القاسم ابن شبلون حين كان مريضاً بخمسين ديناراً ذهباً ، ووصل يحيى بن عبد الله المقريبي حين قدم القيروان بمائة وخمسين ديناراً ، وجهر ابنة الشيخ أبي الحسن القاسبي بأربعمائة دينار ، الى غير ذلك من مكارمه ومزاياه (45) .

\* \* \*

#### وفياتهم :

توفى رحمه الله زوال يوم الاثنين 30 شعبان عام 386 هـ على ما ذكره القاضي عياض في المدارك ،

4 - أبو عبد الله الحسين بن أبي العباس بن عبد الرحمن الاجداني المتوفى سنة 432 هـ (35) .

5 - أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني الفقيه المقرئ المتوفى بقرطبة سنة 437 هـ او 39 (36) .

6 - أبو عبد الله محمد بن العباس الخواص ، المتوفى بعد عام 426 هـ (37) .

#### ومن الاندلسيين :

1 - أبو بكر محمد بن وهب التجيبي القرطبي المعروف بالمقري . المتوفى بقرطبة سنة 406 هـ (38) . له شرح على رسالة شيخه ابن أبي زيد .

2 - القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن الحذاء التميمي ، المتوفى سنة 410 هـ عن 63 سنة (39) . من مؤلفاته : شرح الموطأ في ثمانين جزء أسماه ( الاستنباط لمعاني السنن والاحكام من أحاديث الموطأ ) .

3 - أبو المطرف عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن القنازعي القرطبي ، المتوفى سنة 415 هـ عن اثنتين وسبعين سنة (40) .

4 - الفقيه المفتي أبو عمر أحمد بن محمد بن سعدي الاشيلي المهدي كان حياً سنة 410 هـ (41) .

5 - ابن عبد الله محمد بن غالب الهمداني ، المتوفى سنة 434 هـ (42) .

- (35) معالم الايمان 3 / 212 ، شجرة النور ص : 98 .
- (36) معالم الايمان 3 / 213 ، شجرة النور ص : 107 .
- (37) معالم الايمان 3 / 212 .
- (38) انظر ترجمته في الديباج 271 ، وشجرة النور 111 ، وسماء فيها : التميمي .
- (39) انظر ترجمته في الديباج 272 ، وشجرة النور 112 ، وفيه انه توفي سنة 416 هـ .
- (40) انظر ترجمته في الديباج 152 ، وشجرة النور 111 .
- (41) انظر ترجمته في شجرة النور ص : 106 .
- (42) انظر ترجمته في شجرة النور ص : 114 .
- (43) الديباج ص : 153 . شجرة النور ص : 115 .
- (44) الديباج ص : 113 .
- (45) انظر معالم الايمان فقد ذكر عدة قصص من جوده وكرمه ج 3 ص : 141 .

ما زلت تقدم جمعهم هدياً لهم  
في موكب حقه بن النجيباء

مكانته وقراته :

يعتد في وزن الرجال وتقدير مكانتهم العلمية ،  
بشهادة العلماء لهم وآرائهم فيهم مما جعل تقد  
الرجال ، وبخاصة في رواية الحديث والفقه ، علما  
له شأنه الخطير في تاريخ الاسلام العلمي ، وله رجاله  
المتخصصون الخبراء ، وكتبه المعتمدة . وانتقل من  
شهادات العلماء لفقهاء القيروان :

— قول الشيخ ابي الحسن القاسبي : « كان  
أبو محمد آمناً مؤيداً موثقاً به في دراسته  
ودرايته » (46) .

— وقال أبو الحسن علي بن عبد الله القطان :  
« ما قلدت أباً محمداً حتى رأيت السبائي يقلده » (47) .

وقال القاضي عياض : « كان أمان المالكية  
في وقته ، وقدوتهم ، وجامع مذهب مالك وشارح  
أمواله ، وكان واسع العلم والحفظ والرواية ، كتبه  
تشهد له بذلك ، فصيح اللسان ذا بيان ومعركة بما  
يقوله ، ذاباً عن مذهب مالك ، قائماً بالحجة عليه ،  
بصيراً بالرد على أهل الأهواء ، يقول الشعر ويجيده ،  
ويجمع إلى ذلك صلاحاً تاماً وورعاً وعفة . وحاز  
رياسة الدين والدنيا ، وهو الذي لخص المدعي  
وضم نشره وذب عنه وملأت البلاد تواليقه ، عارض  
كثير من الناس أكثرها فلم يلبثوا مداه مع فصل  
السبق وصعوبة المبدأ ، وعرف قسره الأكبر » (48) .

— وقال الشيخ الدبغ : « كان من أهل العلم  
والعبادة والورع والفضل والاحسان بالمحل الأعلى ،  
انتشرت أمامته في العلم شرقاً وغرباً ، وظهرت  
فضائله وفواضله بعداً وقرباً . واحد الرماة جلالة  
وعلمه ، فريد المعصر عقلاً وفيها » (49) .

وابن ناجي في معالم الايمان . وكانت وفاته بالقيروان  
خلافنا لما ادعاه بروكلمان من أنه توفي بمدينة فاس .

وشيعت جنازته يوم الثلاثاء الموالي ليوم وفاته  
في محفل رهيب حضره اعيان البلد ووجهاؤها وعامة  
الناس في خلق لا يحصون . وصلى عليه الشيخ أبو  
الحسن القاسبي بالريحانة ، ودفن بمداره وقبره  
معروف إلى الآن بمداره يزوره الناس .

ورثاء كثير من أدياء عصره بمراتي كثيرة منها  
قصيدة لابن الخواص قال فيها :

هذا لعمر الله أول مصرع  
تروا به الدنيا وآخر مصرع  
كادت تميد الأرض خاشعة الربى  
وتمور أفلاك النجوم الطلوع

ومنها قصيدة لابي زكرياء يحيى بن علي الفقيه  
الشرطاني جاء فيها :

خطب ألم فعم السهل والجبلا  
وحادث حل اتس الحادث الجلا ؟

ناع نعي ابن أبي زيد فقلت له  
اشمنا كفت ام بدونا افلا ؟

ام مادت الأرض وارتجت بساكنها  
ام الحمام بعيد الله قد نسزلا ؟

فان يكن ضدونا حام الحمام به  
فالصدر صاد ومن نار الاسى شملا ؟

روية عقلت امراحيها افلا  
ابكى وهل سلوة والبدر قد افلا ؟

ومنها قصيدة لابي علي بن سفيان قال فيها :

غصت فجاج الأرض حتى ما تروى  
أرض ولا علم ولا بطحساء

(46) معالم الايمان 1 / 136 ، والمدائح من : 136 .

(47) نفس المعبر السالفة .

(48) المدارك .

(49) معالم الايمان 3 / 136 .



— وقال الحنجوري : يعتبر من طبقة العالية من المؤلفين ، وعندني أنه أحق من يصدق عليه حديث : « يسمه الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يحدد لها أمر دينها » (50) .

ويقال : لولا الشيخان - وأحمدان - وإفغانسان - نذهب المذهب . فالشيخان : أبو محمد بن أبي زيد ، وأبو بكر الأبهري . والمحمدان : محمد بن سحنون ، ومحمد بن المواز . وإفغانسان : أبو محمد عبد الوهاب ، وأبو الحسن بن الغضار .

هذا بعض من كثير من قيل في الثناء عليه ، وفي التعريف بشخصيته وسجاياه ومكانته العلمية ، ومعها شهادة تراثه العلمي السخي المبارك ، الذي بلغ — فيما راجعت من مصادر — حوالى أربعين مصنف أكثرها في الفقه ، وأن اتسع مجال نشاطه فالف في أصول التوحيد والقرآن ، وفي الرد على المارقين ، وعلى المخالفين للسنة ، وفي المواعظ وغيرها .

ومن أسف أن أكثر هذا التراث الجسم قد ضاع ، لم يبق منه — فيما راجعت من مظان — سوى ثمانية كتب ، المطبوع منها واحد فحسب ، والباقي ما يزال مدفوناً في خزائن المخطوطات بالمغرب ، وأوروبا وتركيا .

— المطبوع هو ( الرسالة ) .

— والمخطوطات ، ثمان منها ذكرتهما ( دائرة المعارف الإسلامية ) (51) وقالت أنه لم يبق من مؤلفاته الثلاثين التي نسبها إليه كتاب سيرته (الرسالة) وهذان المخطوطان :

1 — مجموعة أحاديث توجد بالمتحف البريطاني أول 888 . رقم 8 ولعلها جزء من كتاب الجامع في السنن والآداب لأن بروكلمان سماها : السنن .

(50) الفكر السامي 3 / 120 .

(51) ج 1 ص : 80 .

(52) في كتابه تاريخ الأدب العربي 3 / 289 .

(53) ص : 540 ، ومن خلال الفقرات التي نقلها ابن خلدون عنه ، نتعرف على نظرية ابن أبي زيد في ميدان التربية والتعليم .

2 — قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم . وتوجد بنفس المتحف تحت عدد : 1617 . أضاف اليهما بروكلمان : (52)

3 — العقيدة ، وهي رسالة في الكلام مع شرح لها لأحمد بن عيسى البرنسي ، توجد بمكتبة بني تحب رقم 744 . ولعلها جزء من شرح زروق للرسالة لأن له شرحين عليها طبع أحدهما مع شرح ابن ناجي ، ولم يذكر مترجموه أن له شرحاً مستقلاً على توحيد الرسالة .

4 — الجامع في السنن والآداب في الشرق ، وجد بخزانة القرويين بفاس تحت رقم : 1154 .

5 — كتاب النوادر ، توجد منه نسخة بخزانة القرويين بفاس ، الأول تحت رقم : 841 ، أوله ما يجوز في المسافة ، والثاني تحت رقم : 901 . أوله كتاب الإيمان .

6 — جملة مختصرة من واجب أمور الديانة ، أورد ذكره المستشرق الإسباني كازيري (ج 1/78) . وإغالب أن هذه قطعة من الرسالة لأنها هي التي تكتم فيها معنى جملة مختصرة من أمور الديانات .

7 — أحكام المعلمين والمتعلمين ، ذكره ابن خلدون في المقدمة (53) ، ونقل عنه في الفصل المتعلق بالنهاي عن الشدة في تعليم المتعلمين .

وأضيف إلى ما ذكره بروكلمان ما جاء في برنامج مكتبة القرويين من وجود أجزاء أخرى من كتاب النوادر وهي :

1 — نسخة رقم : 886 أولها : في الحالف أن لا يكذب .

2 — نسخة رقم : 787 أولها : ذكر ما يجوز فيه البذل بالطعام .

3 - نسخة رقم : 788 أولها : امان العبد  
والعرة والصبي .

4 - نسخة رقم : 789 أولها : كتاب الولاء .

كما توجد قطعة فريدة من ( كتاب النوادر ) في  
موضوع الاقرار ، وقع الفراغ من مقابلتها بنسخه  
المؤلف سنة 383 هـ . وهي من الذخائر العريضة في  
الإصالة والقدم ، كتب في حياة مؤلفها ، وتعتبر من  
نواذر المخطوطات بمكتبة القرويين .

ووقفت بالخزانة العامة بالرباط على ثلاثة  
أجزاء منه تحت الأرقام الآتية : 1731 د - 425 ق -  
695 ق . وبالخزانة الملكية على جزء تحت رقم : 5050 .

8 - كما وقفت بالخزانة العامة على نسخة من  
( الكتاب الجامع في السنن والآداب والحكم والمغازي  
والتاريخ ) رقمه : 1781 د .

وهو كتاب أضافه الى ( مختصر المدونة )  
وأقتبسه من السماعات عن مالك ومن البوطا وغيره  
من الكتّابه .

\* \* \*

وفيما عدا هذه الكتب التي بقيت من تراث  
« ابن أبي زيد » لا أدري عن مصنفاته الضائعة إلا ما  
قرأت من اسمائها في الفهارس وكتب الطبعات .

وهذه هي :

- 1 ( كتاب تهذيب العبيبة .
- 2 ( كتاب الاقنداء بأهل المدينة .
- 3 ( كتاب عن مذهب مالك .
- 4 ( كتاب تفسير أوقاف الصلاة .
- 5 ( كتاب في فضل قيام رمضان والاعتكاف .
- 6 ( رسالة إعطاء القرابة من الزكاة .
- 7 ( كتاب المتامسك .
- 8 ( مسألة الحبس على أولاد الأعيان .
- 9 ( كتاب التشبيه على القول في أولاد المرتدين .
- 10 ( كتاب رد المسائل .
- 11 ( رسالة في أصول النوحيد .

- 12 ( كتاب الشقة بالله والشوكل على الله .
- 13 ( كتاب المعرفة والبعين .
- 14 ( كتاب المضمون من الرزق .
- 15 ( كتاب البيان في أعجاز القرآن .
- 16 ( رسالة الى أهل سجلماسة في تلاوة  
القرآن .
- 17 ( رسالة فيمن تأخذه عند تلاوة القرآن  
والسكر حركة .
- 18 ( رسالة في التهي عن الجدل .
- 19 ( كتاب حماية عرض المؤمن .
- 20 ( كتاب رد الخاطر من الوسواس .
- 21 ( كتاب الاستظهار في الرد على الفكرية .
- 22 ( كتاب كشف التلبس في مثله .
- 23 ( رسالة في الرد على القدرية وعناقضة  
رسالة البغدادي المعتزلي .
- 24 ( رسالة في الرد على أبي ميسرة المارق .
- 25 ( رسالة طلب العلم .
- 26 ( رسالة الموعظة والنصيحة .
- 27 ( رسالة الموعظة الحسنة لأهل الصدق .
- 28 ( رسالة وعظ ، وعظ بها محمد بن الطاهر  
القاسبي .
- 29 ( كتاب التبريد المسخرج .

ومما يلاحظ أن في المخطوطات التي وجدت  
له والمشار إليها سابقا ما ليس مذكورا هنا ، كالحكام  
المعلمين والمتعلمين الذي ذكره ابن خلدون .

وجملة مختصرة من واجب أمور الديانات التي  
ذكرها المستشرق الإسباني كزيري . والعقيدة التي  
شرحها أحمد زروق ، وذكر بروكلمان وجودها  
بمكتبة بنى .

وبذلك تكون مؤلفاته قاربت الأربعين لا ثلاثين  
كما في دائره المعارف الإسلامية .

\* \* \*

وأهم مؤلفاته على الإطلاق هو كتاب النوادر  
والزيادات على المدونة وضعه في مائة جزء وقبيل  
فيه : أنه أجمع كتاب في المذهب ، لأنه اشتمل على  
جميع أقوال المذاهب وقرع الاسماء كلها في هذا

وبلاد النوبة ، وصقلية وجميع بلاد افريقيا والاندلس  
والمغرب وبلاد السودان ، وتناقس الناس في اقتنائها  
حتى كتبت بالذهب ، وأول نسخة منها بيعت ببغداد في  
حلقة أبي بكر الأبهري بعشرين ديناراً ذهباً (56) .

\* \* \*

ومقدمة « ابن أبي زيد » لرسالته ، تكفي هنا  
للتعريف العام بأبوابها ومقاصدها ، قال : « أما بعد :  
من شرائعه فانك سالتني ان اكتب لك جملة مختصره  
من واجب أمور الدنياات مما تنطبق به الالاسر .  
اعاننا الله وأياك على رعاية ودائحه ، وحفظ ما أودعت  
وتعقده الأئدة ، وتعمله الجوارح ، وما يتصل  
بالواحب من ذلك من السنن من مؤكدها وتوافلها  
ورغائها ، وشيء من الآداب منها ، وجمل من أصول  
الفقه وفنونه على مذهب الامام مالك بن أنس وطريقته  
مع ما سهل سبيل ما أشكل من ذلك من تفسير  
الراسخين ، وبيان المتفقيين لما رغبت فيه من تعليم  
ذلك للولدان كما تعلمهم حروف القرآن ليسبق الى  
قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه ما ترجى لهم بركته ،  
وتحمد لهم عاقبته ، فاجبتك الى ذلك لما رجوتك  
لنفسى ولك من ثواب من علم دين الله أو دعا اليه » .

واختلف فيمن ساه ذلك ، فقبل : الشيخ أبو  
اسحاق السبائي . وقيل : الشيخ المؤلف محرز بن  
خلف . وهو ما صح عند ابن ناجي ، قال : « وهذا  
هو الصحيح عندي لأن قول الشيخ أبي محمد : كما  
تعلمهم حروف القرآن يدل على ذلك لأنني لا أعلم  
احدا من تعرض الى مناقب أبي اسحاق السبائي ،  
ذكر انه كان مؤدبا ، ولا يقال : لا مانع أن يكون سألاه  
معا وأسعفهما لأن أفراد الضمير في قوله : « وأياك »  
بأبواه » (57) .

ومى كل حال . فالمقدمة سريحة الدلالة على  
أن ابن أبي زيد لم يتجه الى تصنيف الرسالة من  
نقده نفسه . بل سأل أحد شيوخه أن يفعل . وسبقت  
الإشارة الى ما أجمعت عليه المصادر من أن ابن أبي زيد

الكتاب كما قال ابن خلدون ، (54) ونقل ابن يونس  
معظمه في كتابه « الجامع » على المدونة وعليه كان  
المعول في التفقه ، إلا أنه لم تبق من اجزائه العانة  
الا نسخ متفرقة هنا وهناك كما رأينا .

وأما المختصر — وهو من أهم مؤلفاته أيضا ، لأنه  
يحتوي على خمسين مسألة كما قال ابن  
النديم — (55) فلم يبق منه الا القطعة المستقلة على  
كتاب الجامع في السنن والادب التي أشرت اليها .

### — الرسالة —

ان يكن أكثر التراث العلمي لابن أبي زيد قد  
ضاع في غيابة الزمن ، والذي سلم منه من الضياع  
ما يزال معظلا في خزائن المخطوطات بالشرق  
والغرب ، فان كتابه القرد الذي طبع ، كان حسب  
عطاء ومثوبة واجرا . فما أعلم كتابا في الفقه المالكي  
بعد ( الموطأ ، والمدونة ) حظي بمثل ما حظيت به  
( رسالة ابن أبي زيد ) من قبول وعناية وشهرة  
واتشار في الافاق ، وعمق أثره في خدمة فقه المذهب  
ونفع الاجيال من طلابه على امتداد الزمان والمكان .

كتب الشيخ الفقيه أبو العباس القلشاني  
المتوفى سنة 863 هـ في مقدمة شرحه لها :

« اشتهرت اشتهار النهار ، وشاعت في جميع  
الاقطر ، وتلقاها الناس بالقبول في سائر الاقطار ،  
وظهرت بركتها وبمنها على من اشتغل بها من الكبار  
والصغار ، ولهذا يقال : أن من حفظها واعنى بها وهبه  
الله تعالى ثلاثا أو واحدة من الثلاث : العلم ، والصلاح ،  
والمال الطيب ، لم تسمح القرائح بمثالها ، ولم ينسج  
ناسج على منوالها ، وكثرت بذلك الاوضاع عليها » .

وقال الشيخ الدباغ في ( معالم الايمان ) :

« اشتهرت ( الرسالة ) في سائر بلاد المسلمين  
حتى بلغت العراق واليمن والحجاز ، والشام ، ومصر

(54) المقدمة ص : 450 .

(55) فهرست ابن النديم ص : 297 .

(56) معالم الايمان 3 / 137 .

(57) معالم الايمان 3 / 138 .

كتب رسالته سنة 327 هـ ، وهو في السابعة عشرة من عمره ، على أدنى القولين في تاريخ مؤلفه . فقال شيخه - وهو أعرف بتلاميذه - شاهد على أن ابن أبي زيد كان في صباه الفاضل ، موضع الثقة والرجاء من شيخه ، وأهلاً لأن يندب لهذا الممثل لجليل القدي لا عهد لتاريخ الفقه - وأخرج من القول لتاريخ العلم - بأن ينقض بمثله ما لم يتم العقد الثاني من عمره .

ولم تكن الرسالة تخرج إلى الناس . حتى تلقاها فقهاء وقته بالروضة والتقدير . فشهد ذلك بأن الشاب كان عند حسن رأي شيخه فيه . وأنه نهض بما ندب له ، كفاءة واقتدار .

ذكر ابن ناجي أنه لما فرغ من تأليفها كتب منها نسختين وبعث بواحدة إلى أبي بكر الأبهري ببغداد فأظهر الفرح بها وأشاع خبرها بين الناس وأثنى عليها وعلى مؤلفها ، وأمر ببيعها ليحسن يتمتها إلى الواصل بها ، فبيعت بمائتي دينار دراهم . فقال : لا تباع إلا وزناً بوزن ، فجاء وزنها ثلاثمائة دينار وثيقاً . وبعث بالثانية إلى أبي بكر بن أبي زرب بفرطية فأخفاها وأخذ في تأليف ( كتاب الخصال ) عوضاً ثم أظهرها بعد ذلك .

كتب ابن أبي زيد إلى أبي بكر الأبهري يحبزه بما فعل ابن زرب فأرجعه الأبهري بإبيات يقول فيها :

أعجب ما في الأمور عندي  
أظهر ما تدعي القلوب

تأبى نفوس قوم  
وما لهم عندهم ذنوب

وتصافى أنفس نفوسا  
وما لهم عندهم عيوب (58)

ما ذاك إلا المضممرات  
علمها استأمد الرقيب

(58) كذا في معالم الإيمان ، وفي المدارك : وما لها عندها نصيب .

(59) سبق الشرح به .

(60) الدياج : 159 ، الفكر السامي : 4 / 39 ، شجرة النور : 103 .

(61) معالم الإيمان : 3 / 140 .

ثم تعاقبت عصور ، وهذه الرسالة موضع التقدير والاهتمام ، واعتنى بشرحها والتعليق عليها عند كثير من العلماء في الشرق والغرب . فكانت هذه العناية البالغة ، تركية لرأي الشيخ في الفقه الشاب ، وبايضا لشهادة فقهاء وقته لها .

من هؤلاء العلماء الذين عتوا بشرحها والتعليق عليها :

( 1 ) تلميذه أبو بكر محمد بن موهب القرطبي المعروف بالمقيري ، المتوفى سنة 406 هـ (59) ، له شرح على رسالة شيخه ذكره مترجموه ولم أقف عليه .

( 2 ) القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المتوفى سنة 422 هـ (60) .

ذكر الفلثاني في مقدمة شرحه أن القاضي عبد الوهاب أول شارح للرسالة . وذكر ابن ناجي في ( معالم الإيمان ) أن شرح القاضي عبد الوهاب يقع في نحو ألف ورقة ، وأول نسخة من هذا الشرح بيعت بمائة مثقال ذهباً (61) إلا أني لم أقف عليه ولم يذكره بروكلمان فيما ذكره من شروح الرسائل .

وقد مدح القاضي عبد الوهاب الرسالة في أبيات قال فيها :

رسالة صم صاغها العلم النهد  
قد اجتمعت فيها الفرائض والزهد

أصول أضاعت بالهدى فكأنما  
بدأ لعون الناظرين بها التهد

وفي مدرها علم الديانة وأضح  
وآداب خير الخلق ليس لها تهد

لقد أم بانها المداد قد كثره  
بها خالد ما حج واعتمر أوفهد



3 ( القاضي أبو الحسن علي بن محمد عبده الحق الزروللي المعروف بالصفيّر المتوفى سنة 719 هـ (62) .

قيدت عنه نقايد على الرسالة قيدها عنه تلاميذه وأبررها تأليفاً .

4 ( أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجرولسي المتوفى سنة 741 هـ (63) له نقايد على الرسالة جمعها بعض تلاميذه . توجد نسخ منها بخزانة القرويين ، وذكر بروكلمان وجود نسخ منها بميونخ، والمتحف البريطاني ، والجزائر .

5 ( أبو سالم إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى من أهل تيزي ، ويعرف بأبن أبي يحيى .

توفي سنة 748 هـ له شرح على الرسالة عظيم الفائدة كما قال ابن فرحون (64) . لم يذكره بروكلمان .

6 ( أبو الحجاج يوسف بن عمر الانفاسي المتوفى سنة 761 هـ (65) . توجد نسخ من شرحه بخزانة جامعة القرويين أحداها وقع الفراغ من نسخها سنة 947 هـ .

كما توجد نسخة منه بميونخ برقم 347 ، في لهارس المخطوطات العربية بخزانتها ، والمتحف البريطاني برقم : 164 ، والاسكوريال برقم : 1059 حسبما ذكره بروكلمان .

7 ( علي بن يوسف البلوي الشيبيني المتوفى سنة 782 هـ . ذكر بروكلمان أنه توجد نسخة من شرحه بمكتبة جامع الزيتونة بتونس . وبلاسكندرية .

8 ( أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التبوخي القيرواني (66) المتوفى سنة 838 هـ له شرح على الرسالة مطبوع (67) متداول .

وانقل هنا عبارة لابن ناجي ، تشهد بمدى حرصه على إنجاز شرحه على الرسالة قبل أن يحين أجله . وذلك في ظروف صعبة ومحنة قاسية ، يشغل مثلها عن درس وشرح وتأليف . قال في ( معالم الإيمان ) : « وكنت نويت في صغري أن كان مني شيء أن أصنع على الرسالة تأليفاً فوفقني الله إلى ذلك فالفته وأنا بثونس في حال انقراء بها ، وفرقت منه في زمن قريب خشية حضور أجلي إذ الفته في زمن الوباء ، ووصل الموت وأنا أولف منه ثلاثمائة كل يوم ، فإذا وجدت في هذا التأليف بعض تقصير مني في حفظ المذهب فطالعته في شرح التهذيب تجده على أكمل وجهه » (68) .

9 ( أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الفلشاني (69) المتوفى سنة 863 هـ له شرح سماه « تحرير المقالة في شرح الرسالة » . توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط في جزئين تحت رقم : 841 د و 152 د ، فرغ من تأليفه في 29 صفر سنة 821 هـ .

كما توجد نسخة في جزئين بمكتبة تطوان تحت رقم : 15 - 16 ، وهاتان الشخشان لم يشر إليهما بروكلمان وإنما أشار إلى وجود نسخ بمكتبة القرويين بقاس ، ومكتبة جامع الزيتونة بتونس ، وخزانة الفاتكان ، والاسكوريال والجزائر .

10 ( أبو محمد سعيد بن سليمان الكرامبي السملالي الجزولي المتوفى سنة 862 هـ مسمى

(62) الديباج : 212 ، شجرة النور : 215 ، الفكر المامي : 4 / 71 .

(63) نيل الابتهاج : 165 ، شجرة النور : 218 .

(64) الديباج : 89 - 90 .

(65) نيل الابتهاج : 352 ، شجرة النور : 233 .

(66) نيل الابتهاج : 223 ، شجرة النور : 244 ، أفكر المامي : 4 / 90 .

(67) طبع بمصر سنة 1332 هـ - 1914 م .

(68) معالم الإيمان : 3 / 149 .

(69) انظر ترجمته في شجرة النور ص : 258 .

- الفيض انرحماني
- كفاية الطالب الرباني .

وهذا الاخير مطبوع متداول ، عم النفع به كثيرا ، وهو المعروف عند الطلبة بشرح أبي الحسن . وعليه كان الاعتماد في تدريس الرسالة بجامعة القرويين .

وقد وضع عليه الشيخ علي بن احمد الصعيدي العدوي (74) المتوفى سنة 1189 هـ حاشية مهمة لتوضيح مشاكله ، وتفسير غامضه ، وهي مطبوعة مع الشرح عم النفع بها ايضا .

كما جمع الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبادة المتوفى سنة 1193 هـ تقارير شيخه الصعيدي علي أبي الحسن ، أضافها إلى الحاشية المذكورة ، وزاد عليها تكتا مفيدة . وفقت عليها بمكتبة تطوان برقم : 209 .

أما بقية الشروح فهي مخطوطة ، ذكرها بروكلمان وأشار إلى وجود نسخ منها في بعض المكتبات العالمية (75) .

(15) عبد الله بن أحمد الفاكهاني المتوفى سنة 972 هـ ، ذكر بروكلمان أنه توجد نسخة من شرحه برامبور برقم : 228 .

وبالإضافة إلى الشروح المتقدمة التي اهتمت بالناحية الفقهية فإن كثيرا من العلماء اهتموا بشرح الفاظ الرسالة وجعلوا عليها شبه المعاجم اللغوية والاصطلاحية .

(16) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن ابراهيم التتائي (76) المتوفى سنة 942 هـ وضع

شرحه ( مرشد المبتدئين إلى معرفة الفاظ الرسالة) توجد نسخة منه بمكتبة تطوان تحت عدد : 35 في جزء واحد .

(11) أبو الحسن علي بن محمد البساطي القرشي الشهير بالقلصادي المتوفى سنة 891 هـ (70) . له شرح على الرسالة ذكره أحمد بابا في نيل الإبتهاج ، والشيخ مخلوف في شجرة النور وغيرهما ، لم أقف عليه ، ولم يذكره بروكلمان .

(12) أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق المتوفى سنة 899 هـ (71) .

له شرحان على الرسالة : أحدهما مطبوع مع شرح ابن ناجي . أما الشرح الثاني ، فذكره مترجموه ، ولم أقف عليه .

(13) داود بن علي بن محمد القلشاي الأزهري (72) المتوفى سنة 902 هـ ، له شرح سماه : « توضيح الممالك » .

قال صاحب النيل : « استمر ذكره في الأفاق وعم النفع به » ، ذكره بروكلمان وأشار إلى وجوده بمكتبة جامع الزيتونة بتونس تحت رقم : 2426 .

(14) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن يثرب بن خلف العنوفي المصري الشاذلي المتوفى سنة 939 هـ (73) . له ستة شروح على الرسالة :

- غاية الاماني .
- تحقيق المياني
- توضيح الالفاظ والمعاني
- تلخيص التحقيق

- (70) له ترجمة في النيل ص : 261 ، وشجرة النور ص : 261 .
- (71) له ترجمة في النيل ص : 84 ، وشجرة النور ص : 276 ، والفكر السامي : 4 / 98 .
- (72) له ترجمة في النيل ص : 116 ، وفي الشجرة ص : 258 .
- (73) انظر ترجمته في الإبتهاج ص : 212 ، وشجرة النور ص : 272 .
- (74) انظر ترجمته في شجرة النور ص : 341 .
- (75) انظر بروكلمان : 3 / 288 .
- (76) انظر ترجمته في شجرة النور ص : 303 — 304 .

## نظم الرسائل :

لم يقتصر العلماء على شرح الرسالة والتعليق عليها ، منهم من نظمها كلا أو بعضا تيسيرا لحفظها .

ومن نظمها : عبد الله بن أحمد بن الحاج الغلاوي الشنجيتي .

ومما جاء في مقدمته نظمه :

هذا ولما كانت الرسالة  
علم دين الله كالحبالة

نقتص الوحشي والانسيبا  
وتجمع البري والحسرى

ولم يكن سبيل الشروح يسقى  
حتى يعم جذورها للبقى

فانبتت جواب كل سائل  
وأنت أكلها من المسائل

لكن لعمر حفظها المداوك  
منها خفية فكل تارك

مثلثها في كفتي ميزان  
درا وما الغير كالعيان

لكي ينال حفظها بالنظم  
في شعرها المرغب المنعم

وقفت على قطعة منها في حوالي ستمائة بيت  
بمكتبة تطوان تحت رقم : 3 / 458 ضمن مجموع  
وصل الناظم فيها الى الزكاة . وأخبرني الأستاذ  
الكبير العلوي بأن هذا النظم يوجد كاملا بموريطانيا .

كما نظم مشكلاتها الفقيه أبو عبد الله محمد بن  
غازي المكناسي المتوفى سنة 919 هـ ، وشرح هذه  
المشكلات الفقيه أبو عبد الله محمد الحطاب المتوفى

شرحا لالفاظ الرسالة سماه « نوير المقالة في حل  
الفاظ الرسالة » توجد نسخة منه بمكتبة تطوان  
تحت رقم : 358 .

وقد وضع أبو الإرشاد نور الدين علي بن زين  
العابدين الإجهوري المتوفى سنة 1066 هـ حاشية  
على الثاني توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط .

ذكره بروكلمان وأشار الى وجود نسخ من  
الشرح والحاشية في ميونيخ ، وباريز وقرنيس ،  
والقاهرة (77) .

(17) تعليقات لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن  
الحطاب المتوفى سنة 993 هـ جمعها ولده يحيى من  
طوره على نسخته من الرسالة وأخرج منها تأليفا  
ذكر في مقدمته أنه ليس له فيه الا الجمع والترتيب .  
توجد نسخة منه بمكتبة تطوان تحت رقم : 14 .

(18) أبو عبد الله محمد بن منصور بن حمامة  
انزائي ، له شرح غريب الرسالة سماه : « غرر  
المقالة في شرح غريب الرسالة » . توجد نسخة منه  
بمكتبة تطوان تحت رقم : 852 وقفت عليه . ذكره  
بروكلمان وأشار الى وجوده بباريز ، الا أنه سماه :  
« حل المقالة » .

(19) أبو العباس أحمد بن غنيم بن سالم  
النفراوي (78) المتوفى سنة 1125 هـ ، له شرح  
على الرسالة سماه : « الفوائد الدواني على رسالة  
ابن أبي زيد القيرواني » مطبوع في جزاين (79)  
متداول .

(20) أبو عبد الله محمد بن قاسم جموس (80)  
المتوفى سنة 1182 هـ ، له شرح الفاظ الرسالة  
مطبوع على الحجر بفاس في أربعة أسفار ، متداول ،  
ويعتبر من الشروح المهمة .

(77) انظر بروكلمان : 3 / 288 .

(78) انظر ترجمته في شجرة النور ص : 318 . وقد وقع له خطأ في وفاته حيث ذكر أنه توفي سنة  
1225 .

(79) طبع بمصر سنة 1355 .

(80) انظر ترجمته في شجرة النور ص : 355 .

سنة 958 هـ في شرح سماه : تحرير المقالة في شرح نظائر الرسالة .

#### رسالة ابن أبي زيد في الغرب الاوروبي :

لم يقف انتشار الرسالة عند حدود العالم الاسلامي على اتساع ارجائه وتعدد اقطاره ، بل مبرت الى ما وراءها من آفاق ، فكانت من ذخائر تراثنا الفقهي الذي عني به المستشرقون وحرصوا على جمعه ونقله ، وعكفوا على ترجمته ودراسته .

اذكر من ذلك ، ان الرسالة نشرت في نصها العربي بلندن سنة 1906 م مع ترجمة انجليزية لها بعناية المستشرق ا. درسل ، وعبد الله المامون السهروردي .

تم ترجمها الى الفرنسية المستشرق فانيان ونشرت الترجمة بساويز سنة 1914 م .

وذكر الاستاذ الكحل (81) ان السيد يرشي المترجم بدواوين الدولة التونسية بعد ترجمة اخرى للرسالة اعتمادا على ترجمة « فانيان » .

\* \* \*

(81) في بحث عن ابن أبي زيد نشره بمجلة الثريا بتونس .

وبعد ، فلعلني اكون قد وفقت في إبراز شخصية هذا العالم الفذ الذي حمل لواء المذهب المالكي . وخدم أصوله وفروعه فلثب بمالك الصغير ،

كما ارجو ان اكون قد ساهمت في اللقاء ببعض الاضواء على تراثه العلمي الثمير الذي ضاع معظمه مع الاسف الشديد - او بقي مجهولا لدى الدارسين والباحثين .

وعسى الله ان يوفق العاملين المخلصين في ميدان البحث العلمي والمهتمين بشؤون الثقافة الى التعاون على نشر هذه الذخائر التي بقيت معطلة من تراث ابن أبي زيد .

والبحث عما يمكن ان يعثر عليه من مؤلفاته المجهولة ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

« فلما من اعطى واتقى وصديق بالحسنى فسيسره ليسرى » صدق الله العظيم .

الرباط : احمد سحنون





# فَتَاوَى النُّوَازِلُ فِي الْقَضَاءِ الْمَالِكِيِّ الْمَغْرِبِيِّ

لِلأستاذ رضى الله إبراهيم اللبغى

— يسألونك عن النيام قل اصلاح لهم  
خير .. الآية .

— يسألونك عن المحيض قل هو اذى .. الآية .  
وأحيانا تأتي كلمة الاستفتاء اشعارا بأهمية  
السؤال : وورد ذلك فى آيتين :

— يستفتونك قل الله يفتيكم فى الدلالة .. الآية .

— ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن ..

وكان صلى الله عليه وسلم يجيب أصحابه عما  
لا وحى فيه .. وأحيانا يبين لهم ان الله قد بين لهم  
أشياء .. وسكت عن أشياء رحمة بهم غير نصيان ..

— سألوه عن مبة البحر فقال الطيور ماؤه والحل  
مينته .

— وسألوه عن مقدار ما يوصون به من أموالهم  
فقال الثلث والثلث كثير ..

— وسألوه عن التعبير فى الاسواق فقال الله  
هو المعبر ..

من المعلوم ان الاسلام اقر فى بداية أمره كثيرا  
مما كان عليه العرب من حياة اجتماعية ومعاملات  
وعادات ما دامت لا تتنافى مع ما جاء به الاسلام من  
أركان وقواعد وستن وأخلاق ... فكان الذين دخلوا  
فى دين الله يتوقفون فى بعض الأمور ويسارعون الى  
الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم يسألونه حكم  
الله فيها ليسيروا على هداه ويتخذوا شريعة الله  
منهجاً فى الحياة .. فكان ( ح ) يجيبهم فى معظم  
الأحوال بالوحي الحاسم من الله اما أقرارا لما كانوا  
عليه أو تغييرا له وتديلا ، معذاقا لقوله تعالى :  
« وما كان الله ليضلل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين  
لهم ما يتقون .. » فكانت الأسئلة تتوالى والآيات  
تسرل بانجواب التامى .

— يسألونك ماذا أحل لهم . قل أحل لكم  
الطيبات .. الآية .

— يسألونك عن الشهر الحرام فتال فيه قل قتال  
فيه كبير .. الآية .

— يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير  
ومنافع للناس .. وأثمهما أكبر من  
نفعهما .. الآية .

— وسألوه عن تأخير النخل فقال انتم ادرى  
بديناكم الى غير ذلك من أجوبة الرسول وفتاويه  
التي حاول بعضهم ان يحصبوها ويؤلف فيها .

وهكذا كان السؤال والاستفتاء في غاية اليسر  
ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم .. يوم كان  
المجتمع الاسلامي محدود الجوانب : وكانت النزعات  
والمشاكل نادرة او قروغ وسريعة الحل بكلمة واحدة  
من الوحي او من الرسول الاكرم صلوات الله وسلامه  
عليه — « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر  
بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت  
رسلاهم .. »

ولكن لما فنخت الامصار واتسعت رقعة الاسلام  
وتلاطمت امواج العمران ودخلت امم ذات حضارات  
في دين الله واستظلت بظله الوارف ولاذت بكنفه  
الارحب وشربته الفراء .. وتبع ذلك افراف الصحابة  
الاجلاء ورواة الحديث والقراء وهم حملة الشريعة  
وحفظة الوحي ورواة الاحاديث .. نتج عن ذلك كله  
حدوث مشاكل عويصة في البيئات الجديدة :  
والمجتمعات المتحضرة .. فكان على حملة الوحي  
من قراء ورواة ان يواجهوا ما نهم عن عادات ومعاملات  
لا عهد لهم بها وان يستنبطوا لها من اصول الشريعة  
الحلول الملائمة .. جاعلين نصب اعينهم ان لا  
يخرجوا عن الكتاب والسنة وان لا يحيدوا ولو قيد  
نملة عن روح الاسلام ومقاصده السامية .. الا ان  
اختلاف المصالح المعربة واختلاف البلدان الشرقية  
والعربية ادى الى اختلاف في الاحكام والفتاوي ..  
تبعا لاختلاف البيئات والعادات والتقاليد .. فظهرت  
اجتهادات وانتشرت آراء تنقارية احيانا وتباعدا  
اخرى .. مما ادى الى ظهور مجتهدين كثيرين يفتى  
كل واحد منهج في بلده بخلاف ما افتى به زميله في  
بلد آخر .. بل ان الاختلاف يقع في بعض الاحيان  
في البلد الواحد وفي المسألة الواحدة وذلك اما  
لاختلاف الانفسار او لكون احدهم  
يسرى من الاحاديث والآثار .. لا يريه  
الآخر .. وهذا في حد ذاته ليس عيبا في استخراج  
الاحكام ما دام له وجه او سند شرعي .. فقد كان  
عمر يقضي في نازلة بحكم ثم يقضي في نازلة مماثلة

بحكم مغاير ويقول : ذلك على ما قضينا وهذا على ما  
عصى .. ويقول في رسالته المشهورة : لا يسمعك  
قضاء قضيتك اليوم ان ترجع فيه لرشدك ولكن العيب  
ان يكون في الامر فوضى وتعم اليأس بضارب  
الاحكام ويشيع الهوى ويسود الفساد .. ولعل هذا  
هو ما خشيه اهل الفيرة والدين يوم ان راوا الامصار  
ومراكز السلطة والخلافة معج بالمقنين وتكتف بدوي  
التحل واصحاب الآراء الشاذة ويشيعون في الناس  
اسباب الفتنة والفرقة ويبثون افكار وتاويلات بعيدة  
كن البعد عن منهج السنة وجادة الصواب .. ويمكن  
ان يكون هذا هو ما حمل ابن المقفع الى كتابة  
رسالته المشهورة الى المنصور العباسي يطيب منه  
ان يضع نظاما للقضاء والفنوى ليرفع كثرة الخلاف  
وتضارب الآراء والاحكام قائلا ان ما يحرم بالكوفة  
يكون جائزا بالحيرة وان الاحكام والفتاوي تتضارب  
في سائر الامصار وربما كان هذا هو ما جعل المنصور  
يهم ان يجمع الناس على كتاب الموطن للامام مالك  
ليستمدوا منه الفتاوي والاحكام .. اولا ان مالك  
عارضه في ذلك وأبى ان يفرض كتابه على جميع  
الناس .. قائلا للخطبة ان الصحابة ومن جاء بعدهم  
من التابعين تفرقوا في البلاد ولكل اتباع .. ولكل  
روايات واحاديث .. وكان عمر بن عبد العزيز قبل  
ذلك حاول ان يجمع الناس على امره بدوي ..  
احاديث .. ولم ينجح هو ايضا ..

فاتضح ان رأى مالك هو الصواب على ما فيه  
من بقاء باب الخلاف مفتوحا .. ولكن يظهر ان شدة  
الخلاف اخذت تضيق وتقارب اطرافها بظهور طبقات  
المجتهدين الكبار .. وخاصة ابا حنيفة واصحابه  
ومالكا واصحابه .. وبقية رؤساء المذاهب الاخرى ..

وذلك ان ابا حنيفة استطاع في ناحيته — ناحية  
الكوفة وبغداد وما اليهما من اقاليم .. ان يجمع  
الناس او اكثرهم على مذهبه المبني على اتساع في  
الرأي بعد كتاب الله وما صح عنده من سنة رسول  
الله .. كما استطاع مالك في ناحيته — ناحية المدينة  
المتورة ومكة المكرمة وما اليهما من اقطار ان يجمع  
الناس على اصول مذهبه المبني على اتساع في رواية  
الاحاديث والسنة بعد كتاب الله وما تواتر عليه اهل  
المدينة من أعمال كانوا عليها منذ عهد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وكذلك ما وجد عليه مشايخ

التابعين الأخدين عن الصحابة الكرام معتمداً في نفس الوقت على ما رآه مستحسناً من أمور الناس وما تركه الشوارع من مصالح مرسلًا ولم يقيد به نص صريح .. والحق أن هذين المذهبين المتفارين في أصولهما وقواعدهما والمتباعين شيئاً ما في بينهما وأساب قبايعهما بيئة العراق المفتحة وبيئة الحجاز المنحقة .. هما اللذان وضعاً للبيئة الأولى والثانية في صرح البناء الشامخ الذي قامت عليه سائر المذاهب الأخرى وما تفرعت عنه بقية الاجتهادات وخير دليل على ذلك هو ما نعرفه جميعاً من أن محمد ابن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة لم تكتمل له أسباب الاتناء والتأليف إلا بعد أن شد الرحيل إلى المدينة وتلمذ لمالك وأخذ عنه كتاب الموطأ .. وكذلك محمد ابن دريس الشافعي فإنه تلمذ للإمام مالك أولاً ثم لأصحاب أبي حنيفة فكان مذهبه الجديد خلاصة المذهبين مع اضافات .. وفي ظني أن من نتائج تبحر الشافعي في المذهبين المالكي والحنفي أن تفنق ذهنه عن رسائله العجيبة المعدودة كأعظم ابتكار من ابتكاراته الكثيرة حيث أسس بها من غير مثال سابق علم أصول الفقه الاسلامي كاملاً مسوفى ومرتضى من جميع المذاهب .

وفي مجال الفتوى نرى المالكية والحنفية سباقين ويكفل بينهما بعض أهـ أن أحدهما سار على خطى الآخر إذ أن الحنفية بحكم تقدم زمانهم التاريخي ولكون أوائلهم احتلوا مناصب رفيعة كانوا أول من وضع قواعد الفتيا وانتهج طريقة وضع الأسئلة المستمدة من الوقائع والاحداث القائمة بالفعل أو التي ينتظر وقوعها ويفترض حدوثها نظوياً .. إذ كانت يثبتهم العمراية تمدهم بسبيل من مسائل واقعية أو مفترضة .. تتطلب البت السريع والجواب الحاسم ولا سيما أن معظمهم كانوا في مراكز السلطة والأرادة ، وفي أيديهم مناصب القضاء ودار الشرط : ينحصر الاموال وحيازة الخراج والأعمار .. فكانت مؤلفاتهم في معظمها تعالج هذه القضايا في صورة أسئلة مطروحة يقرنونها بأجوبة فقيهة محررة بنصوصها وتخريجاتها مستندين فيها إلى أصول المذهب المقرر من كتاب وسنة واجماع وقياس وإلى الأقوال المروية عن أبي حنيفة وعن أصحابه ..

لذلك كان عهده الاحناف الأوائل مبتدأ على ما سموه مسائل الأصول ومسائل الشواهد ومسائل الوقائع ، فالأولى مروية عن الإمام أبي حنيفة وأصحابه يوسف ومحمد بن الحسن والحقوا بهم زفر والحسن بن زياد وغيرهم .. وهذه المسائل الأولى تضمنتها كتب محمد بن الحسن الستة وهي الموطأ والزادات والجامع الصغير والجامع الكبير والتيسير الكبير والتيسير الصغير .. وسميت هذه بظاهرها الرواية لثبوتها بروايات ثابتة ظاهرة .. والحقوا بها كتاب الكافي للحاكم الشهيد المشروح بكتساب الميسوط للرخي .. وأما مسائل النوادر فهي كذلك مروية عن أهل الطبقة الأولى إلا أنها في غير كتب السنة الأربعة كالكتب المعروفة بالكتابات والهارونيات والخرجانيات المعصاة بفهر ظاهرها الرواية لأنها لم ترو بروايات ثابتة .. ولها مسائل الوقائع وهي مسائل استنبطها مجتهدو الاحناف الماخرون لما سئلوا عنها ولم يجدوا لها رواية عن الأولين .. وبجانب ذلك كانت هناك مجاميع تضمن مسائل من مسائل الاحناف ونوازلهم منها نوازل أبي الليث السمرقندي ومجاميع أخرى جمعها السرخسي في كتاب المحيط الذي جمع فيه مسائل الأصول والنواذر وسائر الفتاوى .. ومع ذلك قال العلماء أن مذهب الاحناف لم يتنقح وأن مسأله عسيرة العنال :

ذكرنا عمل الاحناف في مقام الفتوى والنوازل لترتب عليه عمل المالكية الذين قلنا أنهم حللوا الاحناف في بناء فقههم على طرح المسائل الواقعية أو المتوقعة .

ذلك أن تلامذة مالك رضي الله عنه كانوا يحملون الله مسائل على النمط المذكور ويطرحونها في مجلسه فكان يجب عنها بما ثبت عنده وصح من الروايات وإذا لم يحضره شيء تحاشى أن يجيب واكتفى بقوله « لا أدري » حسب ما أقاده غير واحد من تلاميذه إذ كان رضي الله عنه يكره لأصحابه أن يشغلوا أنفسهم بالمسائل النظرية أو التي يتوقف الجواب عنها على الامعان في أعمال المتأخر والرجوع إلى الرأي المجرد عن الروايات الصحيحة ..

إلا أن أسد بن الفرات من أصحاب مالك استطاع أن يضع كتابه المعروف « بالاسدية » ويضمنه أسئلة وأجوبة استخلصها من أقوال مالك وأقوال بعض

أصحابه ، فكان للأمة مالك يتداولون كتاب الاسدية بالبحث والتمحيص وكان سحنون من الذين تقدموه وراموا النيل منه اذ كان يحمله الى أبي القاسم تلميذ ملك البارز وادري الناس بمذهبه فكان يراجعه معه مسألة يقر منها أبو القاسم البعض ويمحى البعض ويدون هو وسحنون ما وافق المذهب في كتاب المدونة ويعملان عما سواه .. فجلت المدونة محرر الاسدية عند الشيوخ المالكية رغم عدم اذعان ابن الفرات لهذا التعديل .. ومنذ ذلك الحين صارت المدونة مرجع المالكية في مسائل المذهب وفي الفتاوي وفقه النوازل .. وبجانبها ظهرت كتب اخرى على منوالها كالأواضحة لعبد المالك بن حبيب والعتبة للعبسي وسواهما .. الا ان مسائل سحنون حلزت قصب السبق ونالت رضا معظم الفقهاء .. وكان ابن أبي زييد القيرواني من جفلة الذين خدموها واخصروها في كتابه المسمى بالمختصر وكذلك البرادعي في كتابه « التهذيب » وكذلك فعل ابن يونس واللخمي وغيرهم .. ثم جمع ابن أبي زييد كل ذلك في كتابه « النواذر » .. كما ان الاندلسيين هجروا الواضحة لانفة الذكر وأقبلوا على العبية التي كان ابن رشد من جملة شراحها ..

ونشير بهذا الصدد الى ان للمالكية ترتيبا واصطلاحا في العمل بالأقوال المتأخرة عن الأمة المذهب فقلوا : يفتي بقول مالك في الموطأ فان لم يوجد فيقول في المدونة فان لم يوجد فيقول ابن القاسم قبيحا والا فيقوله في غيرها والا فيقول غيره في الممنونة ثم بأقوال أصحاب المذهب على ما بينهم من تفاوت في الرواية والترتيب .. وعللوا ذلك بان مالكا هو امام المذهب وان ابن القاسم اعلم بالمذهب وان ما في المدونة يقدم على ما في غيرها لما هي عليه من الصحة والاعتماد ، وعن بعض الشيوخ ان الناس اذا اختلفوا عن مالك فالقول ما قاله ابن القاسم .. وقال الباجي : لا يخرج عن قول ابن القاسم مهما وجد ..

كما نصوا على الكتب التي يجب ان يعتمدها المفتي في فتواه وهي الموطأ والمنتقى والمدونة وابن يونس والمقدمات والبيان والنواذر ..

ونصوا على الشروط التي يجب ان تتوفر في المفتي والحاكم وهي ان يكون مجتهدا في اصول الشريعة عارفا بما أخذ الاحكام وهو المجتهد المطلق فان عجز عن ذلك فليكن مجتهدا في مذهبه وهو مجتهد المذهب وان عجز عنه ان يفتي بما تحلفن سند من اقوال أصحاب المذهب .. وهو المقلد ..

والفرق بين المفتي المجتهد والمقلد هو ان الاول - كما عند الشاطبي - يستنبط الاحكام من اصولها خيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وان المقلد ناقل فروع الشريعة ويلفها قباية عن امامه ويضع في موضع التطبيق ..

كما عرفوا المفتي بأنه المخبر عن حكم الشرع في المسألة المعروضة عليه لا على وجه الالتزام وان القاضي مخبر عن نفس الحكم لكن على وجه الالتزام ~~بما لا يملك~~ ..

ويروى ان اللجوء الى الاستفتاء واجب على من تجهل حكم الله في النازلة او من لا يفتدي اليه لقوله تعالى : « لاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » وان المفتي يجب عليه ان لا يكتف ما عنده من علم والا كان تحت وطأة وعيد الله في الآية : « ان الذين يكتُمون ما انزلنا ... الى قوله : اولئك يلعنهم الله ويلعنهم ~~الانبياء~~ ... »

والشورى في الاحكام واجبة على من يخشى الوقوع في الخطأ والزلل لقوله تعالى « وشاورهم في الامر » وامرهم شورى بينهم .. « وقد كان ذلك سنة متبعة عند السلف منذ عهد الخلفاء الراشدين اذ كان عمر وغيره يستشيرون قبل ان يحكموا ويأمرون الولاة وامضاة بها في سائر الاقطار .. وكانت لهم طرائق شتى في هذه الاستشارات القضائية .. منهم من يطلب الشورى وهو في مجلسه ومنهم من يلتمسها خارج منزله .. وثبت ان الامويين في الاندلس كانوا قد اتخذوا دارا للشورى بقرطبة خلال القرن الثالث الهجري وكان اعضاؤها يعينون من جلة العلماء ويحمل كل واحد منهم لقب المشاور ومهمتهم على ما يظهر النظر في الاحكام المستثناة وتقديم لمشورة اللازمة في القضايا الكبرى التي ترقع اليهم



الراجعة المثعين الاخذ بها وتطبيقها على النازلة المعروضة .. فاذا كان القاضي هو الباني المؤسس للأحكام فإن المفتي هو الذي يمدد بعباد البناء .. وهما معا معدودان عند العلماء من جملة القائمين بمهام الخطط الشرعية التي لا بد منها للمجتمع في النظام الاسلامي وهي خطط معدودة ثقل وتكثرت وتزداد وتنقص بحسب ما يقتضيه العمران واحوال المجتمع .. وهي احيانا ست خطط واحيانا اكثر واحيانا اقل .. وقد عد اكثر المهتمين بالامر خطة الفتيا من جملة ما بجانب خطة القضاء والشرطة والحبس وغيرها .. من خطط السلطة القائمة في البلد .

فاذا كانت الفتوى بهذا الاعتبار فانها تحتاج الى اطار خاص من ذوي الكفاءة والاختصاص والى من يقوم عليها ويحوطها بسياج فيها من المتفهمين والمتمنعين ..

والاصل في الفتوى عند المحققين ان تكون رسالة بمعنى ان لا تتعد بقيود تنظيمية تمنع من به اهلية من ولوج رحابها الا برخصة او تعيين من السلطة القائمة .. كما هو الشأن في معظم بلاد الشرق الاسلامي حيث يعتبر منصب الافتاء وظيفة اميرية لها قوانينها وضوابطها .. واما في مغربنا هذا فانها بقيت رسالة مثل كانت برعاها الولاة ويحوطها الامام بالاشراف عليها من بعيد دون تقييد ولا تحجير .. وكلنا نعرف ما ذا كان يعني لقب مفتي فاس او مفسى مراكش اذا اطلق سابقا عندنا على عالم من العلماء الكبار فهو تشريف اكثر مما هو تكليف ..

لذلك ازدهرت الفتيا في المغرب واقبل عليها كل من انس من نفسه مقدرة او رآه الناس اهلا لها ويقال انها كانت مزدهرة في بلاد الشمال الافريقي من اقدم العصور يوم كان الرومان يقولون عن هذه البلاد انها مزورة المحامين لكثرة من نبغ فيها منهم .. وهذا صحيح يشهد له ما كانت عليه القيروان وفاس وقربلة ومراكش من كثرة الفقهاء المتكبين على اصول الشريعة وفروع المذهب حيث اشبعوها درسا وبحثا وتعليقا واقتوها تاليفا وتدوينا .. وكان لهم شاو لا يدرك في مضمار الفتوى .. لقد اكلوا فيه من التأليف والمجاميع .. وتفننوا وتنوعوا .. واسهبوا واظنوا واكثروا واسرفوا .. حتى ان الباحث يحار

من قبل الولاة والقضاة فينتظرون فيها بمقتضى قواعد المذهب المالكي وقد يخالفون مالكا ويأخذون بقول ابن القاسم .. وقال الباحثون ان اعمال هذه الدار لم تنضح الى الآن على وجه الدقة اذ كانت قريضة في بابها .. وبقي لقب المشاور مستعملا في الاندلس الى اواخر عهدها .. وقال علماء الاحتاف لا بأس ان يجلس أهل الفقه مع القاضي في مجلسه اذا كان غير بصير بطرق القضاء ( لان الحنفية يجيزون عند الضرورة قضاء غير العالم ) غير انه لا يستشيرهم علانية في مجلسه بل يخلو بهم .. وقد فقهاؤنا : اذا لم يجد أفاضي من يستفتي في بلده بحث الى فقهاء آخرين ويؤخر الحكم الى أن يقف على فتواهم وهذه احدي الحالات التي يجوز فيها تأخير صدور الحكم ..

ومن ذلك ما روى عن الامير علي بن يوسف ابن ناشئين من انه عهد الى قضائه ان لا يبتوا في حكومة كبيرها وصغيرها الا بمحضر اربعة فقهاء واذا اراد مشورتهم خلا بهم في غرفة المشورة ولا يشركهم في الحكم .. وكان علي بن يوسف نفسه لا يقضي امرا الا بمحضر عدد معين من الفقهاء .. لذلك سميت دولة المرابطين بدولة الفقهاء ..

وبالمجمل فان الاستشارات القضائية لم تنقطع في الاسلام وانما كانت تأخذ صورا متعددة .. اعلاها ان يحضر شور العلم مجلس القاضي ويقدموا له المشورة اللازمة في جلسة خاصة .. وادناها مذكرات الافتاء التي يقدمها الخصوم او وكلائهم ..

وكان المفتون يراعون في فتاويهم ان لا يحيدوا عن السنن المرسومة للقضاء وان لا يخرجوا عما به الفتوى وبه أعضاء من القول الراجح في المذهب او المشورة او المعمول به قضاء .. لذلك كان الفقهاء يضعون علامة للمفتي والقاضي عند كل قول مسطور في الكتب المعتمدة في المذهب كان يقول : وبه الفتوى ، او عليه العمل - او المشهور او الراجح او الاصح والاطهر .. والمختار ..

وبعد فان الفقه الاسلامي المدون في الامهات يحتاج عند تطبيقه على الوقائع والاحداث الى اناس مهرة ذوي دربة كافية وعرفة تامة يقترون معها على استخراج النصوص من مظانها والاهتداء الى الاقوال

فأرشد بصري حاسرا .. ووقف فكري حائرا ..  
ماذا أقدم وماذا أحر ..

فألذي يمكن قوله في هذه العجالة وفي هذه  
الفرصة الشئينة هو أن عندنا في المغرب - والحمد  
لله - تروية هائلة من كنوز الفقه المالكي لا يجهل أحد  
من الباحثين قيمتها وأهميتها الكبرى .. وإن معظم  
ما زال مذكورا في الخزائن العامة والخاصة يرتد في  
الصناديق وينام على الرفوف .. يشتر همة عالية  
وجتودا مشطوعين يقتحمون تلك الخزائن ويستخرجون  
من سراديبها تلك المدخرات وينفضون عنها غبار  
الاهمال والنسيان ويشقونها من أكفاس التلاشي  
والضباع .. ويعملون على إبرازها وتشرها في حلة  
تليق بها حتى تكون في متناول الجميع وتحت انظار  
الباحثين المهتمين ..

ولقد ساقني الأقدار يوما على وجه الصدفة  
إلى التزول في أحد السرايات واحتفظ الان بتعيين  
موقعه - قرأت به من جملة ما رأيت مجلدات ضخمة  
مصفوفة على رفوف هناك فحررت عندها بما يفوق  
الخمسين مجلدا .. وعلمت مسن كان هناك أني  
سحتوي على نوازل وقضايا .. وإن الأحداث قد  
تجاوزتها وإن أصحابها القائمين عليها قد انصرفوا  
شيئا إلى مهام أخرى جديدة فركموا هناك على أني  
من مخلفات الماضي .. ولم أملك أمام ما رأيت إلا أن  
فصحت يريقي وعلوت كشحي .. ومضيت لعلباتي  
كما مضى الآخرون ..

كما إن الأقدار ساقني إلى خزانة عامة وزرت  
قسم المخطوطات فيها وظليت من القيم عليها أن  
يمدني بجزأيات القسم الفقهي وبالأخص كتب  
النوازل .. وكنت أنوي أن أقف على ما أريد في ذلك  
الصباح أو مع مساءه إن اقتضى الحال .. ولكنني  
قضيت هناك خمسة أيام كاملة من صبحها إلى  
مائها وأنا أتصفح بقط كتب النوازل الموجودة على  
الرفوف أو المعلقة ضمن فهارس الخزائن الأخرى  
.. إذ كان من حسن الحظ أن وجدت بتلك الخزانة  
معظم فهارس الخزائن الأخرى ثم انتهت أيامي الخمسة  
وأنا لم أتمكن من تصفح سائر كتب النوازل التي وقفت  
عليها هناك .. ولا أنني وصلت إلى أحصاء ما وجدت  
منها في الفهارس الأخرى ..

ويقف مشدوها أمام هذا التراث الضخم الذي خلده  
الأسلاف وسجلوه ودووه في مئات الأسفار والمجلدات  
طيلة قرون وقرون .. فكان مما يشير الإعجاب والأكبار  
أنهم خصوا شؤون الفتوى والنوازل بعناية واهتمام  
تفوق كل وصف وتتجاوز كل تقدير .. حتى أن الفقه  
المالكي التطبيقي العلمي تجده كله ما زال حيا يرزق  
بين طيات كتب النوازل .. وعلى السنة وأعلام  
المفتين البارزين مما جاز معه القول بأن الفقه المالكي  
لم يمته ولم يقبر كما يتوهم البعض بل أنسه ما زال  
قلبه ينبض بالحياة ويفور قوة ونشاطا تجده في الوقائع  
والنوازل أكثر مما تجده في الامهات الأخرى .. أن  
كلمة « سئل .. فأجاب .. » التي تأتي في صدر  
القاضي لا تعني واقعة بعينها بل تعني أن فقه المسألة  
هو الواقع بعينه والحارس السخط الامن وأنه شرع  
الله الحي السرمدي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه  
ولا من خلفه .. وأن عبارة « وبه العمل » الذي تقترن  
بأقوال فقهاء المذهب لا تعني فقط العمل الوقتي  
والظرفي بذلك القول المفهني المحكي فائيا تعني  
أيضا وجوب العمل به دواما واستمرارا إلى الدهر ..

إن فقهاء الأكرمين - الفضاة منهم والمفتين -  
عرفوا الداء وعرفوا الدواء ووضعوا المعين في موضع  
المقرب - على حد التعبير الأدبي .. فأنهم تقلدوا  
نصوص الفقه النظرية إلى مواقع العمل بها .. تطبيقا  
وتنفيذا .. في المحاكم وفي الأسواق وفي البيوت  
وفي الطرقات وبيوت المال والتجارة والصناعة  
والزراعة والملاحة وميادين القتال والجهاد .. إلى  
غير ذلك من مواقع الحياة ومعترك البشر .. فهناك  
ترى الفقهاء يصولون ويجولون .. وأصحاب النوازل  
يعالجون المشاكل ويقدمون لها الحلول هكذا تشعر  
وأنت تصفح كتب النوازل أنك ترى الفقيه المفتي  
يستعرض الأفعال ويحاول أن يستخرج منها عناصر  
التركيبة التي يقدمها بنفسه للسائل أو يقدمها للقاضي  
علاجاً زحعا للمسائل ومطعما لشار التكوين والفتن  
وجسما لداء النزاع ..

أنني تتبعت شخصيا وباستقراء هذه المجموعات  
الكبرى والصغرى التي تضمنت فتاوي الأقدمين  
والمؤخرين ورمت عندها واحصاءها وأعطاء فكرة عامة  
ومجملتها عنها وعن محتوياتها فوجدتني أمام بحر  
ملاطم .. عميق الغور لا يصل البصر إلى مضاء ..

وأجدني هنا في غنى عن تقديم كشف شامل لما يحتويه الخزائن المغربية وغيرها من كتب الفتاوي والنوازل المتعلقة بالمذهب المالكي .. إذ أن معظم علمائنا وأساتذتنا المعتمدين بثرأنا العلمي عموماً والفقهي خصوصاً لا يحتاجون إلى من يقدم لهم إحصاء بكتب النوازل التي خلفها الأسلاف ولا أنهم يتوقفون على من يدلهم عليها ولا على محتوياتها فكلهم تبارك الله على علم تام بالموضوع .

وإنما أشير في الأخير إلى المجهود العظيم الذي كان قد بذل في فترة معينة منذ أواخر القرن الماضي وفاسحة هذا القرن .. ذلك المجهود العلمي المشكور الذي تمثل في أحداث أول مطبعة حجرية بفاس العامرة - تلك المطبعة المتواضعة والعظيمة في آن واحد التي أخرجت للناس جملة هامة من الكتب القيمة .. وفي مقدمتها طائفة من كتب النوازل .. ولعل أعظمها وأهمها كتاب المعيار المشهور والمعروف باسم « المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقيا والاتدلس والمغرب » لصاحبه الشيخ الإمام أحمد بن يحيى الوتشيري التلمساني الفاسي قرأوا المتوفى عام 914 هـ - 1508 م المطبوع على الحجر بفاس في اثني عشر مجلداً . ونوازل سيدي المهدي الوزاني الكبرى المعروفة بالمعيار الجديد - والصغرى المطبوعة في أربعة أجزاء على الحجر بفاس في حياته إذ لم يتوف إلا في 1342 هـ 1923 م .

وكذلك كتاب الدر النير على أجوبة أبي الحسن الصغير التي جمعها تلميذه أبو القاسم إبراهيم ابن عبد الرحمن التمولي التازي وقيل عليها أبو سالم إبراهيم بن هلال بن علي الصنهاجي السجلماسي .. المطبوع أيضاً على الحجر بفاس .

— والأجوبة الكبرى والصغرى لسدي عبد القادر بن علي الفاسي المطبوعة على الحجر بفاس .

— وأجوبة سيدي محمد بن ناصر الدرعي المعروفة بالأجوبة الناصرية التي جمعها محمد بن أبي القاسم الصنهاجي وطبعت على الحجر بفاس .

— وأجوبة الشيخ سيدي محمد بن المدني جنون المستاري الفاسي المطبوعة على الحجر كذلك .

— والإشارات الحسان المرفوعة إلى حبر داس وتلمسان ( الوتشيري ) لمحمد بن أحمد ابن غازي المكناسي المطبوعة ضمن ازهرار الرياض للمعـسـري .

— ونوازل العلمي وهو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي الحسني العلمي الشفشاوني المتوفى عام 1126 هـ - 1714 م المطبوعة مراراً على الحجر بـ . . .

— والاحكام في تمييز الفتاوي من الاحكام وتصرف القاضي والامام لابن العباس أحمد بن إدريس ابن عبد الرحمن القرافي المصري المالكي المطبوعة بمصر والتي تعد مرجعاً علمياً لدى المقاربة .

المنهج المنتخب إلى أصول المذهب لعلي بن قاسم بن محمد الزقاق الفاسي المتوفى عام 912 هـ - 1506 م وهو أرجوزة في 437 بيتاً طبعت على الحجر بفاس .

— شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب لأحمد بن علي المنجور الفاسي المتوفى عام 912 هـ - 1506 م وهو أرجوزة في 437 بيتاً طبعت على الحجر بفاس .

— شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب لأحمد بن علي المنجور الفاسي المتوفى عام 995 هـ - 1587 م المطبوع على الحجر بفاس .

— جواب على سؤال الأمير عبد القادر الجزائري يتعلق بجهاد الفرنسيين المحتلين للجزائر .. لأبي الحسن علي بن عبد السلام التمولي وكبه بأمر من السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام .. وطبع ضمن أجوبة التمولي على المحجر بفاس كما طبع يوجد ضمن مختصر لكتاب تحفة الزائر ..

— النوازل البلالية لأبي اسحاق إبراهيم ابن هلال الصنهاجي السجلماسي المتوفى عام 903 هـ - 1497 م طبعت على الحجر بفاس ورتبها سيدي علي ابن أحمد الجزولي البجلالي .

— نوازل المسناوي وهو محمد بن المهدي المسناوي البكري المتوفى عام 1136 هـ - 1724 م مطبوعة على الحجر بفاس في سفر متوسط .

— نوازل بردلة وهو فاضل الجماعة بفاس أبو عبد العزيز بن أحمد بردلة . الأندلسي ثم الفاسي المتوفى عام 1133 هـ جمعها في حياته أحمد بن أحمد الخياطي الدكالي وطبعته على الحجر بفاس في سفر متوسط .

— نوازل العباسي وهو أبو العباس أحمد ابن محمد بن محمد بن سعيد العباسي السملالي الموسوي المتوفى عام 1152 هـ جمعها تلميذه أحمد بن إبراهيم ابن يعقوب السملالي وطبعته على الحجر بفاس في جريدته .

— نوازل الشيخ التاودي ابن سودة طبعته على الحجر بفاس .

— نوازل محمد بن الحسن المجاسي فاضل فاس المتوفى عام 1103 هـ - 1691 م طبعته على الحجر بفاس .

— أرجوزة فيما تجب به الفتوى وما يعتمد من الكتب محمد النابغة الشنيطي المتوفى عام 1282 هـ - 1865 م طبعته بالمطبعة الملكية بفاس .

— فتاوي الفقيه الرهوني التطواني المطبوع بعضها أخيراً بتطوان .

— معيار التحقيق في معنى الفتوى والنوثق للمفتي حمادي جبرو أبو الفضل المطبوع بالدار البيضاء .

ذكرت هذه القائمة بكتب النوازل والفتاوي التي قامت المطبعة الحجرية بفاس وبعض المطابع الأخرى بإخراجها ونشرها في نطاق شيق وبوسائل جد محدودة . . مما جعل تلك الطباعات الآن في حكم المخطوطات والنوازل التي يعز وجودها ويتعذر الاستفادة منها . . فكانت بذلك ما زالت تحتاج إلى من يطبعها وينشرها من جلدته . [1]

وتحت يدي قائمة أخرى تتضمن سائر كتب النوازل التي وقفت عليها وفيها ما يربو على خمسين

مؤلفاً أنقبتها من نحو مائة مخطوطة بأسمائها وأمكنة وجودها احتفظ بها الآن وأقدمها في فرصة أخرى عند الحاجة . .

وإذا جاز أن أضيف شيئاً فهو أن كتب النوازل ليست ذخيرة نفيسة فحسب بل هي سجل شامل لسائر مذاهب أعيان الإسماعيلية والافتخارية والتاريخية والعمرانية وحتى العسكرية والسياسية حيث يجد كل بحث مستعاد فيها وتمده بمفردات قلما يجدها في غيره وحتى الفرائب فإنه يجدها بين طياتها . .

وعلى المثال والمنظير . . نجد صاحب المعيار اتى بفتوى حول حكم ذبائح أهل الكتاب . . وأخرى عن حكم الإيمان باللغات الأعجمية وأن الاعتبار بالمعنى لا بالألفاظ . . وعن حكم الذميين إذا حاربوا . . وعن حكم من غلب النصارى على بلده ولم يهاجر ، وعن وقعة والد الحافظ التادلي مع الشيخ أبي يمرى ، وعن قصة يهود توات من قصور صحراء المغرب في شأن أحدهم بيعة هناك وقد تداول فيها علماء الوقت بما يفيد منعهم لعدم شرط يسمح لهم بذلك ، وعن قضايا الصرف وتبادل العملات وسك النقود . . وأورد سؤال أبي الحسن المريني علماء وقته عن حكم اتخاذ ركاب الخيل من خلص الذهب والفضة ، وأبحاثاً في الحوالة والأحالة والحديان ومماثل في العياد والمراقق وفيما يسمى الآن بالثلوث وحماصة الطبيعة ، وتحقيقاً فيما يروي من أن الله يمت كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها ، وجواباً عما يحتال في تضييع المقام المعززية ويتملص من أداء واجبات الدولة . . وأبحاثاً في التعرض للناس في الطرقات بالشعوذة وخروب السحر والتداوي وضرب الغال والنظر في الكف . . وكذلك ما أحدثه البعض من الاحتفال بليلة الميلاد وما يفعلونه في ليلة الحاكوزة . . إلى غير ذلك من الوقائع التي ما زالت تشغل بال الناس .

ونجد سيدي المهدي الوزاني يتعرض هو الآخر لكثير من قضايا وقته وهو من المتأخرين أو المعاصرين ومنها حكم شرب القهوة والشاي والتبغ

[1] تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مربية طبعة جديدة من كتابه المعيار للوثريسي ، وكذلك نوازل العلمي - ( دعوة الحق ) .



وطانة - وله تأليف في ذلك .. كما ذكر ان الهلال  
 ثبت بالبرود وبالنار وبالتلفراف مثلما يثبت بالبينة  
 الشرعية وان ما يصلح للحلق والمعدة من غير طريق  
 الفم عند الصيام انما فيه القضاء ولو عمدا ، وان  
 لا شيء على من تبخر بالعود او غيره او شم رائحة في  
 رمضان ، وان طعم اهل الكتاب وذبايحهم حلال  
 طيب ، وان الطلاق باليمين الحرام تلزم منه طلقة واحدة ..  
 واحدة ، وان الطلاق يلفظ الثلاث طلقة واحدة ..  
 وأورد سؤالا وجه الى علماء فاس من الحضرة العالية  
 حول جلب طاية لما اود السلطان يسرح جلبها ،  
 وسؤالا آخر منه حول وسق العاشية والحبوب الى  
 بلاد النصراني .. وأورد رسالة ابي علي اليوسي  
 الشهيرة الى المولى اسماعيل ، وكذلك سؤال الامر  
 الى علماء فاس عن حكم صلح تطوان ودفع 20 مليون  
 ريال عن افتدائها فأجاب بالشرح الادريسي مولاي  
 احمد العراقي بعدم الجواز لما فيه من توهين  
 المسلمين .. وأورد مسائل من السلطان سيدي  
 محمد بن عبد الله الى العلماء حول املاك مخزنيسة  
 واخرى حبسية هل يرد بيعها وهل تعرض بقيمتها ..  
 ومسألة من المولى سليمان في شأن مرابطي الوقت  
 يستودعهم العمال الظلمة الاموال المغصوبة .. وفيه

ان تبرعات الناس لمن تولي عليهم يجب ردها ..  
 في آخر رد ..

وهناك اجوبة في مواضيع معينة كاجوبة  
 لوشريسي واجوبة ابي السعود الفاسي واجوبة  
 لهوزالي واجوبة الرهومي واجوبة السكتاني واجوبة  
 الزيتي .. وكذلك اجوبة في مسائل خاصة كاجواب  
 ابي حفص الفاسي في حكم استعانة السلطان بالكفار  
 في امور الجهاد ، وكرسالة صرف الهممة الى تحقيق  
 معنى الدمة السنوي - ورسالة من الحسن لابن  
 سعيد المراكشي ، ورسالة في الامامة العظمى لابي  
 لسعود الفاسي ورسالة القول الكاشف في حكم  
 الاستنابة في الوظائف للمسنوي وتقييد في الموازين  
 والمكوس لابي زيد الفاسي ، ورسالة تحفة القضاة في  
 عرض مسائل الرعاية لابي العباس الملوحي ، ورسالة  
 رفع الالتباس في شركة الخماس لابن رحال ..  
 وغيرها مما يتناول البحث في مناحي الحياة العامة .

هذا وانني اذا استرسلت في الموضوع فاني  
 لا اكاد انتهى

الرباط : رضا الله ابراهيم الانفي



# قصة الجالية الأندلسية في المغرب

-1-

للاستاذ أحمد السائح

منتشرين في إسبانيا والبرتغال قبل سقوط غرناطة،  
واصلها (أمور) وهي بربرية الأصل من (أمور)  
وبعني المغرب .

لقد كان أجداد هؤلاء جميعا بنسابة الحضارة  
الإسلامية في أوروبا بصفة عامة . . وفي الأندلس  
بصفة خاصة . . وبعد حروب الإسرجاج المتعصبة  
أخذت تتداعى العواصم الإسلامية في الأندلس واحدة  
بعد أخرى . . وأخيرا فقد المسلمون غرناطة  
وضواحيها العظيمة ، فسلموا من الاستقلال الذاتي  
والحرية السياسية ، وتنزع عن ذلك الهوان  
والاستسلام ، والفقر والضعف ، وتحمل شتى أنواع  
الاضطهاد الاجتماعي ، والإسلام لطلب لقمة  
العيش من يد الأعداء المنصرين .

وإذا كان عالمنا المعاصر بما فيه من وسائل  
الاعلام المتعددة الاتجاهات ، في كل بلاد ، وبما  
يتوفر عليه من منظمات سياسية وهيئات متعددة  
للدفاع عن الإنسان وحقوق المواطنين . . إذا كان  
هذا العالم يترشح تحت ثير الظلم والاضطهاد ، ومآسي  
التجهيز والنفي الجماعي ، فما أحرى أن يكون أولئك  
المنهزمون من فلول الأندلسيين المسلمين الذين  
سقطوا تحت وطأة الدونية على يد خصوم متعصبين  
من رجال الكنيسة وبالأخص من رهبانية (الجزويت)  
والفرق المتعصبة وبالأخص كذلك من الذين لم  
يكونوا رجال دين مباحي بقدر ما كانوا حاقدين

كانوا يؤثرون أن يسموا بالأندلسيين . وكان  
المؤرخون العرب يسمونهم بالمهاجرين الأندلسيين ،  
وأحيانا يلقبون بالقرباء . أما المسيحيون فكانوا  
يلقبونهم (الموريكوس) وأحيانا (بالمذجنين)  
وهم الذين كانوا مورعين في إسبانيا قبل سقوط  
غرناطة وضواحيها ، والذين يعيشون في كنف  
الممالك الإسبانية منذ عهد المرابطين ، وكانوا أرقى  
حضارة من المسيحيين .

وكلمة (الموريكوس) = Meriscos  
تصغير للكلمة Moros وهو لقب يطلق على جميع  
المسلمين الذين كانوا يحكمون الأندلس ثم غلبوا على  
أمرهم ففسر اسمهم تويينا لهم .

وأصل هذه الكلمة بربري من (أمور) وتعني  
اسمغرب ، ودخلت اللغة اللاتينية فأصبحت كلمة  
Mauri - Maurus وتعني سكان المغرب ، حيث  
كان جنوب المغرب يسمى بموريطانيا ، ومنذ القديم  
أطلق سكان (لبيريا) كلمة (موريطانيا) - تنزانيا  
على المغرب العربي ثم أصبح الوافدون عليهم من  
هؤلاء يسمون (بالمورس) مختصرا عن موريطانيا ،  
وأخيرا أطلقوا هذا الاسم على كل عربي ومسلم ، لأن  
المغرب باب الوافدين على إسبانيا ، ولهذا فترجم  
إلى عارب أو متعرب . . أما كلمة (الموريكوس)  
فتعني المسلمين والعرب (والمذجنين) الذين ظلوا

معطشين الى الدماء تحت ستار ديانة اترجمة والمحببة ، والإيمان والزهد .. فما أخرى ان يلاقي هؤلاء المسلمون من صنوف اعتل والتعذيب والضعة واليوان دون ان يتحرك احد لنجدتهم والتشهير بأعمال أعدائهم ، وكشف النقاب عما يلاقون من عذاب .

لم يكشف المنتصرون من سلب العنبرين من المسلمين أموالهم وديارهم وملكهم وتوزيعهم في البلاد وحرق كتبهم ووثائقهم ، ومن أمر بتغيير زعيم وعاداتهم ، ومحو تراثهم وتعطيل أعرافهم .. بل أمرهم ان يتخلوا عن معتقداتهم التي كافحوا من أجلها قرونا بل لم يكتفوا بذلك : فأمرهم باعتناق المسيحية اذ بدت مصلحة في تعميدهم ثم أنابهم بالصوبة الى دينهم ليعملوا خدما في حقولهم .. وأخيرا شق على هؤلاء المنتصرين ان ينظروا الى هؤلاء الذين يحمل وجودهم تاريخا عظيما ، فسردوهم في البلاد ، وقطعوهم في الأرض أمما ، وقدموا بهم الى البحر ليلاقوا من قرصتهم ما بقي عندهم أن يلاقوا من المحن بعد ان غلبوهم ما لهم من مال ومنساع : و قدرة صحة على مواجهة الخطوب .

وما تزال الحفريات الاسبانية مطالعا من حين لآخر عن كتوف المقابر الجماعية لهؤلاء المعذبين في الأرض .. وقد نقلت اينما Le Matin de Paris من شهر يوليو آخر هذه الكتوف .

قد سلطت الكنيسة محاكم المقيش او ديوان التحقيق الذي اعطى صفة المدعي وتزيد العرش الكاثوليكي على هؤلاء ، فعذبهم سرا وعلانية بما اغلقه الخيال المسيحي على محترفي المسيحية .. فكانت أعظم مأساة عاشها ( الانسان المسلم ) في بلاد لم يقدم لها الا ثمة حضارة انسانية سامية .

وتبدأ مأساة الموريكوس ، عندما سقطت غرناطة في يد ايزابلا وفرديناند ، حيث شعر الشعب المسلم ببداية المأساة رغم الوعود الكاذبة باحترامهم ، واخذ كثير من المسلمين يقادرون بلادهم الى المغرب كلما تذكر لهم الدهر ، كما وقع يوم ثورة ( الربض ) على الحكم الاموي .. ووصف لنا مؤلف ( اخبار مصر في انقضاء دولة بني نصر ) المؤلف سنة 947 هـ - 1540 م هجرة الانطلميين بعد سقوط

غرناطة حيث كانوا يتركون ديارهم الى بلاد المغرب في ( جماعات ) تستقر كل واحدة منها بمدينة من المدن المغربية ، بعد ان يبيعوا ما خفف من المتاع بأخص الاثمان ، فيؤثرون السكن في المغرب ( بالمدن ، الصغرى او ( القرى ) وأحيانا المدن المعجورة حتى يستطيعوا ان يكونوا مجتمعا ملائما لحياتهم .. فكان مملكة اختاروا مدينة ( باديس ) ، وأهل مرية مدينة تلمسان ، وأهل الجزيرة مدينة صنجة ، وأهل بلش مدينة ( سلا ) ، وأهل طريف مدينة آسفي وأزمور .. وأستاذ المنظري في عمير مدينة ( مرتيل ) وبناء مدينة ( تطوان ) .

ان هجرة هؤلاء جميعا بعد سقوط غرناطة دليل على شعورهم بما سيلاقون على يد ( الكنيسة ) الملهقة الى السفك والتعذيب والايقاع بالمسلمين وسلب ثروتهم ، واستغلال مقدراتهم وعملهم ثم نشردهم ونفهم .

لقد كانت الفترة الاولى من سقوط ( غرناطة ) فترة اعتدال سياسي أراد بها ( فرديناند وايزابلا ) ان يفضوا الى حين ( الانتصار الكبير ) لنقضا على الفريسة بكل قواهما .. كما كانت فترة اندماج بعض عناصر البرجوازية الفرناطية التي اختارت اعتناق المسيحية والتخلي عن المسلمين ، وهي جماعة من الامراء والوزراء والمترفين .. الذين تنكروا للشعب الفرناطي المسلم واخلصوا بعد ذلك للمسححة والعرش الاسباني ..

وبعد هذه المرحلة أصبح من السهل ان تدمر ( معاهدة السلام ) التي اعلنها ( فرديناند ) و ( ايزابلا ) قبل تسليم غرناطة والتي يلتزمان فيها بتأمين المسلمين على انفسهم وامتنعهم واحترام دينهم وشعائرهم .. فقد كانت مجرد عهود كاذبة .. وخداع ليستسلم المسلمون بعد ان عجزت السلطة المسححة عن مقاومتهم وتفريق كلمتهم ، حتى اذا اطمأن الى ضعفهم سلط عليهم الكردينال خمينيس بتفليسهم الازهاب ( العقائدي والديني ) وقتل ( النخبة ) ، واحراق الكتب والخزائن ، وتدمير الجماعة الاسلامية بالنفي والتشجير والتعذيب .. بعد استنزاف طاقتها وقدراتها الفكرية والمالية والادبية .

لقد اذان المؤرخون المسيحيون انفسهم أعمال ( خمينيس ) الاجرامية .. ولكنها اداة ( لفظية )

نقضه . وما يزال خمتين يعتبر في تاريخ رجال الكنيسة الاسبانية من الابهاء الروحانيين ، وهو الذي حاكم ( الكتب ) الاسلامية كما حاكم المسلمين . واحرقها كما احرقهم ، واباد امجاد ثقافة الاسبانية ليحل مكانها الاسترقاق والظلم ، والاعتصام والجهالة والانحراف .

وهكذا ظهر ( الموريسكوس ) كشعب مسلم يقاوم في السر والعلن مظاهر الابادة الفردية والجماعية في اصرار لا مثيل له . فلجأت الكنيسة والعرش لاسباني الى الاغراء وذلك بالابراء من القيود المفروضة على الموريسكوس على كل من تنصر ، تلك القيود التي تعني ( ضريبة الرأس ) و ( الفرامة ) المفروضة على كل الموريسكوس . ومضايقتهم جميعا بالدخول على منازلهم في كل وقت وحين ، وعدم الاعتراف بعقودهم المحررة باللغة العربية ، وفرض الخدمة عليهم وعدم السماح بتنقلهم ، ومنعهم من حمل السلاح ، واقامتهم بحي خاص بهم . وفعلوا تنصير سكان حي الموريريا Moreria في غرناطة وبسطة واهل وادي الكرين ، عساهم ينجون من العذاب . ورغم هذه ( المؤامرة ) اليادفة الى ابادة الشعب المسلم . فقد ظل ( الموريسكوس ) صامدين في وجه الكنيسة والحكم الاسباني . فقرر ملك اسبانيا سنة 904 هـ ابحار تنصير .

ولجأ ( الموريسكوس ) الى مذهب ( التقيية ) الشيعي ، فتظاهروا بالمسيحية واستبطنوا الاسلام ، وكان العالم الاسلامي في صلب الانحدار فلم يتطلع استنهاض الهمم لمقاومة ( التنصير ) ولم يزد الكتاب والحكام من تمديد الاهات على ديار الاسلام !!

واعلن ملك المسيحيين في اسبانيا ان ( الاسلام بها . ولهذا فلا عيب بينه وبين المسلمين ، فمن يشاء ان يتنصر ، ومن شاء فليدخل الى عالم الجحيم . او يهاجر اذا استطاع او سمح له بالهجرة .

وحدثت الكنيسة الفرصة مواتية لاستعباد هذا الشعب ولهذا فقد كن مبداء التنصير ا يخفي اعظم جريمة عرفها التاريخ ، وهي جريمة ابادة شعب والقضاء على حضارة انقلت اوربا من التخلف الفكري والديني والثقافة البدائية وعصر المحر والكهانة . ولذلك فقد حرو ( ديسا ) المحقق العام

تشريعا لحرب الابادة وسماه ( محكمة التفتيش ) او ( ديوان التحقيق او التفتيش ) يضم لجنة ملكية للتحقيق ، كما هو الشأن في ( قرطبة ) . وكانت ( محكمة التفتيش ) تعني الظلم والافيات والتأمر . والاهانة واغتصاب النبلاء والجنش وحتى الرهبان لاعراض المسلمين . كما كانت وسيلة لاستعباد الناس وعملهم بدون مقابل الا بالاحتياز والاهانة .

ووجد ( الموريسكوس ) انفسهم امام مؤامره جديدة ففروا ( الثورة ) الداخلية . و ( الاستعانة ) بتدخل الدول الاسلامية ومؤازرتها ومساعدتها من جهة الشواطئ الاسبانية .

فقد لجأ القاضي ابن الازرق الى تونس ومصر لطلب المعونة من قبل ، ولكن الخلافات بين رؤساء الدول الاسلامية في مصر وتونس . واختلافه العمالية حال بين التدخل الفعلي ، ولم يزد الخليفة العثماني عن ارسال وفد يطلب من السلطة المسيحية المتفطرة بحق الرعاية فكان الرد بعث وفد لتطمين الملوك المسلمين على مصر ( الموريسكوس ) المتكونين .

وركب ( الموريسكوس ) الطريق الصعب ، واعلنوا الثورة التي ذكرت ( المسيحيين ) بامجاد المسلمين الحربية . فاضمدت الثورة باعلان العمى عن الثوار شرط اعتناق المسيحية في ظرف ثلاثة اشهر ، او عقادة اسبانيا منازلن عن املاتهم .

وبعد ذلك مارس محاكم التحقيق اشرع صفوف الارهاب والتزوير وتلفق الحجج وانتزاع الاعترافات بالخدعة والمكر ، وقبول شهادة الاطفال والعبيد والنساء واعلاء العتيم اذا كانت عليه علامة بل حتى ( الاعترافات ) التي يدلي بها المضطهدون سرا ( للرهبان ) تعتبر تهمة يحقق في شأنها . وعند سنة 1242 م ومحاكم التفتيش تطارد المسلمين الاندلسيين .

و ( ديوان التحقيق ) يهدف الى سحق ( الموريسكوس ) حيث يعمل بشرعية تامة وموافقة ( البابا ) الذي اصدر منشورا باقراره سنة 1478 م ، وتابعت الكنيسة الاسبانية تنظيم مجلته وتنظيم وظيفة المحقق العام .



ابهم قالوا بأن المسيح ليس الإله ، وإنما هو رسول .  
وإذا تنظف أو أكل اللحم يوم الجمعة ، أو رفض  
أكل الذبائح المسيحية ، أو ختن أولاده ، أو أشد  
اغاني عربية . أو أقام حفل رقص عربية ، أو غسل  
الموتى ، أو كفنها .

والواقع أن المنتصرين لم يستيقوا الديانة  
المسيحية وقد عبر عن هذا الاغراب الشاعر  
الموريسكي خوان الفونسو حين قال :

ايها الغراب الاسباني الملغون  
يا ناشر الرياء ، ايها السجان البقيض  
ها أنت واقف برؤوسك الثلاثة  
على أبواب الجحيم ..

وقد أمر المعتدون ان ينظموا اللغة الاسبانية  
القشتالية ، ويعرفون ( بالخميدو ) اب المستعجمين ،  
وسمي ادبهم Al Allamia ( بالعجمية ) .

وقبل طرد المسلمين بأكثر من ثلاثين سنة ،  
أمر أسقف غرناطة أن يلزم أبناء المسلمين ابتداء من  
الخامسة من عمرهم إلى سن الخامسة عشرة بتعلم  
الاسبانية وتلقي تعاليم المسيحية ..

لقد عانى ( المنتصرون ) من شوفه القدر  
والتعذيب ما يشيب لهوله الصبيان ، وكان فردبناند  
هو الذي يتولى كبر سحق الشعب المسلم في  
اسبانيا ، وممالة محاكم التفتيش على أعمالها ..  
وكفى أن يكون نموذج السياسة العكافيلية فيمجدده  
ميكافيل نفسه في كتابه ( الأمير ) ويتخذة مثالا  
بحذى .. فلما توفي سنة 1516 م وجد ( المسلمون )  
الفرصة سواء من العمال أو العزاريين في الحقول ،  
للعودة إلى قبة ( الإطمئنان ) فقدموا ( لشارلكان )  
ملتصين التخلف وعدم الاعتراف ( بالتنصير )  
بالاكراه ... فكان الجواب بعودة الكنيسة إلى  
الاضطهاد من جديد ، وكانت الثورة في ضاحيه  
لسنة التي أخذت بقوة النار والعدد .

والغريب أن النبلاء والاقطاعيين في ولاية  
الاراجون ( تدخلوا لئلا يتصر المسلمون في هذه  
الولاية أبناء على المزارعين والصناع خدما لا يرقون  
لى درجة ( المسيحية ) . ولم تلب الكنيسة مطبهم

والعجيب ان ( ديوان التحقيق ) أصبح أعظم  
جهاز في اسبانيا المسيحية ، حيث مزج فكرة  
القومية بلدين المسيحي ، ووجه السياسة الاسبانية ،  
وملا ( الخزائن ) بالاموال المسلوية ..

ولقد تعودت الكنيسة الرومانية أن تحول  
الاضطهاد العسكري الروماني المألوف الى ( اضطهاد  
فكري ) بدعوى المحافظة على معاء العقيدة ..

واستعملت لذلك كل اساليب الارهاب والتعذيب  
كما كان في عصر الوثنية الرومانية تماما ، ثم تكونت  
محاكم للتفتيش توالى الاشراف عليها الآباء  
الدومينيكيون والفرنسيسكانيون الذين حولوا الاديرة  
الى سجون للتعذيب والارهاب حتى يقيدون المتهمين  
( بالاغلال ) الثقيلة في بيوت مظلمة عقنة ، وأحيانا  
يبثون على ( المتهمين ) أسوار حجرية ليلاقوا المصبرا  
في عذاب الاختناق والجوع والعطش ..

واستغادت الكنيسة من مصادرة الاموال .  
ثروة طائلة ، كما استكانت الى الخزعات من مقاومة  
رجال الفكر الاحرار الذين كانوا يلاقون العذاب باسم  
المروق عن الدين ، وأصبح منصب ( المحقق العام  
أعظم منصب ديني وسياسي ، متوفر على قوة مالية  
عظيمة مشرعة من الشعب المسلم مع اغتصاب  
أعراض النساء وسلب الاموال ، والتهديد .

كما أصبح ( ديوان التحقيق ) يصدر احكامه  
بالقتل والحرق دون مبرر او تشريع الا بيسط التهم .  
وكان توماس (دي تركيمادا) المتوفى سنة 1498 م اكبر  
قس تولى كبر الظلم والاضطهاد ، بوسائل التعذيب  
المعروفة في القرون الوسطى ، كتمزيق الارجل ،  
وكسر الفك ، وسحق العظام ، وسيل العيسن ..  
ثم يتم الحكم بالحرق الجماعي في القالب في حفلات  
كبرى حيث يسير الضحايا في مركب الاوتودافى  
Auto-Defe يتلى الشعب ورجال الكنيسة  
( بالحرق الجماعي ) .

ورغم جهود ديوان التفتيش لتنصير المسلمين ،  
نقد ظل هؤلاء مخلصين سرا للاسلام ، يظهرون عندما  
يعبدون في الكنيسة ، ولا يعرفون للرهبان بأسرارهم .  
ولذلك صدرت وثقة تدين المنتصرين وتحاكمهم من  
جديد بدعوى الصبوة الى دينهم القديم ، اذ اتهموا

الانتهازي أمعانا في سحق الاسلام في الاندلس . .  
بل حرم على ( الموريسكوس استعمال لغتهم ولباس  
زيجهم القومي ، والاستجمام وقتح منازلهم أمام الجمع  
والا يتسموا بأسماء عربية .

ورغم أن ( شاولكان ) واعد المتنصرين  
( بالمساواة ) مع المسيحيين ، فإن هذا الوعد لم  
يتحقق قط ، بل ظلوا يكونون طبقة مضطهدة مستقلة ،  
بل حرمت الهجرة الى ديار الاسلام لحاجة المسيحيين  
لليد العاملة .

ولم تنفع ( التقية ) الدينية التي آمن بها علماء  
العرب الغرباء المؤمنون من ملاحقة محاكم التفتيش ،  
ولم تمنع من التنصير الجماعي والعردى ومن المطاردة  
والمحزنة .

وكانت ( التقية ) توجيه ديني سني للحفاظ على  
الايمان بالقلبي وتاويل القول والتستر في المباداة  
وبتليعات التشريع الاسلامي ، في العباداة والمعاملات  
والاحوال الشخصية . كما كان ( التنصير ) يهدف  
الى تحقيق مرحلة تفريب العقيدة واللغة والعادات ثم  
اذابة المسلمين كطبقة مستضفة في الكيان  
الاسباني .

ولما عجزت ( محاكم التفتيش ) من نحو هذا  
الشعب وابنائهم وتغويت حضارته وغسل دماغه  
وتعطيل شريعته ، استصدرت من السلطة قانون  
تحريم اللغة العربية والثياب العربية بصفة صارمة  
ناسية وذلك سنة 1566 م . . واعطى (الموريسكوس)  
ثلاثة اعوام لتعلم القشتالية ، ثم تمنع كتابة العربية  
بعد ذلك في العقود والالتزامات والرسائل . . ويحظر  
على المرء الحجاب والزي الاسلامي .

وحاول ( الموريسكوس ) أن يستنجسوا  
بالمغرب الذي كان يعاني أزمة سياسية حادة بعد  
سقوط دولة بني مرين ، كما حاولوا الاتصال بالأتراك  
وامراء تونس وحكام القاهرة .

وكان المغرب مضطرب سياسيا واجتماعيا .  
بعد انحلال دولة بني مرين وبالأخص عندما تكونت  
أماة بن عبد الواد في ( تلمسان ) وبعد استيلاء  
العثمانيين على الجزائر .

فلما جاء السعديون ، عزم المنصور على تحرير  
الاندلس بالتعاون اتم مع الاندلسيين . . ولكن  
( المنصور ) لم يعمر طويلا ، فدخلت الدولة السعدية  
بعده مرحلة الانهيار .

وجاء ( اعابون ) ليجندوا كثيرا من الممن  
الشاطئية سقطت في يد الاسبان ، والبرتغال ، فلم  
يستطيعوا الا مؤازرة الاندلسيين في الجهاد البحري .  
وسفروا الى استيراد الكتب الاسلامية التي سلمت من  
الحرق . فارسل المولى اسماعيل رسالة الى دون  
كارلوس الثاني ( كما في الاتحاف ج 2 - ص 63 )  
ليبعث اليه بالكتب الاندلسية الموجودة في غرناطة  
وقرطبة وغيرها في مقابل تحرير مائة اسير  
اسباني .

كما توجه الى اسبانيا السفير المغربي الوزير  
الغساني ، ففك الاسرى المسلمين ، وحمل كثيرا من  
الكتب الاندلسية . . كما في كتابه ( رحلة الوزير في  
اقتدار الاسير ) ، وكان الاسرى في الغالب من  
( الموريسكوس ) المأسورين في الجهاد البحري .

ويوجه المولى محمد بن عبد الله رسالة الى  
( كارلوس الثالث ) لفك الاسرى المسلمين . .

وتحدث محمد بن عثمان المكناسي في كتابه  
( الاكسیر فی نك الاسیر ) في القرن الثاني عشر  
الهجري عن ذلك ، وهكذا لم يذل المغاربة جهدا في  
مساعدة ( الموريسكوس ) نظرا للوضع الحرج الذي  
كان يعانيه ( العالم الاسلامي ) بعد خروج أوروبا من  
العصر الوسيط ، ومحاولتها لاستعمار البلاد  
افريقية والسفيرة على الحار .

وكان وضع العثمانيين في عهد السلطان أحمد  
الاول ( 1603 - 1617 ) حرجا ، بسبب هزائمه  
البحرية في حروبه مع النمسا ومع فارس . . كما  
كانت الدولة تعاني ثورات في عدد من الولايات العربية  
والاوروبية . . سيما وقد ظهرت قوة بحرية اسبانية  
وفرنسية وانجليزية فكان على الدولة العثمانية اعتبار  
ذلك كما كانت الدولة العثمانية تعم علاقات طيبة  
مع هذه الدول حفاظا على مركزها وموقعها الدقيق  
وعندما قررت اسبانيا تصفية ( الموريسكوس )  
باشرفان ( الدوك دولرم - Duc De Lerne  
و ( الكونت سالازار Conte De Salzare

وثيقة محررة بتاريخ جمادى الاولى سنة 1023 تؤكد ان وثيقة الموريسكوس في سبب الهجرة الى الدولة العثمانية برا لا بحرا ، نظرا لان ( لصوب البحر ) يعرضون طريقهم .

وقد اثار الفقهاء في المغرب جدلا عن جواز هجرة الموريسكوس الى بلاد الاسلام او المذبحين ، كما كان المغاربة يسمونهم . والى الوثائقي كتابه ( اسنى المتاجر في بيان احكام من غلبه على وطنه النصارى ، ولم يهاجر ، وما يترتب على ذلك من العقوبات والزواجر ) .

ومن رأي الوثائقي ان الهجره من ارض الكفر الى ارض الاسلام قريبة الى يوم القيامة ، وكان بعض العلماء يقتي بعدم الهجرة ووجوب المقاومة .

وقد اثار الموريسكوس الاخذ بحديث ( ان لا هجرة بعد الفتح ) فقد بقي ( الموريسكوس ) في الاندلس صامدين ينتظرون الفرصة المناسبة لاعلان الثورة بقيادة فرج بن فرح ، لتكون آخر مقاومة ..

وعمت الثورة انحاء الاندلس ، تحسنت قيادة ( الدون خواندو ) ، وتمركزت بالبشرات ( الارض الوعرة ) المليئة بالقرى الموريسكوسية ، وهو من سلالة بني امية حيث توج سنة 1568 ، تحسنت اسم محمد بن امية ، وانتخب ابن فرج وزيرا وابن جوهر قائدا عاما للجيش ، وغشيت الثورة للمقاومة الوحشية التي لقيها الثائرون حيث مثل بابطالها فترع لعموم عن عظامهم احياء ، وذبح الاسرى والسجناء ، ذبحا ( جماعيا ) وشردت الاسر بتفريق الاء عن ابنائهم ، والامهات عن بناتهم في البلاد الاسبانية ..

وبعد قتل محمد بن امية خلفه ابن عمه مولاي عبد الله ، فعين قلب الثاني ( الدون خوان ) لسحق ثورة الموريسكوس . فاستسلم مولاي عبد الله سنة 1570 م ثم عاد للمقاومة اليائسة ، والتخريب والدمار وانسريد بمصادرة ما يملكون . وتوزيعهم على البلاد الاسبانية كلها .. وقتل قائد الثورة على يد بعض الخوذة وحمله الى غرناطة لاعدامه ( وهو المقتول ) بصفة رسمية .

ارتفعت دولة العثمان التي كان يكاتبها الموريسكوس والوسطاء مثل ( جادونيواترفاز Jeronimoenriguez ) . ولا شك ان الدولة

تدخلت سريا لتقلهم بالاساطيل والسفن البحرية بدليل هجرة بعضهم الى الدول العثمانية ووجود حي خاص بهم باسطنبول ، والمعروف ان السلطان احمد الاول بعث بالاميرال خليل باشا في مهمة الى المغرب فوصل اليه بتاريخ 2 سبتمبر سنة 1613 كما ورد في كتاب :

(Chntal de la Veronne « Relation entre le Maroc et la Turquie dans la seconde moitié de 16è siècle et le début de 17è siècle » en Revue de Loudent Musulman de la Méditerranée N° 15-16 Aix en Provence, 2è semestre 1973. P. 398).

ولا شك انها كانت في موضوع محنة ( الموريسكوس ) لان الاتصالات المربة كانت مكثفة بين العثمانيين والموريسكوس .

كما سعى السلطان احمد الاول لدى بريطانيا وفرنسا والبنديقية لاعدتهم وتسهيل لهم الهجرة الى الدولة العثمانية .

وكلف السلطان ( ابراهيم انما ) بالنوجه الى لندن ، ومقابلة الملك جاك الاول لمساعدة الموريسكوس ، على الانتقال الى اراضي الدولة العثمانية ، ولكن ملك انجلترا نظرا لمعاهدة السلم بينه وبين اسبانيا ، وخوفا من اثاره غضب الكنيسة ، لم يستجيب رغبته . وارسل كذلك الى ملكة فرنسا ماري دي مديسيس Marie de Medecis الفوصة على ابنها لويس الثالث عشر ، رسالة يطلب مساعدة الموريسكوس المقيمين بجنوب فرنسا وتوفير وسائل نقلهم الى اراضي الدولة العثمانية فلتت الدعوة .

كما راسل دون البنديقية في مساعدة ( الموريسكوس ) ، اجتياز الهجرة الى الاراضي العثمانية عن طريق بلاد مع مساعدتهم وعدم التعرض لاحوالهم وذويهم . كل ذلك في مقابل مصالحه لبنديقية وتمديد المعاهدة معها .

ولا شك ان الاتصال كان جاليا باستمرار بين ( الموريسكوس ) و ( الدولة العثمانية ) بدليل وجود

في جيان  
عائشة وفاطمة ومريم  
ثلاث عربيات بالغات الجمال  
ذهبن يجمعن التزيتون  
فوجدته قد جمع في جيان  
قلت لهن من آتتن ابتها الفتيات  
عائشة وفاطمة ومريم

وفي ديوان ( كالدرون ) حين يعد الموت  
اشودة باكية يقول فيها :

على الرغم من الاسر التمهيس  
الذي اراده الله لنا بتقدير خفي عادل  
فانا نيكسي عزلة الدولة الافريقية

وظل الموريسكوس على اتصال مستمر  
بالمسلمين في افريقيا كما كانوا على اتصال مع هنري  
الرابع ملك فرنسا ، وانشأوا سفنا جهادية خارج  
الاندلس لنهاجم الملكة المسيحية الاسبانية ،  
واعانتهم السفن التركية والمغربية على الانتقام  
المسيحي ، وحمل الموريسكوس الى ديار الاسلام .

وظهرت حركة التحرير في البحر بقيادة زعماء  
الموريسكوس ، مثل بلانكو واحمد أبو علي وغيرهم  
كشهر .

وأصبح ( الجهاد البحري ) ميدانا خصبا يفتح  
باب الآمال . . وحاول ( الموريسكوس ) أن يساعدوا  
المولى زيدان السعدي لغزو الاندلس بعد أن ارتكب  
اخوة الشيخ المامون خطأ طلب مساعدة فليب الثالث  
للحمية على اخيه زيدان مقابل تسليمه العرائش ،  
كما وقع في معركة وادي المخازن ) .

وفي نفس الوقت عجزت ( محاكم التفتيس ) عن  
قتل هذا النفس العظيم ، فقر راي السلطة المسيحية  
في اسبانيا أن تخلصوا نهائيا من الموريسكوس ، الا  
باغراقهم جميعا في البحر أو حرقهم جميعا أو أخذهم  
للعمل في السفن ومناجم الهند .

وتمت اصدر مجلس الدولة الاسبانية سنة  
1609 م أمرا بنفي الموريسكوس جميعا من بلاد  
اسبانيا الى افريقيا وأوربا مع استبقاء ستة في المائة  
لعمل في حقول الارز والسكر وتنظيم الري وصور  
المنازل ، وهكذا أخذ ( الموريسكوس ) يشدون  
امتعتهم وتحملهم السفن الى بلاد افريقيا وجوز  
المخالذات كما تحمل السفن اليوم القشتاليين

فبحقت ( الثورة ) ولكن الثقافة الاسلامية ظلت  
تتأجج في عقل الشعب المسلم المغلوب على امره ،  
فعبروا عن هذه الثقافة بأدب ( الخميادو ) أي باللغة  
القشتالية المكتوبة بالحروف العربية .

وتحول ( الموريسكوس ) الى شعب يعمس  
باستمرار في ميدان الاقتصاد والتجارة والفلاحة ،  
وظلوا متماسكين يحIRON السلطة الاسبانية بذكائهم  
ودأبهم وتكاثرتهم . بل كانت لهم حملات سرية ،  
فاهتمهم السلطة ( بتزوير العملة ) وتخريب الاقتصاد  
الاسباني .

ولم يمت هذا الشعب في ( اسبانيا ) نفسها ،  
بل ظل متعايزا بشخصيته وثقافته . يمارس دينه في  
سرية وتكتم ويؤلف في مختلف فروع المعرفة ،  
وكانت الثقافة ( الالهامية ) Allamia ذات طابع  
عريق ، وظهر أدبهم ( الروماني ) كلودع ادب اسباني ،  
كما كتبوا القصة الادبية والملحمة التاريخية . . .  
وظلوا يكونون ( جماعة ) ذات اتجاه سياسي متبع  
بروح الثورة والحرية .

بل ألف الموريسكوس ( بلالخمادو ) ( رحلات  
حجازية ) مما يدل على أن بعضهم كان يحج ( سرا )  
الى الديار المقدسة . ومما نعرف من هذه الرحلات :  
رحلة ( حاج بوي منتون ) التي قام بها صاحبها من  
بلده الى بلنسية فتونس فمصر فالحجاز مع وسف  
لمكة والمدينة .

كما كتبوا قصصا فروسية كحكاية المقداد .  
وقصة مدينة النحاس والقمام ، وقصص الصالحين ،  
وقصة يوسف وزليخا ، وقصة ذو القرنين .

كما كتبوا قصصا فروسية كحكاية المقداد  
ونسر ( الموريسكوس ) زجلهم الفناشي في  
الاندلس وإيطاليا وانجلترا وفرنسا . وكان خوان  
رويت الموريسكي Juan-Ruiz نائب الاسقف بناحية  
عيننا من المع الكتاب في هذه الموضوعات ، ومن  
امثلة ذلك الرسالة التي وجهها (تروفاكوئيفينتوش) الى  
المرأة المغربية ، ومن الألحان والأشعار التي وضعها  
لترانصات الموريسكيات ، ومن أشهر انتاجه قصيدة  
الغديبة مارة .

ومن أشهر الاغاني الموريسكيات ذات التأثير في  
الأدب الاسباني أغنية العربيات الثلاث ومن عشت  
ثلاث فتيات عربيات :



الضائعين في البحر الهادي تنقادهم الامواج لبلاتي  
من نجا منهم الى العراسي الامر بالعودة للموت في  
اعماق البحار .

وكان معظمهم يسير في قوافل للشواطىء  
ليهاجروا الى المغرب ، حتى تهاجمهم العصابات ،  
لنتفك بالاعراض وتقتل الصبيان وتبيع الفتيات  
والفتيان في سوق النخاسة .

استقبلتهم اوربا في عهد هنري الرابع الذي  
سمح لهم بالإقامة وراء نهر الجارون . واستقبلت  
الثقور الإيطالية بعضا منهم ، وكانوا يلاقون الاضطهاد  
من المسيحيين ايضا حلوا واين ارتحلوا . .

بل ان جماعات منهم نزلت في وهران فاعتدى  
عليها الاعراب بالسلب والنهب .

وتجاوز عددهم ثلاثة ملايين حسب بعض  
الروايات او تجاوز ( المليون ) ولكنهم ظلوا يمثلون  
شعبا عريقا يستحيل تدميره . . وانتشروا في العالم  
كله ، فقد حملتهم السفن ( باسماء ) اسبانية مسيحية  
الى امريكا الجنوبية ، والى جزر الهند الشرقية ،  
والى جنوب افريقيا . . وكانوا يعيشون ( امراء )  
البحر الاسباني بفاروس ضاغمة وخرائط بحرية علمية ،  
فاكتشفت اسبانيا العالم الجديد ، بفضل تقاريرهم  
ومغامراتهم . . وتبنت تلك الكشوف الى امراء البحر  
المشهورين .

ان مسلمي ( الفلبين ) من هؤلاء وجزيرة (المور)  
تحمل اسمهم وتؤكد شخصيتهم بوضوح . . كما ان  
عديد منهم بالارجنتين والبرازيل وغيرهما من بلاد  
امريكا الجنوبية .

وثرح بعضهم الى ( امريكا الجنوبية ) ، بعد  
اكتشفها وائل القرن السادس عشر سنة 1516 م ،  
وبالاخص في الارجنتين ، وقد كان هؤلاء هم  
المخططين لهذه الاكتشافات لبحث عن عالم جديد  
ياورهم بعد ان ضاقت بهم الحياة في اسبانيا او بعد  
ان رفضوا الدخول بقلوبهم الى المسيحية ، فوجدوا  
في هذا العالم متنفسا لعقيدتهم وكان منهم نفر من  
بني رزين حكام شرق الاندلس . وقد تابعت الكنيسة  
هؤلاء وصيغت عليهم الخناق وذويتهم في هذه  
المجتمعات الثابتة ، وما تزال ( الارجنتين ) تاوي  
التقاليد الاسلامية العربية ذات الطابع الاندلسي الى  
يومنا هذا .

ولست ادري كيف غفل المؤرخون ان يربطوا  
بين نفي الاندلسيين ، وهزيمة المسيحية في معركة  
وادي المخازن على ارض المغرب . .

فمعركة وادي المخازن كانت معركة فاصلة بين  
المسيحية والاسلام . . فعند هزيمة البرتغال في  
هذه المعركة ، تغيرت النظرة الاجتماعية والسياسية  
الى ( الموريسكوس ) وشعرت المسيحية بمشروع  
المسلمين بالعودة الى الاندلس ، وخشيت من التعاون  
بين الاندلسيين في الداخل والمغاربة وتوقعت الهجوم  
من الخارج بمؤازرة الداخل ، فانظرت قليلا لتلخص  
نهايا من المسلمين .

و ( ناخرت اسبانيا ) بعد نفي ( الموريسكوس )  
من ارضها ، ويقول ( ريشليو ) الذي عاصر مأساة  
نفي الموريسكوس : « ان مأساتهم أشد ما سجلت  
صحف الانسانية جرأة ووحشية » . ويقول أيضا ،  
« انه اعرق في الجرأة والبربرية مما عرفه التاريخ في  
اي عصر سابق » .

ويقول الدكتور لي : « ان تاريخ الموريسكوس  
لا يتضمن فقط مأساة تثير ابلغ عطف ، ولكنه أيضا  
خلاصة لجميع الاخطاء والاهواء التي أعدت لتنتحر  
اسبانيا في زهاء قرن من عظمتها أيام شارل الخامس  
الى ذلتها في عصر كارلوس الثاني » .

والحق ان ( اسبانيا ) باتفاق المؤرخين عانت  
اعنف الازمات بعد نفي الموريسكوس . حتى ليقول  
المثل الاسباني ( حيث لا عرب لا فائدة ) .

قد ظلت ( الحضارة الاسبانية ) تسير في  
نفس الحضارة الاندلسية التي ذبلت بعد نفي  
( الموريسكوس ) وتأخرت انفلاحة والصناعة وضعفت  
التجارة ، وقلبت الموارد العالية وبقيت ملامح الثقافة  
الاسلامية باهية منجولة الى ثقافة ( فلكلورية )  
وصفها كل المؤرخين الذين تجولوا في اسبانيا .  
فقد وصف السعير الفسائي ( سنة 1691 م ) ،  
عوائد الاندلسيين المسححس التي ما تزال به  
مسحة اسلامية كالذبح يوم عاشور ذي الحجة ،  
وتحجب النساء وغير ذلك ، كما ذكر شكيب  
ارسلان في حاضره العالم الاسلامي ، كثيرا من  
هذه الحالات بل ظلت بعض القرى الى القرن  
التاسع عشر تتكلم باللغة العربية .

( يتبع )

# الأيدولوجية الاجتماعية

عند الشيخ سيدي عبد السلام ابن ريسون

الأستاذ محمد العربي الشاوش

توطئة :

اعتبر نفسي من المحظوظين السعداء الذين نالوا شرفه التحدث عن السيد الشريف الشيخ سيدي عبد السلام ابن ريسون (1) في الذكرى العاوية لانتفاته بالرقيق الاعلى رضي الله عنه ، وقد ينطبق على الكاتب كلام الامام البوصيري في همزيته اذ قال :

واذا سخر الله انسانا

لسعيد ، فانهم سعداء !

فالكاتب الذي سخره الله للمساهمة في احياء امجاد شخصية بارزة شريفة مجيدة كشخصية السيد رضي الله عنه سعيد اذن ، ومفتبط بهذه المناسبة التذكارية الشريفة التي تقيمها الاسرة الريسونية الفيلة ، واصحاب السيد الاوفياء الذين ورثوا هذا الوفاء للبيب الريسوني الشريف ، ولشخصية السيد اللامعة ، من الآباء والاجداد ، الذين قلدهم امانة روحية سامية في اعتناق الانباء والاحفاد .

ولست بعيدا عن أسرة السيد رحمه الله ، فانا واحد من الاحفاد الذين كان لابائهم واجدادهم شرف القرب من السيد وآل بيته ، فقد كان جدنا المجاهد الحاج محمد الشاوش المتوفى سنة 1292 هـ ، 1875 م ، يتمتع بمطلق السيد ورضاه الشريف ، وقد توج هذا الرضا والعطف بزواج السيد الشريف بالسيدة الحليمة فاطمة بنت محمد الشاوش ، فكانت نعم الزوجة لنعم الزوج ، اخلصت له واحلص لها الى ان اختاره الله لجواره سنة 1299 هـ - 1882 م ، وبقيت على العهد والوفاء لبيته واسرته الى ان لحقت به سنة 1307 هـ - 1890 م ، وطبعي ان يكون هذا الحفيد الكاتب وقيا لجدته الراقدة بالزاوية الريسونية العامرة ، ووقيا لعمة والده التي كرس حياتها على خدمة السيد زوجها وزاويته حيا وميتا ، ووقيا لوالده الذي كان يجد في الزاوية الريسونية الشريفة خير بيت يلجأ اليه كلما شعر بالحاجة الى الراحة النفسية والهروب من متاعب الحياة وصخبها الى رحاب الله القسيحة في الزاوية الريسونية ، وكأنه بذلك يصل رحما كانت الدوافع النفسية الاصلية

(\*) اقيمت في تطوان حفلة ثقافية كبرى بمناسبة الذكرى العاوية لوفاة العربي الكبير الولي الصالح الشيخ سيدي عبد السلام ابن ريسون رحمه الله ( 16 شوال 1299 - 16 شوال 1399 ) شارك نخبة من الكتاب والادباء في ابراز مآثر الشيخ رحمه الله ومتابعيه . وهذا نص العرض الاجتماعي الذي شارك به الكاتب في هذه المناسبة التاريخية .

(1) عرف الشيخ سيدي عبد السلام ابن ريسون في المجتمع التطواني بلقب السيد في حياته وبعد وفاته.

ترفعه إلى وصله ، وكان بذلك رحمه الله يلقي أولاده  
دروسا ثمينة في الاخلاص والوفاء وصلة الرحم .

### الجانب الاجتماعي للسيد :

ولست انا الذي اخترت الكلام في هذا الموضوع  
الموسوم بالجانب الاجتماعي للسيد الشريف رضي  
الله عنه ، ولكن اللجنة المشرفة على احياء الفكرى  
المجيدة هي التي اخطرت لي هذا الموضوع وعهدت  
الي بالكتابة فيه ، وهو موضوع لو خبرت في اختيار  
غيره من موضوعات المناسبة لاخترت غيره ، لما  
يتسم به من خطورة وشمولية من حيث هو موضوع  
اجتماعي ، خصوصا وأن الامر يتعلق بالحديث عن  
الحياة الاجتماعية لشخصية كبيرة هي شخصية  
السيد رضي الله عنه .

فالحياة الاجتماعية تعني عدة امور متداخلة  
يعمل بعضها ببعض كسلسلة ، كلما اهتزت حلقة  
منها اهتزت بقية العتقات ، وذلك ما ذكره الدكتور  
جميل صليبا في معجمه الفلسفي نقلا عن ابن سينا  
في رسالة الحدود إذ قال : « الاجتماع هو وجود  
اشياء كثيرة يعمها معنى واحد » (2) ، وكلمة  
« الاجتماعية » تعني فلسفيا علاقات الاجتماعية  
ومجموع الصفات التي يميز بها الشيء الاجتماعي ،  
وهذه الصفات أو الظواهر لا يد لها من اسباب تؤثر  
فيها وتكون سببا في ظهورها ، وذلك ما ذهب اليه  
العلامة ابن خلدون المتوفى سنة 809 هـ - 1406 م .  
في مقدمته . وجاء بعده الكاتب الفرنسي مونتيسكيو  
المتوفى سنة 1755 م . ليؤكد تحليل ظواهر احياء  
الاجتماعية بأسباب طبيعية . ثم جاء الفيلسوف  
الفرنسي أوغست كومت المتوفى سنة 1857 ، ليقرر  
أن الظواهر الاجتماعية هي موضوع علم الاجتماع .

وهكذا يجد الكاتب نفسه واقفا وجيا لوجه في  
هذا الموضوع أمام علم الاجتماع أو « السوسيولوجيا »  
التي تفرض عليه أن يصنف الرجل الكبير الذي  
يتحدث عنه في من تميزوا بملذهب اجتماعي خاص في  
حياتهم . واصحاب المذاهب الاجتماعية الاسلاميّة

الاصيلة هم صانعو الحضارة الاسلامية ، وهم رواد  
الفكر الاسلامي بما اشتمل عليه من كلام وتصوف  
واخلاق وسياسة ، وبما امتازوا به من تذوق خاص  
للمعاني الاجتماعية ، وتلويح رفيع للنصوص الاسلامية،  
واحساس رهيف بالاشارات الكونية ، وفهم عميق  
للتصرفات الانسانية ، ونقد دقيق للاوضاع السياسية،  
ولعل السيد الشريف حسب ما استفدناه من المصدر  
والمراجع زاخرة بمثل هذه المواقف الفكرية الفلسفية  
التي اشرنا اليها ، والتي تجعل منه شخصية اجتماعية  
نادرة في القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن  
التاسع عشر الميلادي ، وهو القرن الذي اخذت فيه  
الاطماع الاستعمارية تتجه نحو المغرب بعد احتلال  
فرنسا للجزائر سنة 1246 هـ - 1830 م . وهو  
اقرن الذي قتلت فيه الغوضى الاجتماعية والتصرفات  
الرجعية التي أدت الى تدهور الاوضاع الداخلية في  
البلاد . وفي مثل الظروف العصية التي اشرنا اليها  
كان رجال التصوف في المغرب يقومون بأدوار هامة  
من اجل التوعية الاسلامية والمحافظة على الاتصال  
والمشروعية بمختلف الاساليب النضالية ، وكان رجل  
النضال الصوفي في الفترة التي ذكرناها هو السيد  
الشيخ سيدي عبد السلام ابن ريسون رضي الله عنه .  
واذا كما قد التزمنا بلجنة المنظمة للذكرى بالاختصار  
 وعدم التطويل بناء على التماسها ذلك ، مراعاة  
 لتوقيت الحفل ، ولأن مثل البحث يتطلب كتابا خاصا  
 لا صفحات معدودات ، فانه لا مناص لنا من القاء  
 الاضواء على بعض الجوانب الاجتماعية التي امتازت  
 بها حياة السيد الشريف قدس الله سره .

### الادبولوجية الصوفية للسيد :

ولا مناص لنا من الاشارة قبل كل شيء الى  
الادبولوجية الصوفية للسيد التي هي بحق الجانب  
الاساسي في حياة سيدنا رضي الله عنه .

وعلمنا أن تعرف أولا أن التصوف علم من  
العلوم الشرعية الحادثة في الملة كما قال ابن خلدون  
في مقدمته (3) وزاد قائلا وعصده « دائرة المعارف  
الاسلامية » معتمدة على بحثي المستشرق لـويس

(2) الدكتور جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج 1 - ط 1 1971 « مادة اجتماع » .

(3) مقدمة ابن خلدون : « علم التصوف » .

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنه فقال : « اللهم فقهِه في الدين وعلِّمه التأويل » . ومن هنا نرى أن التأويل بالنسبة للفكر الصوفي يوافق المقصود من كلمة تصوف ، خصوصا وأن الصوفي المسؤول ، أي الشيخ العربي ، لا يد وأن يكون له الصمام شامل بالعلوم الإسلامية ، وهو ما اكده الجنيد رضي الله عنه في مذهب التصوف .

وقد عرف العلماء التصوف مدة تعاريف ، من ذلك ما قاله ابن خلدون بأنه طريقة سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين وغيرهم ، وهو طريقة الحق والهداية ، وأصله العكوف على العبادة والانتطاع إلى الله ، والأعراض عن زخارف الدنيا وزينتها . ويقول الجرجاني المعروف بالسيد الشريف المتوفى سنة 816 هـ - 1413 م في كتاب « التعريفات » التصوف هو الوقوف مع الآداب الشرعية ... وقال الجنيد : التصوف هو ترك الاختيار ، والصوفية هم القائلون مع الله تعالى بحيث لا يعلم قيامهم إلا الله . وقيل أيضا : التصوف طريقة سلوكية قوامها الزهد والتشقق والتخلي عن الرذائل ، والتخلي بالفضائل ، وهو مسألة نفسية يشعر المرء فيها بأنه على اتصال بمبدأ أعلى (7) .

والتصوف - على الحقيقة - وكما قل الاستاذ مصطفى عبد الرزاق : مشتق من الصفاء ، صفاء القلوب ورضاها بما يجريه الله عليهم ، فهم مع الله في صفاء لا يشوبه مشاغل ، وهذا يتفق مع قول الجنيد : التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى .

ومتهم من يقول بأنه مشتق من الصوف ، أو من أهل الصفة (8) وهذا جائز ، ولكن الأنسب هو اشتقاقه من الصفاء كما تقدم . وقد قيل بأن أصل

ماسينيون والاشاذ مصطفى عبد الرزاق : بأن التصوف ظهر في القرن الثاني للهجرة ، ولكن سفيان الثوري المتوفى سنة 161 هـ - 777 م . قال بأنه عرف قبل الإسلام ، وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح (4) .

ويرى الفقهاء بأن التصوف دخيل في الإسلام ، مقتبس إما من رهبانية النصارى ، أو من فلسفة اليونان ، ولكن المستشرق الإنجليزي نيكلسون المتوفى سنة 1945 م . يرى أن هذا الكلام غير مقبول ، لأن الانظار التي أختص بها الصوفية نشأت في قلب الجماعة الإسلامية أثناء عكوف المساميين على دراسة القرآن والسنة . ويؤكد هذا الكلام ما ذكره الإمام أبو القاسم القشيري المتوفى سنة 465 هـ - 1072 م عن إمام الصوفية وعمدهم أبي القاسم الجنيد المتوفى سنة 296 هـ - 909 م . قال : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر ، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة . وقال أيضا : مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة . وقال أيضا : علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (5) .

ويرى ابن خلدون أن علم الشريعة على صنفين : صنف مختص بالفقهاء ويتعلق بتفسير النصوص لاستخلاص الأحكام العامة في العبادات والمعاملات ، وصنف مختص بتأويل النصوص واستنباط المعاني ومجاهدة النفس ، وهو من اختصاص الصوفية (6) . والتأويل يعتمد على رهاة الحس وصفاء النفس ، والتأمل في أبعاد وأعماق النص لتذوق معانيه ، ولذا قيل أنه مشتق من الآيالة أي السياسة ، فكان المؤول يموس الكلام سياسة ليستنتج منه أشياء يصعب على غيره أن يستنتجها ، ومن هنا كانت كلمة تأويل ابلغ من كلمة تفسير التي تعتمد على اللغة والشرح .

(4) دائرة المعارف الإسلامية : ج 5 ، « مادة تصوف » .

(5) رسالة الإمام القشيري : ص 20 .

(6) مقدمة ابن خلدون : « علم التصوف » .

(7) جميل صليبا : المعجم الفلسفي ج 1 - مادة تصوف .

(8) أهل الصفة : جماعة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقومون في المسجد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .



الاشتقاق من الصفاء هو صفوى ، فاستثقل المفسر  
وقلب الى صوفي (9) .

ومنهم من يقول بأن الكلمة مأخوذة من كلمة  
« صوفي » اليونانية ، ومعناها « الحكمة » فيكون  
المقصود الصوفي هو الحكيم ، أو الفيلسوف ، باعتبار  
أن كلمة « فلسفة » معربة من كلمتي « فيلوصوفي »  
اليونانيتين ، ومعناها محب الحكمة . ومع أن  
الصوفي حكيم ، أو محب للحكمة حقيقة ، فإن  
اشتقاق الصوفي من الصفاء أقرب إلى التأويل الحكيم  
من غيرها . غير أننا نجد ما يؤيد مقولة احتمال تسمية  
الصوفي بالحكيم أو الفيلسوف ، وهو ما قاله الإمام  
ابن القيم : اجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على  
أن التصوف هو الخلق ، وأنه مبني على الإرادة .  
وبهذا يكون التصوف عبارة عن نشأة علم الأخلاق  
الإسلامي . ولا يعزب عن البال أن ميثاق الأخلاق ،  
وميثاق الإرادة ، هما من مباحث الفلسفة العامة  
بمعناها القديم والحديث .

ويقول ابن خلدون بأن كرامات الصوفية  
واخبارهم بالفيبيات وتصرفهم الروحي ، أمر صحيح  
غير متكرر ، وأن نال بعض العلماء باتكازها فليس ذلك  
من الحق . ولكن الإمام الشاذلي المغربي المتوفى  
سنة 656 هـ - 1258 م قال : إذا عارض الكشف  
الكتاب والسنة ، فتمسك بالكتاب والسنة ودع  
الكشف ، فإن العصمة مضمونة في الكتاب والسنة .  
وقد رضي الله عنه قتلاً : بأن علماء الصوفية قد  
أجمعوا على أنه لا يفي العمل بالكشف ولا الإنهام ولا  
المشاهدة إلا بعد عرض ذلك على الكتاب والسنة ،  
فما وافق الكتاب والسنة فهو مقبول ، وما عارض  
الكتاب والسنة فهو مرفوض (10) ومقولة الإمام  
الشاذلي رحمه الله توافق الحديث الشريف :  
« دع ما يريك إلى ما لا يريك » رواه الترمذي وقال  
حديث حسن صحيح . فقد يتطرق الشك في كرامة  
من الكرامات ، لأنها وإن كانت من خوارق العادة فهي  
أمر بشري ، والبشرية غير معصومة . أما الكتاب  
والسنة فلا يتطرق إليهما الشك بحال من الأحوال .

والواقع أن الكرامة من أكرام الله تعالى لقوم  
عرفوا الله تعالى وأخلصوا له العبادة سرا وعلاية ،  
نصفت أرواحهم ، واستنارت عقولهم ، وتحرروا من  
قيد العبودية إلا لله تعالى . ويقاس على الكرامة في  
وقتنا ما يتبنا به بعض المفكرين أو بعض السياسيين  
الماهرين ، فيحقق حدسهم بطريقة أو بأخرى ،  
ونسمي ذلك مهارة سياسية ، أو صفاء روحياً ، أو  
إلهاماً فكرياً . أما أهل التصوف فيردون الكرامة إلى  
الفيض الإلهي ، أو إلى النور المحمدي ، أو إلى تالق  
النور الأعلى في العقل الفعال ، وهو ما يعرف عندهم  
بالإشراق ، أو بوصول النفس إلى موافقة الحق ،  
وهو ما يعرف عندهم بالوصول . ومن الأقوال  
الإسلامية المأثورة : أن المؤمن ينظر بنور الله .

ولعل مفهوم الكرامة يتفق مع مفهوم البشري  
في قوله تعالى في سورة يونس : « إلا أن أولياء الله  
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا  
يتقون . لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة »  
( سورة يونس : 62 - 63 - 64 ) . وقد بين الحافظ  
ابن كثير في تفسيره بناء على الأحاديث الشريفة  
وأقوال الصحابة والتابعين ، أن البشري هي الرؤيا  
الصالحة في الدنيا ، والجنة ونعيمها في الآخرة .  
ومعلوم أن الرؤيا تكون في المنام وتكون في اليقظة ،  
وذلك مبسوط في الدراسات النفسية الحديثة .  
فتكون الكرامة هي البشري والله أعلم .

ولهم في التصوف مراتب ، وأشهرها مرتبة  
القطب ، والقطب هو رأس العارفين . قال الإمام  
التمالي المتوفى سنة 429 هـ - 1038 م صاحب  
كتاب « يتيمة الدهر » في التعريف بأبي الفتح ابن  
جنى صاحب كتاب « الخصائص » المتوفى سنة  
392 هـ - 1002 م « هو القطب في لسان العرب ،  
واليه انتهت الرئاسة في الأدب » . أما القطب في  
اصطلاح الصوفية فهو كما قال الإمام الجنيد رضي  
الله عنه : من نطق عن سره وألت بساكتاً

ولا ريب أن هذه المقامات الروحية لا تدرك إلا  
بالزهد والتزوع إلى الخلوة للتأمل والتعبّد ، لأن

(9) دائرة المعارف الإسلامية ج 5 - تصوف .

(10) الطبقات الكبرى للإمام الشعراني ج 2 ، ص : 5 .

الميلادي على يد الامام أبي الحسن الشاذلي تلميذ العارف بالله تعالى القطب الشهيد سيدي ومولاي عبد السلام ابن ميثيق المتوفى سنة 625 هـ - 1227 م . والامام الشاذلي هو عميد اغلبية الطرق الصوفية في المغرب العربي ، وقد سبقت الاشارة اليه أثناء العرض .

وقد وجد التصوف في المغرب تربة صالحة ، فأنشئت الزوايا لتكون رباطات للجهاد والتوعية الاسلامية . ثم ظهرت كقوى سياسية في المجتمع المغربي منذ العصر السعدي أي في القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي ، خاصة في وقعة وادي المخازن وما بعدها ، حيث صار قوة سياسية لا يستهان بها قامت بأدوار هامة في الشؤون السياسية والدينية والاجتماعية (11) .

وإذا كن بعض المتصوفين قد انحرفوا عن منهاج التصوف الاصيل ، اتبعوا لهوى النفس أو مجارة لظروف سياسية أو اجتماعية ، فإن ذلك لم يؤثر في جوهر المصروف كعلم من العلوم الاسلامية ، وكبحث من مباحث الفلسفة الاسلامية الاصيل .

\* \* \*

كان لا بد لنا من الاشارة الى هذه الحقائق لنستخلص منها الخطوط الرئيسية لادبولوجية السيد الصوفية بما اشتملت عليه من صفاء واشراق وكرامات وسلوك ديني أصيل . وهكذا كان رضي الله عنه صوفيا أصيلا جمع في تصوفه بين الخلوة للعبادة والتأمل . «ترفض المواقف الصخرية كذلك . وبين الجلسات الخاصة والعامة مع مريديه وأصحابه للأرشاد والتوجيه ، وبين مجالس العلم والفن والحضارة كذلك ، وفي ذلك ما يدل دلالة واضحة على أن السيد كان ذا اتجاه فلسفي خاص ، مع أنه كان سني العقيدة مالكي المذهب (12) ، ويبدو من أطوار حياته رضي الله عنه أن فلسفته كانت تنحج نحو القيم العليا أو ما يسمى فلسفيا بالأكسيولوجيا ، وهو المبحث المتعلق بالحق والخير والاخلاق والجمال .

الخلوة تكاد تكون أساسية في حياة الصوفي . ولكن الالب ماسينيون المشرق الفرنسي الموفى سنة 1962 م يرد النزوع الى الخلوة في مذهب التصوف الى ثورة الضمير على ما يصيب الناس من انطالم ، وظلم الانسان لنفسه في طليعة تلك المظالم . وقد علمنا أن التصوف ظهر في القرن الثاني للهجرة بعد انتشار المظالم وانحراف الانسان المسلم عن طريق السلف الصالح بنهماكه على ملذات الحياة واقتتاله على الحياة والسلطان ، فجاءت الصوفية لتعبر عن رفض هذا السلوك المنحرف بالعزلة والنزوع الى الخلوة . وقد ورد في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « قيل يا رسول الله ، أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله . قالوا ثم من ؟ قل : مؤمن في شعب من الشعب يتقى الله ويدع الناس من شره » . قال الامام القسطلاني شارح البخاري : وفيه فضل العزلة ، والشعب كناية عن مكان الخلوة .

ولا يعني هذا اهمال المتصوفين لانفسهم شكلا أو مضمونا ، ولا يعني هذا عدم تمتع الصوفية بنعم الله وما أحل الله لعباده من الزينة والطيبات من الرزق ، فإن استمتع بالنعم يقتضي شكر المنعم ، والشكر واجب شرعا في حق المستفيدين من نعم الله تعالى ، وهو خصلة من خصال التصوف . والنعم التي أسبغها الله على عباده ظاهرة وباطنة هي أساس عمارة الأرض ، وحسن استغلالها وتديرها هو أساس صلاح المجتمع البشري . ولكن الزهد والخلوة والعزلة وغيرها من المعاني الصوفية يراد بها عدم الاغترار بالدنيا وزينتها ، وتعني أن يعيش المؤمن في الدنيا وكأنه غريب أو عابر سبيل كما جاء في الحديث الشريف ، وتعني أن يملا المؤمن الوقت الثالث بالطاعات المؤدية الى الفوز برضا الله تعالى .

ويجدر بنا أن نشير الى أن التصوف انتقل من المشرق الى المغرب في عصر المرابطين ، أي في القرن الخامس الهجري الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي ، ثم ازدهر في عهد الموحدين ، أي في القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر

(11) محمد خير فارس : المسألة المغربية ، ص : 29 - ط . 1961 .

(12) محمد داود : تاريخ تطوان - القسم 1 من المجلد 7 - ص : 106 .

وكان الى جانب ذلك مهتما بدراسة العلوم الإسلامية في مجاله الخاصة التي كان يحضرها علماء وقته ، وكان يعبر عن رأيه بالطرق التي يراها مناسبة ، فحينما اعترض أحد العلماء على الإمام السيوطي صاحب كتاب « الاتقان في علوم القرآن » أثناء مجلس من المجالس المخصصة لدراسة هذا الكتاب ، غادر السيد المجلس واعتزل أسبوعين كاملين (13) وهي طريقة واضحة للتعبير عن رفضه للاعتراض على عالم ضليع خدم الثقافة الإسلامية خدمة جليلة كجلال الدين السيوطي رحمه الله . وهذا واحد من المواقف التي تدل على أن الاحتجاب والخلو إنما هي تعبير عن الرفض بطريقة قنية سلبية ، رفض الظلم ، رفض سوء الأدب ، رفض المواقف الارتجالية الهوجاء . فللنقد أصوله وطرقه ، وللحوار أصوله وأدبه ، أما التهجم والارتجال فهو مما لا تقبله العقول السليمة كعقل السيد رضي الله عنه .

وظاهرة أخرى في صوفية السيد ، وهي أنها كانت صوفية أرسقراطية تتجلى فيها المظاهر الحضارية التي كانت تحيط به سواء في بيته أو في زاويته . وهذا لا يتنافى مع أدبولوجيته رضي الله عنه . ويمكن القول بأن الطريقة التي سلكها هي طريقة صوفية بشيء من التجاوز كما قال الأستاذ محمد داود مؤرخ تطوان حفظه الله (14) .

### بيت الأمة :

أما بيت السيد فقد كان بحق بيت الأمة في وقته . يقصده العلماء والوجهاء والأشراف وإبناء الشعب ، يجد فيه كل واحد ما يصبو إليه من عطف وأحسان وضيافة وعلاج وبركة . ولا غرابة في ذلك ، فقد كان السيد رجلاً اجتماعياً من الطراز الرفيع ، كما كان شيخ المدينة وسيدها ورأبها بدون منازع ، ولم ينازعه أحد في هذه العزبة طيلة حياته رضي الله عنه ، وقد حدثتني خالتي السيدة الفاضلة الحاجة خديجة بنت العربي البادي حفظها الله عن

زوجها الشريف المرحوم سيدي محمد بن الحسين البقالي المتوفى سنة 1358 هـ - 1939 م وهو من أقرب المقربين الى بيت الأمة وتلميذ السيد في الطب ، أن السيد الشيخ كان حسن الهندام ، يختار ملابسه من أجود الثياب وأنفسها ، وأن بيته كان بيتاً نبيلاً في المظهر والمخبر . وكان السيد يقابل الناس ويقضي حوائج المسلمين ويتفهم بما تيسر له من علم أو نصيحة أو إرشاد أو علاج أو مساعدة . وهذا العمل الإنساني الكبير يتفق مع الحديث الشريف : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . . . » رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

وإذا قيل بأن كل عظيم وراءه امرأة ، فقد كانت السيدة فاطمة بنت محمد الشاوش الزوجة الأخيرة للسيد الشريف هي المرأة التي ساهمت في إعطاء بيت السيد ما يليق به كبيت أرسقراطي مجيد ، ووقرت لسيد زوجها الراحة والنظام والوقت اللازم لخلواته ومجالسه ، يسهرها على تدبير شؤون بيتها تدبيراً يتفق مع تربيته النبيلة وحضارتها العريقة . وقد وصفها الأستاذ محمد داود في تاريخه بأنها كانت قريبة في جمالها وحسن أخلاقها (15) . وقد أخبرنا والدنا المرحوم ألقبه سيدي أحمد بن عبد السلام الشاوش المتوفى سنة 1370 هـ - 1950 م بأنطباعته عن بيت السيد حيث كان يزور عمته وهو طفل ، فيجد عمته عمته كأميرة في بيت أمير . وكانت تنفحه بعلب من الطويات الممتازة التي لم تكن معروفة في تطوان .

ولم يكن السيد يفكر في تخليد أثر من مآثره العديدة أكثر مما كان يفكر في استمرار قيام زاوية أسلافه واستمرارها في أداء واجبه الديني والاجتماعي حتى بعد وفاته ، وذلك ما دفعه الى تحييس جميع ممتلكاته على الزاوية المذكورة ، وهذه ظاهرة اجتماعية امتاز بها السيد رضي الله عنه (16)

(13) نفس المرجع - ص : 109 .

(14) تاريخ تطوان : ق 1 - م 7 - ص : 104 .

(15) نفس المرجع ص : 156 .

(16) تاريخ تطوان : ق 1 . م 7 . ص : 157 .

## الزاوية في خدمة العرش :

وكانت علاقات اطباب الزاوية الريسونية مع العرش العلوي المجيد تتسم بالولاء والطاعة والاخلاص، كما كان ملوك هذه الدولة الشريفة منذ عهد السلطان المقدس مولاي اسماعيل رحمه الله يقابلون وفاء الزاوية الريسونية بمطعم بلخ وتقدير كبير، حيث كانت موافقها السياسية والوطنية تتسم بالنهبل والدكاء مع الطاعة والولاء (17).

وقد ورث القطب سيدي عبد السلام ابن ريسون هذا السر المقدس فيما ورثه عن آبائه واجدادهم، فكان رضي الله عنه يناضل من أجل وحدة البلاد وجمع كلمة الامة على امام واحد هو امير المؤمنين. وكان في كل مناسبة يحض اصحابه من ذوي الوظائف المخزنية على محبة السلطان والنصح له في السر والعلانية، مع الصدق والتزاهة في خدمة الراعي والرعية. وقد روى مؤرخ تطوان الاستاذ دلود حفظه الله عن معاصره الوزير النقيب المرحوم سيدي محمد بن المكي الريسوني بلغظه عن الخبرة الذينة السيدة فاضلة بنت محمد الشاوش رحمها الله ان السيد زوجها كان مواظبا على الدعاء لملك الوقت بالتوفيق والتأييد في اوقات الاجابة، خصوصا في وقت البحر (18).

وقد سارت السيدة فاطمة على نهج زوجها بعد وفاته، وحظيت برعاية السلطان المقدس مولاي الحسن الاول وعطفه الكريم. وكانت بينه وبينها مراسلات هامة في شؤون اجتماعية مختلفة توجت بالاستقبال الخاص الذي شرفها به بمحضر نجله الامير عبد العزيز، أثناء زيارته التاريخية لتطوان في شهر المحرم سنة 1307 هـ - 1889 م. حيث جدد لها التعازي في السيد زوجها جدد الله عليه الرحمة، واعزب لها عن عواطفه المولوية الكريمة نحوها ونحو الاسرة. واخبرنا الوالد رحمه الله بان الامير مولاي عبد العزيز كان وقتئذ في حدود العاشرة من عمره. وقد قلقت شخصية امينة نعمة في تلك المناسبة التاريخية حيث اعطت من ثقافتها وسلوكها نموذجا

وساهمت ارملة السيدة فاطمة في هذه الميزة، فأوصت للزاوية الريسونية في تطوان بثلاث متاعها « من قليل الاثنياء وكثيرها بما في ذلك ربيع غرسة كيتان التي آلت اليها من زوجها الصالح، التوكب الواضح، المتبرك به حيا وميتا، سيدي ومسولاي عبد السلام ابن ريسون الحسي العلمي التطواني افاض الله علينا من بركاته وبركات اسلافه الكرام... » كما هو مبين ومفصل في وثيقة الوصية المذكورة المؤرخة في 23 ربيع الثاني سنة 1300 هـ. اي بعد ستة اشهر من وفاة السيد زوجها رضي الله عنه. وهذا منتهى الوفاء في حياة زوجين كريمين صنعنا على تقوى من الله ورضوان حياة اجتماعية فاضلة.

واذا كان السيد يفكر في استمرار قيام الزاوية الريسونية، فلانها الزاوية التي حملت على عاتقها مسؤولية الدعوة الى الله، وتحيي النفوس للجهاد في سبيل الله، منذ القرون العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي، وظهبرت نتائج جبهودها النضالية في معركة وادي المخازن، حيث كان القطب سيدي امحمد بن علي ابن ريسون المتوفى سنة 1018 هـ - 1609 م في طليعة المجاهدين الذين قادوا المعركة التاريخية ضد الاستعمار الصليبي الغادر، فحققوا للاسلام عزته، وامادوا للمغرب مجده وصولته. وسارت الزاوية الريسونية المباركة بشيوخها ومريديها منذ ذلك العهد في الطريق التي اختطها مؤسسها سيدي امحمد بن علي رضي الله عنه، فأسست عطاء قويا في التصوف والجهاد، وفي العلم والحضارة، الى ان وصلت الامانة الى يد القطب سيدي عبد السلام الذي كان جوهرة لامعة في فية هذه الزاوية العظيمة، وكان السر المكنون الذي اعطى للزاوية الريسونية الاشراق والبهاء، كما كان الضمانة النورانية لتوسيع هذه الزاوية في حياته واستمرارها بعد وفاته استمرارا باطلا بالمجد والامانة نابعا بالطهارة والايمان.

(17) أحمد بن الامين الريسوني : حقائق تاريخية عن زاوية تازروت، ص : 22.

(18) تاريخ تطوان : ق 1 م 7. ص : 120.



حيا نوعي المرأة التطوانية ودبلوماسيتها في القرن التاسع عشر الميلادي .

### مدرسة السيد السياسية :

كل ما اثرنا اليه بعلينا نظرة واضحة عن اثر مدرسة السيد التي تخرج منها زيادة على أسرته وأهل بيته شخصيات بارزة من خواصه الذين قاموا بمهام سامية في الحكومة المغربية بتوكية السيد او باقتراح منه ، ويمكن القول بأن هؤلاء الخبواص كانوا بمثابة الدنوان السياسي للسيد ، ويواظبتهم كان السيد حاضرا في أهم المواقف السياسية والدبلوماسية حتى أن نجاح السفير المرحوم الحاج عبد الكريم بربشة المتوفى سنة 1315 هـ - 1897 م في مواقفه الدبلوماسية وهو من خواص السيد . عزى الى « بركة الولي الصالح سيدي عبد السلام ابن ريسون تقبنا الله به » كما ورد في رسالة الوزير الاول في حكومة الحسن الاول الى السفير المذكور 19 .

والذي استفدناه من مواقف السيد انه كان رجلا خبيرا في الشؤون السياسية ، بل ان مواقفه السياسية اثرت كثيرا في السياسة العامة للبلاد . ولا غرابة في ذلك ، فالسياسة هي قمة الحياة الاجتماعية .

وعلى ان نقول بأن السياسة تكون شرعية معتمدة من الدين ، وتكون مدنية مستمدة من الحكمة السياسية أو علم السياسة . والسياسة اشريعة لا بد وأن تنأثر بالسياسة الحديثة لصدق التعريف الفلسفي للسياسة وهو : تنظيم المجتمع الانساني ، ورعاية مصالح الامة ، والتخطيط لعمارة الارض . وكما تطلق كلمة السياسة على أساليب الحكم لرعاية المصالح وتدبير الشؤون وعمارة الارض ، كذلك تطلق على سياسة المرء لنفسه وأسرته ومتاعه (20) .

واذا كان التصوف الاصيل قد قام على اساس رفض اليهودية الا الله تعالى وحده ، مع السعي في

اصلاح المجتمع بالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله ، فهو إذن سياسة شرعية تقوم على تذوق المعاني الشريعة تنوقا عميقا تصدر عنه اشارات في منتهى الدقة والحكمة ، وبهذا يكون الذوق السليم هو القاسم المشترك الاعظم بين التصوف والسياسة . وبذلك يكون الصوفي الاصيل سياسيا اصيلا كذلك ، وهذا هو السر الرباني الذي امتاز به السيد رضي الله عنه .

وقد كانت الحكومة المغربية تقدر مواقف هذا السياسي المصوف الذي كان ركنا ركيننا للدولة في شمال المغرب . وذلك ما جعلها تنظر اليه كزعيم وطني محرك ومتحرك يشتمع بتقوؤ واسع بين انصاره واتباعه الكثيرين . « ذلك ما جعلها ايضا تعتمد عليه في المواقف الكبرى كما حدث عند وفاة السلطان محمد الرابع سنة 1290 هـ - 1873 م ومبايعة ولده الحسن الاول في نفس السنة المذكورة ، حيث بحث اليه رسالة خاصة لاخباره بهذا الحدث التاريخي ليكون من ذلك على بال ويكون عند حسن الظن به كما ورد في الرسالة المذكورة (21) . وقد استطاع السيد رضي الله عنه بصفاء روحه ونظرانه البعيدة أن يكون عمدة وبركة في نفس الوقت ، وان يكون كذلك بمنزلة مستشار الدولة خاصة في عهد الحسن الاول .

وكان السيد رحمه الله سياسيا فحشى في ساحاته الصوفية ، فهو في رحلته الى زرهون لزيارة مولاي ادريس الاكبر مؤسس الدولة المغربية الاسلامية في القرن الثاني الهجري الموافق للقرن الثامن الميلادي ، ثم الى فاس لزيارة خلفه ووارث سره مولاي ادريس الازهر رضي الله عنهما ، انما كان يعبر بلسان الحل عن تعلقه بوحدة المملكة المغربية ، وتمجيده لمؤسسي هذه المملكة الاسلامية المجيدة . وهو في رحلته الى مدينة سبتة الاسيرة ، وصلاته في ضريح سيدي مبارك السبتي رضي الله عنه ، وترحمه على علماء سبتة ومجاهديها جدد الله عليهم الرحمان ، انما كان يعبر بلسان الحال ايضا

(19) عبي الريسوني : أبطال صنعوا التاريخ ، ص : 50 .

(20) جميل صليبا : المعجم الفلسفي ج 1 . ص : 679 .

(21) أبطال صنعوا التاريخ ص : 46 .

عن رفضه لاحتلال هذه المدينة المغربية العريقة ، وقد تجلّى ذلك بوضوح في رفضه لمقابلة الوفد الإسباني ، وكان الرفض كذلك بطريقة سياسية فنية . فهو لما بلغه الخبر يعزم أعيان سيّنة من الأسبانيين على المنول بين يديه للسلام عليه والاحتفال به ، نادى بالرحيل في الحين ، فما وفتت القافلة حتى وصلت إلى الفينديق (22) ويمثل هذا السلوك السياسي الرفيع كان يلقن أصحابه دروساً نافعة في الوطنية ، والنضال والإخلاص لله والوطن والملك .

### موقف السيد في حرب تطوان :

ولكن السيد رضي الله عنه حينما أصبح التراب الوطني مهدداً من طرف الأعداء يتقلب إلى مقاوم بطل صامد ، يعلن الجهاد ويستنفر القبائل ، ويضع نفسه وأتباعه تحت تصرف السلطة المركزية كمجاهد في سبيل الله لأعلاء كلمة الإسلام والدفاع عن حوزة البلاد . وذلك ما وقع حينما هاجمت الجيوش الإسبانية مدينة تطوان بقيادة الجنرال أودونييل في الحرب المعروفة بحرب الشين . ( 1860 م - 1276 هـ ) فقد كان السيد شخصياً على رأس المجاهدين من قبيلتي انجرة ، الحوز ، كما نادى في القبائل الجبلية المجاورة بالتعبئة العامة للدفاع عن التراب الوطني المهدد بالاحتلال .

وبخلاصة هذه الحرب ان الأسبانيين أعلنوا الحرب على المغرب في 22 أكتوبر 1859 م من أجل إرغامه على قبول توسيع حدود سبتة ومليلية المحتلتين ، وتسليم ما سموه بـ « سانتا كروس » الصغرى على شاطئ الصحراء المغربية الغربية ليكون مركزاً للصيد البحري الإسباني . وفي فاتح يناير 1860 وقع الزحف نحو تطوان ، ورغم الجهود المبذولة في الدفاع والمقاومة الصامدة ، فقد وقعت النكسة التاريخية المؤسفة ووقع احتلال المدينة في 6 فبراير 1860 م موافق 13 رجب 1276 هـ . ثم توصل الجانبان إلى اتفاقية وقف إطلاق النار وعقد معا هدنة الصلح بين الأمير مولاي العباس عن المغرب ، والجنرال أودونييل عن إسبانيا ، بحضور النائب محمد ابن الحاج عبد الله الخطيب التطواني وهو من خواص أصحاب السيد ، وذلك في 25 مارس 1860 وقد رضخ المغرب تحت وطأة الاحتلال والتهديد

للمطالب الإسبانية التعسفية مع غرامة مالية فادحة . ويجدر بنا أن نشير إلى أنه من نقطة « سانتا كروس » المتفق عليها في معاهدة الصلح أخذت إسبانيا تبسط نفوذها بالحديد والنار على مجموع صحرائنا المغربية الغربية المعروفة بالساقية الحمراء ووادي الذهب والتي عرفت منذ أوائل القرن العشرين في الاصطلاح الإسباني بالصحراء الإسبانية . وقد استعاد المغرب إقليم الساقية الحمراء بعد انطلاقة المسيرة الخضراء في 6 نوفمبر سنة 1975 وطبقاً لاتفاقية مدريد المؤرخة في 14 نوفمبر 1975 ثم استرجع إقليم وادي الذهب في 14 غشت 1979 وقيل الحمد لله رب العالمين . ونعود إلى حرب الشين لنقول بأن معاهدة الصلح قد امضت في تطوان يوم 26 أبريل 1860 . وتم الجلاء عن المدينة في 10 مايو 1862 موافق 11 ذي القعدة 1278 هـ .

وعليّنا أن نقول بأن النكسة المؤلمة التي وقعت لمغرب في حرب تطوان ترجع إلى سببين اثنين :

1) أن المغرب كان ضعيفاً أمام دولة استعمارية قوية وذلك ما دفعها إلى التحرش به وفرض إرادتها عليه . مع العلم بأن القوى لم تكن متكافئة لا من ناحية العدد ولا من ناحية العتاد . فالسلاح المغربي والإنسان المغربي لم يكونا في مستوى تلك الحرب الضارية . وقد بلغنا أن الجد المجاهد سيدي محمد الشاوش رحمه الله وكان خبيراً في الشؤون العسكرية وممن شاركوا في مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 م قرّر أن يربط في برج القصبة يشارك في الدفاع عن المدينة ، بعد أن أرسل أسرته مع المهاجرين إلى شفشاون . ولكن فوجيء في برج القصبة بعدم التجهيز الضروري والصلح للدفاع . نسأل : أين المدافع ؟ ، فقيل له : هذا ما كائن ! . فأسف وإجاب على الفور : إذا ما كائن مدافع ، باش غادي ندافع ! . ومع ذلك واصل ربطه مسج تلة من الطبقية إلى أن وقعت النكسة ، وتفرق المجاهدون متسللين في أحياء المدينة بعد أن حالت ظروف الاحتلال بينهم وبين الهجرة . ثم ماذا يفعل قائد نبيل كاللقية الأمر مولاي العباس مع جنود لم يتعودوا الطاعة والنظام ، وتعتمد بينهم السروج

(22) تاريخ تطوان ق 1 م 7 . ص : 138 . والفينديق قرية خارج حدود سبتة المحتلة .

المسكوية ، فبتخاذلون ويقولون : اهل تطوان يقاتلون عن تطوانهم ، وأما نحن فحتى يصل إلينا في عبده أو دكالة (23) . بهذا ما ذكره صاحب الاستقصا وزاد قائلا : والحاصل أن جيش المغرب ( وقتئذ ) إذا حضروا القتال ، فإنما يقاتلون هداية من الله لهم وحياء من الأمير وقليل ما هم (24) . وبهذه الروح الإنهزامية بدأ الانسحاب من وجه العدو الذي أغتتم فرصة التخاذل والانسحاب ليصل إلى أبواب تطوان ، بعد أن استمات الثنواونيون في المقاومة الصامدة وأن كان يعوزهم السلاح ، ويتقصم النظم والقيادة الحازمة .

وكان من نتائج هذه النكسة أن قرر السلطان محمد الرابع رحمه الله إنشاء جيش نظامي حديث ، وأكمل السلطان الحسن الأول رحمه الله هذه المحاولة ، وزود الجيش المغربي بأسلحة حديثة (25) وبدأ هذا الجيش النظامي الناشيء يحتل المكانة اللاتقة به رويدا رويدا حتى صار في طليعة الجيوش العصرية بعد الاستقلال روحا وقوة ونظاما وبطولة ، معشلا في القوات الملكية المسلحة التي حققت للمغرب الجديد أمجاده التاريخية ورفعت رايه عاليا بين الدول المناهضة المتقدمة منذ قيامه سنة 1956 . وكانت الحركة الوطنية المغربية قبل ذلك قد وحدت الأمة المغربية المناهضة فكرا وشعورا وبعثت فيها روح التضحية والفداء من اليوغا إلى الصحراء ، تلك الروح العالية التي قادت مسيرة التحرير الوطني أولا ، ثم قادت المسيرة الخضراء بكل إيمان وإقدام وشجاعة ، وستقود كل مسيرة مغربية من أجل العزة والكرامة واستكمال وحدة التراب المغربي .

( 2 ) أما السبب الثاني لنكسة حرب السنين : فكان لعدم الأخذ بوجهة نظر السيد رضي الله عنه حيث كان يرى ترحيل النساء والمعجزة عن المدينة ومواصلة الجهاد وعدم الاستسلام . ولكنه لم يجد

أذانا صاغية لتوجيهاته اسديدة ، لأن نكسة الجيش أمام القوات المعتدية أذهلت الرأي العام ، وأحدثت بلبلة في صفوف المجاهدين المتطوعين ، كما ساعدت على قهور جماعة من الأنهزاميين الذين بيتوا فكرة الاستسلام ، وعارضوا الرأي الوطني الحازم الذي أشار به سيدي عبد السلام ابن ريسون . فلما يش السيد من الاستجابة لرايه ، وأصبح العدو على قاب قوسين أو أدنى من المدينة ، خرج مهاجرا إلى تازروت مقر آبائه وأجداده (26) . وكان هذا الخروج تعبيرا صريحا عن رفض السيد لوجهة نظر الأنهزاميين والمستسلمين . ولولا حكمة السلطان محمد الرابع في معالجة قضية هذا الاحتلال ، لكالت وضعية تطوان شبه بوضعية سبتة الأسيرة .

وقد حققت الأيام رأي السيد . فقد كان الاستسلام وبالأعلى المسلمين حيث عمت الفوضى المدينة قبل دخول الجيوش الأسبانية المحتلة ، وسادت الأحوال كما قال صاحب الاستقصا حتى كانت الدروب تخرّب ، والحوادث تهب ، والبيوت تسلب ، والقوي يأكل الضعيف . . . وبعد ما عيش المحتلون والشوغاء بالدماء والأحوال والأعراض والمقدسات ، وحولت بعض المساجد إلى كنائس واصطبلات . وعند ذلك أدرك الناس صواب رأي السيد وبعد نظره ، الشيء الذي دفع الأمر مولاي العباس إلى المبادرة بالاعتذار طلبد عن مخالفة أمره وإساءة الأدب معه ، مع طلب العفو منه والتماس عودته إلى المدينة ليقرح عنها ما نزل بها من الظلمة الكبرى ، كما ورد في رسالته المؤرخة في 30 شعبان سنة 1276 هـ . ولكن السيد بقي معصما في تازروت ، وأجاب الأمير برسالة قال فيها : بأنه لم ينزل نكسا للمحبة والمودة . وأما رأي القوم لا تنفع فيهم النصيحة ، فانحرف إلى هذه الهيئة التي تنتظر انفرج (27) .

(23) أحمد بن خالد الناصري : الاستفحاج 9 . ص : 88 — طبعة 1956 .

(24) الاستقصا : ج 9 . ص : 97 .

(25) المسألة المغربية ص : 46 — 47 .

(26) حقائق عن زاوية تازروت ص 30 — 31 . وأبطال صنعوا التاريخ ص 40 . وقارن بكتاب المرحوم

عبد الرحيم جبور : حياة الصوفي الثنواوني سيدي عبد السلام ابن ريسون وكراماته .

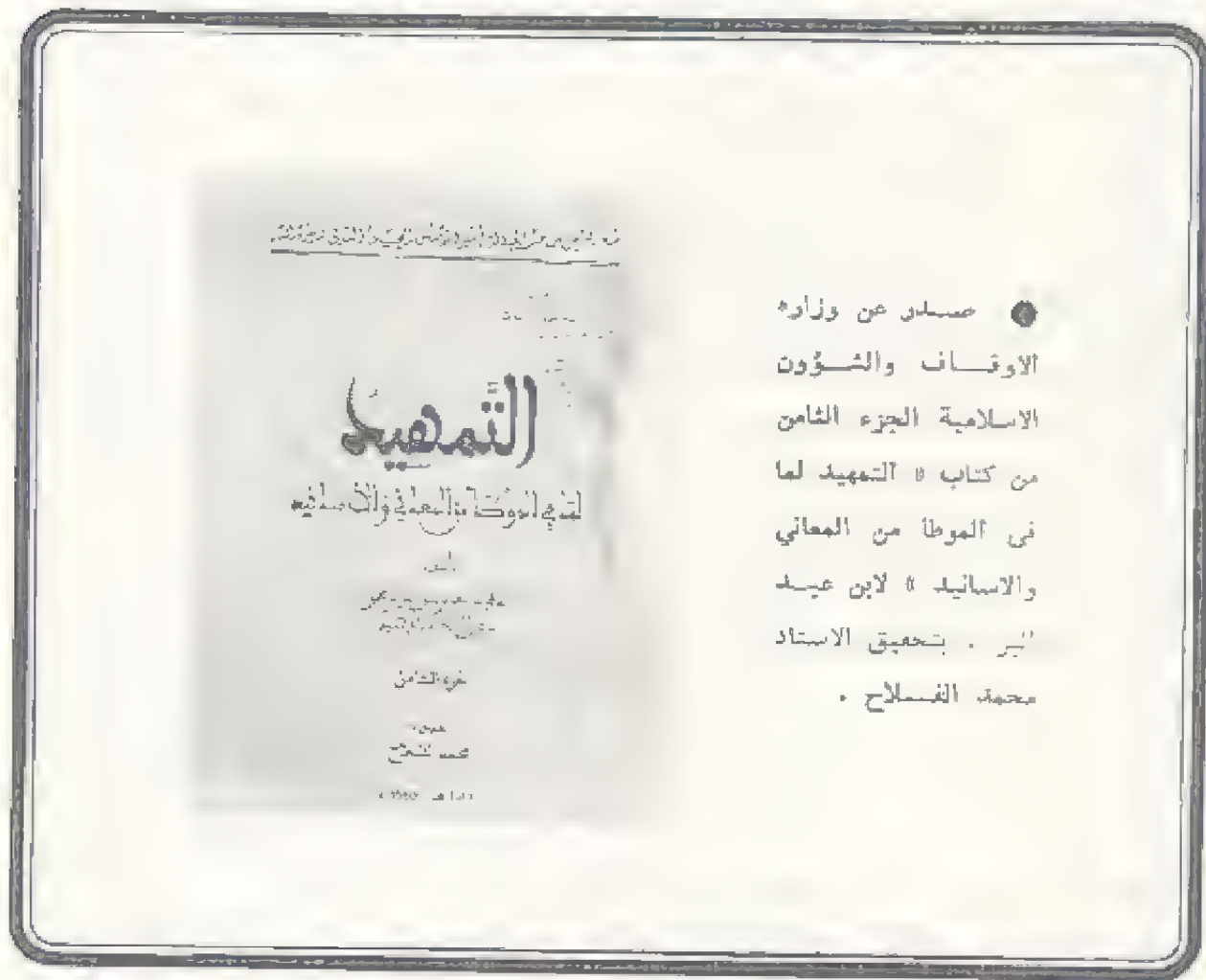
(27) حقائق تاريخية عن زاوية تازروت ، ص : 32 — 33 .

1299 هـ . موافق 31 غشت 1882 م . فعم الحزن على فقده جميع الأفاق ، وبك لموته جميع الطبقات . وكان يوم دفنه ماتما عظيما وخطبا جسيما كما قال مؤرخ تطوان السابق الشيخ الوزير المرحوم احمد الرهوني العتوقي سنة 1373 هـ - 1953 م في مخطوطه المسمى « عمدة الراويين » . ودفن السيد رضي الله عنه في زاوية والده القطب سيدي علي بن محمد ابن ريسون بطوان . افاض الله علينا من بركاتها وبركات اسلافهما ، ونفعنا بمحبتهمما والوفاء لهما . والابتداء بفضلهمما ومناقبهمما ، وجعلنا من المشمولين بشفاعته حادعما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

محمد العربي الشاوش

ثم بعد جلاء جيوش الاحتلال الاسباني عن تطوان ، يادر المغفور له السلطان محمد الرابع بالكتابة الى السيد يطلب منه ان يعود الى محله في تطوان ، فان اهل هذا الثغر السعيد بخير ما دام اهل مثل سيدي عبد السلام ابن ريسون بين ظهرائهم كما ورد في الرسالة الملكية المؤرخة في 18 ربيع الاول سنة 1279 هـ (28) . وعاد السيد الى تطوان استجابة للأمر الملكي الشريف ، وواصل فيها حياته ونشاطه الديني والاجتماعي بما كان عليه من وفاء واخلاص لامير المؤمنين ، وحب وتقدير ورعاية لابنائهم الشطوانيين الى ان اختاره الله لجواره يوم 16 شوال

(28) ابطال صنعوا التاريخ ص 44 .





# سَيِّدِي عَبْدُ السَّلَامِ ابْنُ رَيْسُونِ طَبِيبًا

د. استاذ العربي بنونة

في السادس عشر من شهر شوال الماضي ( 1399 ) احتفل في مدينة تطوان بالذكرى المئوية لوفاة أحد رجالها الصالحين المصلحين ، المربين المرشدين ، من طبقت شهرته الآفاق وسمي إلى رحابه الفصاد والرواد من كل صقع ، تطلب بشواته ، والتزود من معلوماته، والاقتباس من أنواره ، إلا وهو الشيخ الجليل ، الشريف الحبيب النسيب ، سيدي عبد السلام بن علي ابن ريسون اليونسي الإدريسي الحسني الفاطمي ، سليل أمام المرسلين وسيد العالمين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد تطرق المتحدثون في ذلك الاحتفال للكلام عن جوانب مختلفة من حياة « السيد » (1) ، فمنهم من تكلم عن الجانب الصوفي، ومنهم من تحدث عن الجانب الاجتماعي والسياسي ، ومنهم من تعرض للجانب الفني إلى غير ذلك ...

وكان لي حظ التحدث عن الجانب الطبي لسيدي عبد السلام ابن ريسون (2) .

واستجابة لعدة رغبات ... رأيت أن أنشر على صفحات مجلته « دعوة الحق » - تمهيدا للفائدة - عرضا عن هذا الجانب الهام من حياة الشيخ ابن ريسون ، وهو : عنايته بالتطبيب ونظرياته في العلاج . وقبل أن أخوض الموضوع ، لا بأس بأن آتي بشيلة ملخصة للتعريف بهذا الشيخ الجليل :

(1) اشتهر سيدي عبد السلام ابن ريسون في الأوساط التطوانية بلقب « السيد » سواء قيد حياته أو بعد وفاته .

(2) جمعت اللجنة التي سهرت على تنظيم الذكرى المئوية لوفاة « السيد » الكلمات التي أقيمت في حفل الذكرى ، وطبعتها في كتيب محلى بصور مختلفة ، من رسائل ومخططات وآثار قشة للسيد رحمه الله .

الوجيه ، الى الفقيه ، الى الحاكم ، الى الوزير ، الى  
أمير المؤمنين .

وما اجتمع به عالم ولا فقيه ولا اديب ولا فنان ،  
الا بهره بعلومه ومعارفه وفنونه .

وكان « السيد » بالنسبة لأصحابه ومريديه  
مريبا ناصحا ، وموجها بصيرا ، يسهر على تقويمهم ،  
وتصفية نفوسهم ، وترقية أذواقهم ، وتليين عرائكهم .  
وتعليمهم ما يتفعهم في دنياهم وآخرتهم . يرشدهم  
بأسلوب الحكيم ، ويهذب اخلاقهم بطريقة العليم ،  
ويدلهم على الله بالقول والفعل والحال . فكانوا يرون  
فيه ما لا يراه غيرهم ، ويسمعون منه ما يجعلهم  
متفانين في حبه متنافسين في طاعته ، متبقيين  
الى خدمته ، مجتهدين في أرضائه . وكان يعرف  
منهم ذلك ، فيضفي عليهم من عطفه ما يفوق عطف  
الوالد على أفلاذ كبده .

وكانت مجالسه التعليمية تشم :

1 - التفقه في الدين بالدرس والمذاكرة حتى  
يكون أصحابه على بصيرة في أداء واجباتهم الدينية  
من عقيدة وعبادة واحسان ، وقد كلف بذلك أحد  
أفذاذ العلماء من أصحابه .

2 - دراسة السيرة النبوية للتعرف على حياة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان يحضر هذا  
الدرس ليشارك فيه بما يحضر له من السوانح  
والواردات ، والرفائق والاستنباطات ، حيث كانت  
تتدفق معارفه وتشرح أنواره على أصحابه فتضيء  
قلوبهم بحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتخشع  
وتشتاق ، وتعتربها الاحوال ، وتخفق بالاشواق ،  
فتنلى الصلوات وتكرر الدعوات .

3 - ترقية الذوق بالفن الجميل المتمثل في  
الموسيقى والامداح ، والتائق في المظهر والمخبر ،  
تكاثت حضرته تبهر العقول بالجمال الغلاب ، وتأخذ  
بالالتياب فتسقط الانوار وتتدفق الاسرار ، ولا يحضرها  
من الاصحاب الا المختارون الاخيار من ذوي الذوق  
الفني الممتاز .

وله سيدي عبد السلام ابن ريسون « السيد »  
بمدينة تطوان عمام خمسة عشر ومائتين والسف  
( 1801 م ) في بيت العز والترف والعلم ، وفي جو  
قوامه الصلاح والتعبد ، والزهد والتبتل ، فتشابه  
قوم صالحين ، أفنوا عمرهم في حب الله ورسوله ،  
واسهروا جفونهم في قيام ليلهم ، تتجافى جنوبهم عن  
مضاجعهم ، يرجون رحمة ربهم . فكان زهرة في  
روضة من رياض الجنة تنتظر الفيث لتنتفح باذن  
ربها ، وتورج الدنيا بشذى عطرها .

و « السيد » سليل أسرة من العلماء والصالحين ،  
ذوي معارف ومواهب ، ولهذا بدا حياته من اول يوم  
في نهج صوفي عال ، من توطئ النفس على الاقتداء  
بهؤلاء الآباء . وقد قرأ القرآن الكريم ودرس بتطوان  
وغيرها العلوم التي كانت تدرس كالتحقيق والفقه ،  
والحديث والتفسير ، والسيرة النبوية والتاريخ ،  
والادب والموسيقى ، والطب والفلك والرياضيات .  
حتى كان مشاركا عبقريا يسمي العقول بما يعرض  
عليها من مختلف الصور والمعاني . وما تكلم في علم  
من العلوم الا وظن سامعه انه اختصاصي فيه ، وذلك  
حسب ما شهد له به علماء وأدباء عاصروه واجتمعوا  
به وتحدثوا اليه .

وبدا حياته العرفانية بالتطهر والعفاف ،  
والتشك والعبادة ، والتطوع والورع . وجعل من  
الكون مسجدا ، فاضفى على كل مكان حلة قداسة  
المسجد . وسلك طريق آياته في انتاج المحجة  
البیضاء السالمة ، فجعل حب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم معراجا له يتقرب به الى الله تبارك وتعالى  
« اذ لا وصول الا من بابه ، ولا فروع ولا أصول الا في  
أرض عرفاته » كما كان يقول رحمه الله .

وهكذا نشأ مميذا بشخصية فذة في وسامة  
وبهاء ، وجلال ورواء ، محبوبا من جميع من رآه او  
تألفه .

ونظرا لما حياه الله من ذكاء خارق ، وذهن  
وقاد ، وموهبة فائقة ، فقد هضم جميع ما درسه ،  
ونبع في كل ما تعلمه . وعرف الناس قدره فخطبوا  
ودده ، والتسموا دعواته ، فمن رجل الشارح ، الى

العناصر الأربعة ، واستخراجها من المعادن والنباتات والأزهار ، وكيفية تربيب الفواكه والأزهار ، وفوائد جمة في علم التوقيت . وقال أنه درس عليه أصول علم التشريح والطب للسيوطي .

وهكذا عرف عن الشيخ سيدي عبد السلام ابن ريسون أنه كان عالما بالطب في وقت ندر فيه الأطباء ، بل لم يكن موجودا في تطوان ومثل أي طبيب اجنبي . كما لم يكن هناك وجود لصيدليات تقوم بتركيب الأدوية أو بيعها للعموم .

فكان « السيد » رحمه الله يحف الدواء الناجع لمن قصده أو سألته من المرضى ، وكانت الأدوية التي يصنعها أو يشير بها مؤلفة من العقاقير والنباتات المعروفة عند الناس بأعيانها وأسمائها . فكانوا يتناولونها فيجدون مفعولها ويلبسون تأثيرها فيشفوهم الله سبحانه عند استعمالها .

وقد درس كتب الطب القديمة ، وفي مقدمة الكتب التي كان يعتمد عليها ويستفيد منها : كتاب القانون لابن سينا ، وكتاب تذكرة لولي الألباب للشيخ داود الانطاكي .

وكانت له تجارب شخصية : ظهر أثرها وثبت نفسها لكثير من الناس . وكان صائبا في أفكاره وأرشاداته ونظرياته ، ساعيا لجلب الخير للخاصة والعامة ، ودفع الضرر عن مختلف طبقات الأمة .

ولم يقتصر على ما جاء في الكتب القديمة فحسب ، بل كان باحثا دؤوبا عما يتجدد من الاكتشافات والابتكارات في الميدان الطبي بأوروبا وغيرها . وذلك بواسطة عدد من أصحابه وخوادمه الذين كانوا يحتلون مناصب سامية في الحكومة المغربية ، والذين كانوا يسافرون من حين لآخر إلى أوروبا وغيرها في مهمات رسمية أمثال السيد أحمد الخطيب النائب السلطاني بطنجة المكلف بالشؤون الخارجية ، والسيد محمد بن عبد الله المصفاي رئيس الوزراء ، والسيد الحاج عبد الكريم بريشة وأخيه السيد الحاج العربي بريشة السفيرين إلى عدة أقطار أوربية وأسيوية ، وغيرهم .

وعلى العموم ، فأننا لا نستطيع أن نأتي بصورة كاملة لحياة « السيد » في صباه وشبابه ، وفي كهولته وشيخوخته ، تصف هذه الحياة بما مر فيها من ألوان ، وترسم تقدمه في مدارج العرفان ، إلى أن نضج واكتمل ؛ لأن الدين وأفقوه وعاشروه ، لم يدوروا لنا ما نفتيس منه الأنوار أو نستشق منه أريج تلك الأزهار . وكل ما لدينا من حديث عن تلك الفترة لا يخرج عن نثف سمعتها من الدين سبقونا ، فنقلوا عن شاهد وقال ، وهو حديث لا يتصف بالتدقيق ، وإنما يعني بالعموميات غير المقيده بالزمان والتاريخ ولا بالمكان والتحديث .

وأهم المراجع التي ورد فيها الحديث عن سيدي عبد السلام ابن ريسون هي :

1 - كتاب تاريخ تطوان للعلامة الأستاذ السيد الحاج محمد داود حفظه الله .

2 - كتاب الفهرسة ( مخطوط ) للعلامة المحقق السيد محمد المرر رحمه الله .

3 - كتاب عمدة الراوين في تاريخ تطواوين ( مخطوط ) للعلامة السيد الحاج أحمد الرهونسي رحمه الله .

وقد أمتاز الأستاذ محمد داود في مؤلفه بالاحاطة بجميع جوانب حياة الشيخ سيدي عبد السلام ابن ريسون ، سواء منها الجانب الصوقي أو العلمي أو الفني أو الطبي أو الاجتماعي أو السياسي . وبعد هذه المقدمة ، أنقل بعض ما جمعته من معلومات عن الحياة الطبية في حياة « السيد » رحمه الله :

ذكر الفقيه الأديب السيد المقضل الفيلال - وهو من خاصة أصحاب السند - : « أنه درس على سيدي عبد السلام ابن ريسون حركات الافلاك السبعة ومقابلتها بالانعام السبع ( يقصد أصوات السلام الموسيقي المعروف في علم النوبة : دو ، ري ، مي ، فا ، صول ، لا ، سي ) كما درس عليه علم الموسيقى ، وأخذ عنه مثلث الغزالي ، وعلومها ومعارف كثيرة في الطب والكيمياء ، وكيفية تحطيل

الحصى شئاً فسيئاً حتى تشتعل فيه نارها وتقوى الحرارة في البدن ، وأن لم تبق الروح قوة يمكن منها الفرار ، فهي المكلفة تأخذ الروح والبدن ، وتهمر الجميع . والذي يزيلها في الحين : النافع والقليل - أي الأرنب - يستنشق بخاره ويشرب مرقه ويأكل من لحمه ولا يخرج للريح « (4) » .

وقال السيد المفضل أفيال أيضاً : سأل رجل « السيد » رضي الله عنه عن صبي تورمت إحدى قدميه ؟ فقال له « السيد » : أن كانت اليمنى فليضع عليها النخالة مطبوخة مع الخل أو ما يقوم مقامه من الاحماض ، وأن كانت اليسرى فليضع عليها الحناء مع الصابون . فسأله - يقول أفيال - عن الفرق بينهما ؟ فأجاب : لأن اليمنى من ناحية الكبد ، فمادتها حارة . وأما اليسرى فمن ناحية الطحال ، وهو بارد ، فيعالج كل بضده « .

وذكر أفيال أيضاً أن رجلاً جاء إلى « السيد » يسأله علاجاً لانتفاخ في بطنه وسفر في لونه ، فأمره « السيد » أن يدهن بطنه بالعسل ويجعل عليها قرنفلًا مسحوقاً أو سكينجيرا ، ويضع فوق الكتل قطعة من العرف ويترك في الجميع .

ثم التفت « السيد » إلى أفيال شارحاً له هذا الداء وقال :

« المعدة تعثرها البرودة من كثرة الشرب . فتعجز عن الهضم الذي يكون بحرارة الكبد والرئة ، فلا بد من مسخن ، وهذه الأمور (أي العسل والقرنفل وسكينجير) مسخنة . فإذا اشتد العطش معها فيشرب ماء الحليب المصفى بالحامض « .

وأضاف قائلاً : « أن في البطن عروقاً تستمد من المعدة ، تملأ بالماء عند الشرب . فإذا شرب الإنسان عقب التعب الذي تخرج الحرارة معه للظاهر ، تبرد المعدة وتعجز عن هضمه ، ويبقى تلك العروق متشوفة للماء فتأخذه وحدها ، ويكثر جذبها به ، فتتسع أفواهاها ، فينشأ من ذلك الاستسقاء الذي لا دواء له إلا الموت « .

وكان كثير من الناس يحلطون بين الطب وبين الولاية والكرامات ، فينسبون الشفاء للبركة التي يتوفر عليها الشيخ ... لكنه كان يستنكر ذلك ويقول : بل هي علوم وقواعد وتجارب وإرشادات ، ولا دخل فيها لما يظنون أنه من قبيل الولاية أو الكرامات (3) .

وأذكر هنا قصة طريفة في الموضوع

أصاب الحمى شخصاً تطوانياً يدعى « الباهي » فتصد الطبيب المعروف السيد محمد بن عبد الوهاب لوقش لمعالجته ، فوصف له دواء مناسباً لمرضه . وبعد ما تناول الباهي ذلك الدواء اشتدت عليه وطأة المرض ، واستفحل دأؤه ، فذهب إلى سيدي عبد السلام ابن ريسون مشتكياً ضربه وملتصماً منه العلاج ، فأشار عليه « السيد » بأكل السمك المعروف بالسردين ، فتناوله الباهي وشفاؤه الله من عنته . وبلغ الخبر الطبيب لوقش فقال : « سماع الله له أسدي عبد السلام ... » يعني أن « السيد » عالج المريض « بالبركة » أو « الكرامة » التي خص الله بها أوليائه المصطفين من عباده الصالحين ، وأن سمك السردين ليس بدواء ناجع للعلاج من مرض الحمى .

ونعت قصة قوله الطبيب لوقش إلى سيدي عبد السلام ابن ريسون ، فتأثر لذلك وتالم لما نسب إليه لوقش من الكرامة ، وقال لمحدثه : كلا ، أنها ليست كرامة ولا بركة ، بل هي علم الطب والتداوي ... وأن نوع الحمى التي أصاب الباهي يداويها العشب الفلاني الذي يوجد في هذا الفصل في قاع البحر ، فيتفدى به سمك السردين ... ثم أرشده إلى الكتاب الذي جاء فيه وصف ذلك المرض وذلك العلاج .

وتقل العلامة المرحوم السيد المفضل أفيال عن « السيد » قوله :

« الحمى كلها نار تشتعل في العفونات أن وقع فيها احتراق ظاهري أو باطني . فإذا احتت الروح بها وكانت لها قوة ، هربت إلى القلب ، ويبقى الجسد خالياً منها ، فيبرد ويحصل له الارتعاش ، ثم تراجع

(3) تاريخ تطوان للاستاذ محمد داود : المجلد 7 عدد 19 ص 99 .

(4) تاريخ تطوان ، لداود - مجلد 7 عدد 19 ص 141 .



ومن افواله المأثورة :

« شرب العسل حارا يحل ما يعقد في المعدة » .

« الخفقان يسكنه القرنفل » ( 15 ) .

وذكر أحد أصحابه وهو الفقيه السيد الحاج محمد الصفار رحمه الله أنه تلقى عن الشيخ سيدي عبد السلام ابن ريسون عدة فوائد طبية ، منها :

1 - أن الإنسان إذا احس في أذنه شيئا - يعجل لها بدهن زيت البنفسج أو غيره من الزيوت - فإذا لم يجد ، فليأخذ زيت العود من القنديل ويدهن به أذنه من داخلها وتحت أذنه من خارجها ، وأن ذلك يصرف المادة التي تكون حادثة من الرأس .

2 - شرب الشبة يفتح الرياح ( أي يفسح الغازات ) ويحلل البلغم ، وإذا أكثر المرء من شربها ، وظهرت حرارتها في الحلق ، يكون صلاحها بالعبود القماري يشربه مع الشاي بعد أن يضعه في « البراد » أو في الكسر ، وهو نافع جدا .

3 - خاصية في شرب الشاي : إذا كان مزاج المرء معتدلا ، فلا يصلح له الشاي المركز ( المجهد ) بل يصلح الشاي الطيف ( الخفيف ) . وإذا كان المزاج متغيرا أو غلبت عليه السوداء فيسبق له الشاي المركز .

ولنقرأ جوابا « للسيد » على رسالة بعث بها إليه الفقيه محمد ابن تايوت من قبيلة وادراس ، ففيه إرشادات طبية وحض على الحمية ، وقد جاء فيه :

« ... وقد بلغنا كتابكم الاعز ، وما فيه من مودتكم ، ومآثر محبتكم وفضلكم ، وما فيه من بث الشكرى ، فتال الله العافية والتفشاء لكم مما

أصابكم في سبيل الله من الامراض والكلام ( بكسر الكاف ) ، لما حاربتكم العدو بالدعاء والكلام ، ولكم ان شاء الله اجر المجاهدين ، والجزاء من جنس العمل ، والحمد لله على كل حال . وما ذكرتم من سبب الامراض المفهومة من برد وتناول طعام أو ماء وكونه مضرا ، فهو كذلك ، إلا أنه رحمة ولطف لنيل حفظ مما سعيتم فيه ، وقيسه علامة قبول الدعاء ، ان يمسكم قرح فقد مس القوم فرح مثله . وأما ما نتخوفه من تعدي الامراض ، فلا بأس عليكم ان شاء الله ، واجتناب السبب من اكل وشرب : واجب . لأن الحمية رأس الدواء . وتناول أعداد المضرات : لازم ، وهو كل بارد ثقیل مثل القلطي والحوامض والفطير من الطعام . والفليف من اللحوم كالبقر . وأما ما يتناول من خارج : فبالاستحمام بـلا ماء ، ليعرق وتخف المواد . ويحتال على العرق بما أمكن من غطاء أو غيره بلا تعب . وأن وجدت قنفوذا فاذبحه وحمله ، وارم ما في جوفه عن الفضلات ، واعمله في قشعة اقروار ( 16 ) ، وأدخله في فرن وأقلبته حتى يتجمد ، بحيث حين يبرد يدق كله ويصير غبرة ( 7 ) ، قبلئ ( 8 ) بعسل ، ويؤكل منه على الريق قدر فص البيض . والله الشافي . وإن خفت من شرب الماء فاجعل شيئا من خثرة البقر في الماء ، وأتركه يصفى ، واشرب ما صفا . فإنه نافع ان شاء الله » ( 9 ) .

وكتب الفقيه السيد المفضل أقبال رسالة الى سيدي عبد السلام ابن ريسون يشكو فيها مرضا ألم بيده اليمنى ، ويسأله علاجاً لعلته وجاء فيها :

« وبعد ، فإن يدي اليمنى لاذت ببركة يمينك ويمتك ، وأستمسكت بالعروة الوثقى من واداك . وأمرت عما في ضميرها بخطها ، وحطت رحلتها بغناء سيادتك ، وأغية أن تغفر بنظرة منك اليها ، يكتون فيها علاجها وشفاؤها . وعلى العجبة والسلام » .

وقد سطر « السيد » رحمه الله جوابا لا قبلا على نفس رسالته ، جاء فيه :

5- المصنوع السابغ .

6- الماء من الخرف .

7- مسحوقا كالمعاد .

8- يلبس . يلبس .

9- تاريخ تطلوان لداود ، مجلد 7 عدد : 19 ص 154 .

« الحمد لله وحده . وعلى سيدنا العلامة  
الطيب ، اللوذعي الأريب ، أركى السلام ، والرحمة  
والبركة والآنعام . وقد طالعنا الاعز كتابكم اعلاء .  
وما ذكر سيدنا عن أن تظهر في اليد العزيرة علينا ما  
أصابها ؟ فاعلم - سيدي - أني لما فتحت الكتاب ،  
ورأيت فيه خبر اليد اليمنى - نظرت في يدي فإذا  
هي أخت المصابة . وهي كهي ؛ اتكسرت الفكرة من  
مطالعة أمر الدواء . لأنني لم أر ما يصلح ليدي من  
العباشرة ، فاستحييت من القول بلا ظن قسوي .  
ورددت أمر اليدين لراحة طيب الأرواح والأبدان .  
عله ينظر فيهما نظرة الشفاء ، فيحصل لنا به الاكتفاء  
من طب من لم يحسن معرفة ، وأوصاف العجز عليه  
لائحة بلا خفاء . ثم إن وهب الله لاجلنا ما يحصل به  
الشفاء ، فلينفع أخاه بما نفعه به الطبيب المصطفى  
سلى الله عليه وسلم . وعلى المحبة والسلام . عيد  
لإسلام بن علي » (10) .

من هذا الجواب الواضح الصريح ، يتضح لنا  
أن « السيد » رحمه الله ، كان يعالج مرضاه بحسب  
علمه بقواعد الطب ، ومعرفة بأنواع الأدوية الصالحة  
للأمراض والأدواء . وليس كما تدعي العامة من الناس  
بأنه يعالج بالبركة والكرامات ... فلو كان الأمر كما  
يدعون لعالج يده المريضة أو يد صديقه ومريده  
العزير عليه . والآنير لديه ، السيد المفضل أفلال ،  
لكنه عندما عجز عن معرفة الدواء ، فوض الأمر إلى  
الباري سبحانه الشافي من كل العلل ، ونسب بجرب  
دواء على سبيل الظن أو يستعمل علاجاً من قبيل  
« البركة » .

وهذه وصفة دواء آخر ، ذكرها في رسالة منه  
إلى السيد محمد الخطيب النائب السلطاني بطنجة .  
جاء فيها : « وما ذكرت من أمر السيد مصطفى  
الدكالي فالظاهر أنها مادة دموية ولم تنقش بخدمة  
الدمال المذكور ، فتسفل ما بقي منها . فتبخر  
إخراج الدم من الإسلام الذي يلي جهة الدمال مسن

اليد . وإن كان الضعف فيترك اللحم وكل تميل .  
فإن خف من أعلى البدن وبقي الأسفل ، فالعلق من  
الرجل . وهناك شيئاً من الدهن يدهن به من حسد  
الوجع إلى أسفل الرجل . والله الشافي . وإن وجد  
سخانة ( أي حرارة ) فيشرب ماء قشر اللوز أو ماء  
الزعروف ، وهذا ما ظهره والله يشفي العلل » الخ .

ولعل أطرف رسالة - عثرت عليها - متضمنة  
بنظريات « السيد » في الطب ، هي التي وجهها إلى  
صديقه السفر الحاج عبد الكريم بريشة الذي كان  
موجوداً في مهمة بلندن ، فأصابه مرض في خصيته ،  
وأشار عليه الأطباء في إنجلترا بإجراء عملية جراحية  
لاخراج الماء من الخصية . فكتب إلى سيدي عبد  
السلام ابن ريسون يصف له داءه ويستشير في أمر  
إجراء العملية الجراحية . فأجابه « السيد » برسالة  
مؤرخة في 16 رجب عام 1278 هـ وهي من الرسائل  
القليلة التي أرخها « السيد » إذ لم يكن يهتم بتأريخ  
رسائله . - وبما جاء فيها قوله :

« وذكرت لنا أنه أصابك ألم في بيضة اليمن .  
وذكرت ما أورد الطبيب عن الضرب على الماء . فاعلم  
أنه يظهر لي أن تفصد من أسليم (11) اليمين ، وهو  
عرق بين الخنصر والبنصر ، وتجنب أكل ما فيه  
النمل من البطاطة وما أشبهها ، وتشرب طبخ العود  
القماري أو تعمله في البراد مع اثني لأنه نافع ويشيق  
سجاري المادة . وحين ترى الماء الذي مع البيضة  
وقف ولم يزد ، فأتت حينئذ بالخيار في الضرب  
لاخراجه . وأما قبل أن يقف عن نزوله في المحل ،  
فإنما أخراجه زيادة في مادته وسرعة هيوط مادة  
أخرى . وأياك تثقيفه في وعاء البضة بماء قاطع  
يسد العروق ، فذلك يجب تحويل المادة لجهة  
أخرى عند توفرها . وإنما يسلح تثقيفه من فوق مثل  
ما أشرنا ، ونسأل الله أن يشفيك شفاء لا يفادر  
سقما بقضله ورحمته » الخ . . .

(10) كتاب عمدة الراوين في تاريخ تطاوين للعلامة المرحوم أحمد الرهوني : الجزء 4 ص 216 .

مخطوط .

(11) الأسليم : عرق بين الخنصر والبنصر المحدث .

اليس هذا كافيا للدلالة على سعة اطلاعه وعمق  
طرده في امور الطب والعلاج ؟

وبالإضافة الى ذلك فقد كانت له خبرة بالامكان  
التي تمتاز بهوائها الجيد النافع لصحة الايدان وراحة  
الانفس . وقد كتب العلامة المرحوم السيد محمد  
المرير في فهرسته حول هذا الموضوع فقال : « قد  
خبرني الفاضل المرحوم السيد الحاج العربي غوث  
انه ( أي الشيخ سيدي عبد السلام ابن ريسون ) جاءه  
ذات يوم المرحوم السيد الحاج أحمد ابن موسى  
- وكان ممن ينتاب مجلس الشيخ - عن طول غيبة  
منه ، فقال له : « اني كنت مريضا ، فقال له الشيخ :  
« أنت عندك جنان في بوجراح (2) » ، وأنت تمرض ؟  
فهم ابن موسى إشارة الشيخ ، وخرج لجنانه : وأقام  
به مدة : فوجد في ذلك عافية جديدة » .

هذه لبقة عن عناية سيدي عبد السلام ابن  
ريسون بالطب . فقد كان رضي الله عنه طبيبا  
غارواح والابدان في تطوان خلال القرن الثالث عشر  
الهجري . وكان يتخذ من مهنة الطب عبادة يقرب  
بها الى الله سبحانه : فلم يكن يتقاضى عن ذلك أي  
اجر . بل كان يقدم في كثير من الأحيان المراهم  
والادوية التي يركبها الى العرسي وإلى الفقراء منهم  
خاصة .

ولا زالت بعض الاسر محفظة الى الآن  
بوصفاته لعدد من الادوية لعلاج مختلف الامراض .

وقد توفي هذا السيد الجليل بتطوان في 16  
شوال عام 1299 الموافق لـ 31 غشت سنة 1882 .  
ودفن في زاوية والده سيدي علي ابن ريسون بعد  
طهر يوم الجمعة الموالي . رحمه الله وأسكنه فسيح  
الجنان ، وجزاه عما قدم للمسلمين أحسن الجزاء .

(2) ناجية في ضواحي تطوان شهرة بهوائها الصفي وأجنحتها المزدانة بالأشجار والأزهار والرياحين .



# ملك فريد

لشاعر الأستاذ عبد الواحد أفريف

يزغرد النصر فيها وهو ميتهم  
من المفاجر لا تنفك تلحهم  
وفي جوانحها الاشواق مضطرم  
والصدق تعشقه الاخلاق والفيم  
ن لا تكون سوى بالعرش تلثمهم  
بالمجد بينهما كالخيط مفتهم  
سوى رعيته يزهو بها الشمم  
تياهت الارض ، واتسابت بها النعم  
كالجسم في فعله آياته عمم  
قد صدق الحق ما أوحى به الخلق  
وهبها الكثر زيحى الناس كلهم  
والوارثون بذور المجد قد عظموا  
هيئات بركة من في ثوري حثموا  
لا يستقيم عا فكر ولا كلم

العبد عاد وشعل الدار ملثمهم  
والعرش يزهو بذكره على قعمهم  
تنساق في سيرها ولهى لساكتهم  
قد أخلقت ودها للعرش من زممهم  
قد أقسمت والبرود المحض شيعتهم  
أضفى على الشعب من خيراتها حللهم  
تمازج بين راع ليس يشغلهم  
أن الملوك اذا كانوا كيدهم  
الحسن في اسم سليل الملك مؤثلق  
فراصة لواء الجاني ونظرتهم  
نا واهب « الحسن الثاني » لامتهم  
خلالك الفر تحيا في سجنهم  
ند نام بالعبء في حزم ومعرفة  
كم من عروش على عليانها صوم



ومررتنا الغد لم ينهض به ملكك  
 محبة الشعب أهدته نوابغهم  
 وفي ظليعتهم نور يجسمده  
 ما في اسمه العذب إلا الحسن مكملا  
 المعجزات على طول البلاد غدت  
 العاملون بها في خير عافية  
 وكيف يفخر من كانت عزائمهم  
 بنى الرجال ، ومن بين الرجال يهب  
 « تطوان » في يومها تختار لأبنة  
 عيدان قد رفرقا في أفقها جلا  
 في عيد عرشك قد حققت رغبتها  
 هبت تشيد في شوق مصانعها  
 غدا ستبلغ من غاياتها أملا  
 سنطوي وظاة الحاجات خائفة  
 ويتطيق الخير بين الأمل متهججا

إلا وكان لديه الحكم والحكم  
 فلم ير الدهر ندا واجدا لهم  
 العاهل « الحسن الثاني » الرضى الفهم  
 وفعله بجمال القصص يتم  
 معالما للملا ترسي لها الدعاء  
 لا يعترى عزيمهم هم ولا مقام  
 يروح عائلته القدسي تحننهم ؟ !  
 نعمه خير ما تشتمه الأمم  
 من المفاهيم ما لا يرسم القلم  
 فكان للفرحة الكبرى صدى عزم  
 تقام في ربعا التمتع يقتحم  
 وصوتها بحديث النكر مزدحم  
 لذلك ما حققت آمالها لهم  
 ويختفي الشبح المشؤوم والسام  
 ويرقص الرعد الخفاق فوقهم

\* \* \*

يا صانع المعجزة من انحاء ملكك  
 اكسبتها هبة شعاع ماعك  
 ما حاولوا القدر الا صاح صائحهم :  
 صوارم « الحسن الثاني » بجندهم  
 « صحراؤنا » بنشنا من رملها انطلقت  
 ان لغها النقع في عهد الدخيل فقد  
 فهل طردنا دخيلا من غصارتهم  
 عادت ولكنها من بعد عودتهم  
 العاهل « الحسن الثاني » لها ملك

سادت به ، وعلا أبطالها لهم  
 شراذم الغدر ان يقويهم وهم  
 اني على الرمل مطروح ومهزم  
 بالعدل ، والظالمون المارقون هم  
 امجادنا ، واحطت بالعدا النقم  
 ولي السراب ، وعاد الحق يحتزم  
 لدخل الرحس للصحراء يقتحم ؟ !  
 توحدت برباط ليس بنفسهم  
 والخافق الاحمر الزاهي لها علم

للال الشمر نشوى شاقها الكلام  
الا وطب الهوى والشعر والتغنى  
والعرش شمل الرعاية فيه ملجئهم  
الله ضمهما للناس لو علموا  
والقلب بالعرش قد حفت به النعم  
سجل الهدى لينوحاها ويلتمز  
من المعارف والآداب منتظم  
والشعب حولك صفاء ليس ينقسم

نطوان : عيد الواحد الخريف

مولاي في عيدك الميمون قد صدحت  
ما حل به والروض طلق في نصارتك  
« آذار » سندسه المخضر منتثر  
عيد الربيع وعيد العرش قد مزجسا  
سمرة العيس في آوار ظلمته  
قدم لشعبك تبراسا تنبر لسه  
وعاش شبلك في حصن الصلاح لسه  
وآل يتك في عز وتكرم



# تأريخ الموحدين ومذهبهم

من خلال رسائل موحّدية

-1-

لأستاذ المحسن الشاذلي

تقديم ومقدمة :

نم تعرض لمضمون الرسائل التاريخية بأن نحدد أهم الأحداث التاريخية والمناسبات التي تسجلها هذه الرسائل ، ثم نركز على مضمونها المذهبي لمعرفة مدى انعكاس الأفكار الموحّدية عليها ، مما يجعلنا ملزمين بالبحث عن جذور المهدوية في نصوص هذه المكاتبات التي لم تحد عنها قيد أنملة ، وبمسد أن نبحت عن أسس العقيدة الموحّدية في مضمون هذه الرسائل وأفكارها ، نخرج في الأخير على الناحية الفنية لها محاولين استخلاص الخصائص ورصد الاشكال للطرق الفنية التي صاوت تقليدا متبعاً لدى كتاب هذا العصر .

التعريف بكتاب الرسائل :

يضم مجموع الرسائل سبعة كتب وهم علي التتالي : أبو جعفر بن عطية ، وأخوه أبو عقيل بن عطية ، وأبو الحسن عبد الملك بن عياش ، وأبو الحكم ابن محمد المرخي ، وأبو القاسم القاسمي ، وأبو الفضل جعفر بن محمد بن محشيرة ، وأبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عياش .

ينضم البحث دراسة عن مجموع « رسائل موحّدية » ، تلك الرسائل التي حققها ليفي بروفتسال سنة 1941 : وكان قد اقتبسها من مخطوط للمستعرب جورج كولان (1) . ويشتمل المجموع على سبع وثلاثين رسالة رسمية كتبت عن خلفاء الدولة الموحّدية ، لذا فإن أهميتها لا تنكر - كما يلاحظ بروفتسال - في المجال التاريخي ، حيث تصادف على حد تعبيره « بياناً مباشراً دقيقاً منظملاً لأهم الحوادث التي وقعت في أيام الموحّدين من تدابير سياسية ، وأصلاحات اجتماعية ، وفروعات وانتصارات حربية » (2) وفي المجال الأدبي أيضاً « متمكن كل من يدرس تطور الآداب بالديار المغربية الإسلامية من نماذج شتى عن فن الكتابة الرسمية في العهد الموحّدي » (3) كما يرى بروفتسال . وفي الناحية المذهبية يلقي أضواء كثيرة على المبادئ الموحّدية كالمهدوية والعصمة وصفة التقديس والركوة ...

وسنحاول أولاً التعريف بكتاب هذه الرسائل بالقدر الذي يسمح لنا به المجال وتتيحه المصادر .

(1) باستثناء الرسالة العاشرة التي نقلها من صبح الأعشى ( ج 6 ص 443 ) .

(2) رسائل موحّدية ، مقدمة المحقق .

(3) نفس المصدر .

فأما أبو جعفر بن عطية (ت 553 هـ) فيعد من الذين عاصروا العهدين المرابطي والموحدي ، حيث كتب علي بن يوسف ، ولما تم الأمر لعبد المومن الموحدي ، تحقق في الجيش الموحدي الذهاب إلى إقليم سوس ، إلى أن احتاج قائد هذا الجيش إلى من يكتب عنه رسالة إلى الخليفة عبد المومن يخبره بما تحقق من انتصارات . فدل على أبي جعفر هذا الذي كتب رسالة بلسنة نالت إعجاب عبد المومن وقرينه منه حيث أسند إليه الوزارة التي كانت كما قيل « زينا للوقت وكمالا للدولة » (4) ونال من الرتبة عند السلطان ما لم ينله أحد في دولته .

ولأسباب متضاربة ، زج بابن عطية في السجن . ثم قتل من طرف عبد المومن فكانت نهايته المؤلمة ، في نظر المقرئ شبيبة بما لقيه لسان الدين بن الخطيب وباختفائه ترك فراغا أدبيا استشعره عبد المومن نفسه حينما قال : « ذهب ابن عطية وذهب الأدب معه » ولم يكن مبالغا إذا عرفنا أن الكاتب كان يعد « من أبلغ أهل زمانه » (5) .

وأما أبو حنبل بن عطية (ت 553 هـ) فإن كل ما عرف عنه هو أنه شارك أخاه الكتابة للرسائل الرسمية زمن عبد المومن . ونعلم أنه قتل معه في ظروف غامضة كما تقدم ، ولا شك أنه كان كذلك كاتباً ممتازا ، حيث كتب في المواقف الخطيرة الشأن ، مثل التي كانت تناط بأخيه أبي جعفر ، وهذا يجعلنا نعتقد بأنه كان « من أبلغ أهل زمانه » أيضا .

ويحدث صاحب المعجب عن أبي القاسم بن عبد الرحمن القالمي فيذكر بأنه من أهل مدينة بجاية من ضيعة تعرف بقالم . وهو الذي خلفه ابن عطية في الكتابة حينما كتب . كما كتب في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن ولعله توفي في عصره كما يفهم مما ورد في المعجب .

ونجد أبا الفضل جعفر بن محمد بن محشر (ت 598 هـ) عمل كاتباً ليوسف ابن عبد المومن خلفا للقالمي ، ثم كتب لخلفه يعقوب المنصور إلى أن توفي وكان كاتباً مقدما إذ جمع « إلى براعة الكتابة سعة الرواية وغزارة الحفظ وذكاء النفس » . (6) وعمل أهم رسائله تلك التي كتبها عن يعقوب إلى طليبة مراكش يصف انتصاره في قصة والشى كانت « تعد مثالا للبلاغة في عصر يعقوب » (7) كأختها التي وصف فيها وقعة الأرك ، وهي غير مذكورة في رسائل موحديّة .

ونجد خلفه في كتابه يعقوب المنصور أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز ابن مياش لتيجيني (ت 619 هـ) الذي ينتمي إلى أهل يرشانه من أعمال المرية بالأندلس ، كتب أيضا للناصر ثم لابنه المستنصر الموحدي ، بلغ عبد الواحد المراكشي نبأ وفاته . وهو بمصر ، كما يذكر في المعجب . وأسويه كان طبعاً بلغ الذروة في الإبداع ، أصبح معها يشكل مدرسة ثرية وصاحب طريفة معينة في الكتابة « جرى الكتاب بعده على أسلوبه ، وسلكوا مسلكه لما رأوا من استحسانهم لتلك الطريقة » (8) . وإذا علمنا ما كان يوليه المنصور للمثقفين والأدباء . وما ترتب عن ذلك من المنافسة والتباري في مجتهد الخليفة (9) ، أدركنا قيمة الكاتبين الآخرين ومقدرتهما الأدبية والفنية .

#### مضمون الرسائل التاريخية :

إن من يقرأ الرسائل الموحدية يجد نفسه أمام وثائق هامة تستعرض لنا التاريخ الموحدي والتطورات السياسية والفتوحات ، وتحركات الخلفاء خلال عهد طويل يشمل العهود التي حكم فيها كل من عبد المومن وابنه يوسف ويعقوب المنصور ثم الناصر الموحدي . وهي حقبة مهمة من تاريخ الموحدين .

(4) الاستقصا ج 2 من 131 — 134 ، نفع الطيب ج 5 ص 183 .

(5) نفع الطيب ج 5 ص 186 .

(6) المعجب في تلخيص أخبار المغرب : لعبد الواحد المراكشي — القاهرة 1949 .

(7) عصر المنصور الموحدي لمؤلفه محمد الرشيد ملبن ص 173 .

(8) المعجب .

(9) عصر المنصور ص 172 .



خصوصاً وأنها تتنفل في طور التمكين لهذه الدولة الكبيرة وكسب انصارها زمن عبد المومن وخلفائه الثلاثة .

فمن اطلعنا على رسائل عبد المومن نعرف على اهم احداث زمن خلافته منها :

( 1 ) ثورة اهل سبته وانتفاضهم على الموحدين سنة 542 هـ ، تلك الثورة التي تورط فيها القاضي عياض والتي تسببت في قتل عامل الموحدين يسيبة وبيعة ابن غانية بقرطبة . ورسالة عبد المومن اليهم تهدف الى النصيح ، وتدعوهم الى الاعتاض بما يروونه شاهداً على صحة الدعوة المهدوية من الانتصار على المرتدين « ففى افئح التي ظهر بها من آيات المهدي - رضي الله عنه - العجب العجيب ، وقاض فيها من بركاته الفيض المنساب ، ودبت بها الاوراق وانتشر الامن وكرم العاقب » (10) .

فما على اهل سبته الا ان تصديق نيتهم وضمانهم وبعثوا توبتهم « وقد ان لكم ايها المذنبون ان تجدوا توبتكم تجديداً وكيداً » (11) .

( 2 ) توالى الوفود على حضرة الخلافة الموحدية لتجديد البيعة ، كالوفد الاندلسي الذي قدم فيه أبو بكر بن العربي سنة 542 هـ أو كالذي وفد على عبد المومن بسلا سنة 545 هـ والذي خطب فيه ، باسم الوفد ، أبو بكر بن الجذ خطبة بليغة ، ويعتبر عبد المومن كل هذا التوفيق ، من بركات المهدي التي « تتزايد على مر الزمان رواحاً وغدوا » (12) كما ورد رسالة الى طلبة صنهاجة الا ان عبد المومن « مع ذلك ، يرسل الى اهل قرطبة معلنا تقبله لبيعتهم

واعلان الرضى عنهم بعد ان التزموا بما « أوجبه الله تعالى من شرائطها والقيام بحقوقها » (13) .

( 3 ) سلسلة الفتوحات التي خاضها عبد المومن وهي كثيرة في الاندلس وشرق المغرب ففي الاندلس انتصر جيش الموحدين في كل من المرية وبياسة ، وابدة ، ونواحي قرطبة ، ولاذ الكفار بالقرار « فاقضى الموحدون بالقتل آثارهم ، ووصلوا بالحق المتاصل فرارهم ، ودخلوا عليهم الباب آمنين ، وغنموا من تلك الآلات الحربية ... » (14) ولا غرابة في هذا التوفيق لرجال الموحدين هم « جتود الله » فلا ينفع تكفل التصاري ضد المسلمين وتحالف أعداد الموحدين معهم كإبن مرديش في الاندلس .

وأما الفتوحات الشرقية فقد شملت قسنطينة ، وسطيف ، وقنصة ، وأفرقية ، التي أرغم أهلها على الطاعة وتادية البيعة ، ولقد صرف عبد المومن اهتمامه الى المغربين حيث « غزا غزواته الطويلة التي مكث فيها سبع سنين » (15) ويحرص عبد المومن في رسالته التي وجهها الى طلبة مراکش على وصف حالة الموحدين وحالة أعدائهم الذين « قد قلدتهم الغلبة حينئذ الى صحرائها وبذتهم الروعة بعرائها .. وعساكر الموحدين حريصون على غزوهم في عقر مواقعهم » (16) فيحيط بهم الموحدون من كل جانب « كل يغزو ويقسم » (17) رغم أنهم لم يأخفوا استعدادهم واعدوا عدتهم ، بل أعلنت الحرب صدقة فلم « يتقدمها قصد ولا عمل فيها فكر ولا مهد لها تعويل ... وان محركها القدر المسعد » (18) ، ولا عجب في هذا الانتصار العظيم اذا ما علمنا بأن طلبة بجاية والقيروان تسابقوا الى المشاركة في هذه

(10) رسائل موحدية ( الرسالة الاولى ) .

(11) نفس المصدر .

(12) رسائل موحدية ( الرسالة الثالثة ) .

(13) رسائل موحدية ( الرسالة السادسة ) .

(14) الرسالة الخامسة .

(15) الاستقلا ج 2 ص 135 .

(16) رسائل موحدية ( الرسالة التاسعة ) .

(17) نفس المرجع .

(18) الرسالة العشرون .

الفتوح التي استعمل فيها المنجنيق ، فتدارك بها الله « هذه الجهات بعد أن اشقت على تلفها (19) وكانت فاصلة بين الضلال والهدى .

( 4 ) تولية عبد المومن لابنائه على الاقاليم وكتابه بذلك الى الافاق ، فقد ذكر الناصري في احداث 549 هـ ان عبد المومن بايع لابي عبد الله محمد بولاية العهد وولاه على افريقية ( تونس ) ثم ولي ابا الحسن على فاس ، وابا حفص على تلمسان ، وابا سعيد عثمان على سبتة وطنجة ، وابا محمد عبد الله على بجاية . ولقد اظهر عبد المومن - في رسالته اتفاق الجميع على بيعة ابنه التي هي « تجديد أمر المهدي » (20) كما يذكر الحاحهم ورغبة اقاليمهم في ارسال ابنائه اليهم بعد أن رأوا في مثل هذا منافع ومصالح لهم « وامت هذه الامور - وفقكم الله - أمرا بعد امر ، على غير قصد منا ولا ذكر (21) .

ولقد عمل عبد المومن على تعيين كبار الحفاظ والطلبة واعيان الفقهاء والقضاة ونخبة الامناء والثقات وخير الانجاد من الغزاة مع ابنائهم المعينين في الاقاليم لمساعدتهم في جمع العساكر وتعيين القبائل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتفقيه الناس في امور دينهم (22) .

( 5 ) ثورة اخوي المهدي بن تومرت ، عبد العزيز وعيسى ، بمراكش ، ثم قتلها مع من ساندتهما من طرف عبد المومن ، ذلك ان الآخرين المذكورين داخلهما قيظ شديد من استبداد عبد المومن وتعيينه لابنائه بالاقاليم ، وابستثار أسرته بالخلافة ، ففكروا في الخروج عليه حيث قتل عامل مراكش من قبل

عبد المومن ، وجما حولهما الساخطين على النظام الذي « لا يرون الاحسان احسانا ، ولا يتزبدون مع الرفق بهم ورجاء الخير فيهم الا نفاقا وطقيانا ... ونار الحقد في جوانحهم تتأجج ، وسموم الفل تنمش في اعضائهم وتتلرج » (23) وتشير الرسالة الى أن عبد المومن كان طيبا في معاملة الآخرين الثائرين ، لان وصل الرحم يعتبر من واجبات المهدي ، الا أنهم لا يعترفان بالجميل حيث خرجا عن أمر المهدي حتى « صارت حرمانه متهكة ، وأمانته مستهلكة ، بيد الفصيب والاعتداء » (24) فتنفذ الاعدام فيهما اذن وصليهما كان حكما عادلا .

( 6 ) بناء عبد المومن لمدينة بجبل القشج ، فبعد الانتصارات المتوالية والاستيلاء على حصن قصبة ، فكر عبد المومن في « اختطاط مدينة متينة مباركة بجبل طارق مجمع البحرين » (25) حتى تكون صلة وصل بين المغرب والاندلس ، ويستفاد تاريخيا أن المهندسين ابا اسحاق براز بن محمد ، والحاج يمين هما اللذان اشتغلا بذلك .

( 7 ) بروز من رسائل عبد المومن ظاهرة حرصه على نشر العقيدة الموحدية ودعوة الناس اليها ، وهذا له أهمية في التعرف على اهم الافكار التي يريد اقناع الناس بصحتها ، فالمهدي « قد بشر به النبي - صلى الله عليه وسلم - في غير ما حدث وظهرت علامته وآياته في قديم مزامره ... وقضى بوجوب الائتمار والائتمام والطاعة » (26) لذلك فإن من واجب كل سكان المعمور أن ينصروا الدعوة الموحدية واتباع المهدي « فالاعراض عن اجابة دعائه ... نقمة تحرف بصواعقها من ينحرق في سبيل النواية ويستمر » (27)

- (19) نفس المرجع .
- (20) رسائل موحدية ( الرسالة 13 ) .
- (21) رسائل موحدية ( الرسالة 14 ) .
- (22) نفس المرجع .
- (23) الرسالة الحادية عشرة .
- (24) نفس المرجع .
- (25) رسائل موحدية ( الرسالة 19 ) .
- (26) الرسالة الرابعة .
- (27) الرسالة السابعة .

فلا عجب اذا كان عبد المومن لا يعلن الحرب الا بعد التوضيح والتعريف بفحوى الدعوة حتى تقوم الحجة « فى تبليغ القول وتوصيله » (28) . وتوضح العقيدة اكثر فى رسالة الفصول التي أرسلها الى طلبة بجاية حيث نرى ان الموحدين « لا يخلطون العمل بالرفض ، ولا يفضون الايمان ، يكون عندهم العلم والعمل متلازمين والباطن والظاهر متطابقين ، والقول والفعل متعارضين ولا متناقضين » (29) وهذه العقيدة لا تتم الا بعمل امور لا تستقيم العقيدة بدونها وهي : العلم بالتوحيد ، وقراءته باللسان افريقي او العربي ، ثم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وعقد شارب الخمر ، والبحث عن اللصوص وتنفيذ حكم الله فيهم وكذلك اكل الاموال بالباطل .

8 ) تنظيم الدولة ، فالموحدين يفتنسون خدمتهم للمذهب وتمسكهم به قسموا الى طبقات : (30) الاولى هم السابقون الاولون الذين بايعوا المهدي وصاحبه وشهدوا بالبحيرة ، الثانية من دخل في الحرب بعد البحيرة الى فتح وهران ، والثالثة من انضم اليهم بعد فتح وهران .

وتصادف ثلاث رسائل كتبت عن يوسف بن عبد المومن تظهر ما قام به من حروب لاجساد الفتن وغزو « المرتدين » الذين خرجوا عن طاعته ، حيث ثار مرزوق الصنهاجي وضرب السكة باسمه في غمارة « فبعث اليه امير المؤمنين يوسف جيشا من الموحدين قتل وحمل راسه » (31) وبحروبه هذه استطاع ان يرجع الى الدولة هيبتها من جديد وامكن له ان يدعو ابن مرديش - من مركز القوة والغلبة - الى الدعوة الموحدية التي « لا ايمان لمن لم يؤمن

بها ولا دين لمن لم يكن مصدقا بها » (32) ، وكيف لا يدعن والخليفة متجه اليه بجيوشه الكثيرة التي « تملأ القبطان والري » والمتمثلة في قبائل رياح العربية حيث كانوا من الراغبين في الجهاد « فتحركت الى ذلك حفانظهم وثارت لنصر الله عزائمهم » (33) .

بينما نجد سبع رسائل اخرى لها اهميتها التاريخية ايضا في التعرف على عصر المنصور الموحدي ، فهناك خبر بيعة يعقوب من طرف الكافة جنودا وعربا ، تمثلت في بيعة الاعيان ثم من بعدهم من الناس (34) ، لكن الاحداث التي تهيمن على موضوع رسائله هي الفتوحات والحروب التي خاضها في كل من افريقية والاتلس ايضا :

ففي افريقية قامت الفتن ، واستولى ابن غانية على مناطق كثيرة اطعمته في المزيد ناقضا عهده للموحدين زمن يوسف ، (35) ظانا بان الموحدين لا قبل لهم بل مع انهم اخذوا « بواجب الاجتهاد من التاهب والاستعداد » (36) لهذا لم يباغثوه بل لم يعلنوا الحرب الا بعد « تقديم الانذار الى ابن غانية واقامة الحجة عليهم » (37) ذلك لان الانتصار حليفهم دائما بتوفيق الله وعنايته .

وفي الاتلس قام بحروب تبتيدي منذ ان اعلن غزوها سنة 585 هـ (38) وانصر على العدو في كثير من المواقع واستولى على كل من شنترين ، وطمار ، وطرس ، وطلبيرة ، وطيظلة . وانتصار جيشه هنا - في اعتقاده - يرجع ايضا الى عون الله « فالعين بان لا عدة ولا عدة ولا قول ولا قول الا بما

(28) الرسالة العشرة .

(29) الرسالة 23 .

(30) رسائل موحدية ( الرسالة 12 ) .

(31) الرسالة 25 الاستقصا ج 2 ص 147 .

(32) الرسالة 25 .

(33) الرسالة 26 .

(34) الرسالة 27 .

(35) الاستقصا ج 2 ص 156 .

(36) الرسالة 26 .

(37) الرسالة 30 .

(38) الاستقصا ج 2 ص 181 .

يقبض عليهم من خزائن وحملة ربههم العزيز الوهاب » (39) .

اما الرسالتان الاخيرتان فنصوران حركة الجهاد التي نشطت في عهد محمد الناصر الموحدي ، فيعد أن خلف اياه في الحكم سنة 595 هـ وجه جيشه لحرب يحيى ابن اسحاق بن غانية الذي استولى من جديد على مناطق كثيرة ناحية الشرق ، الا ان جنود الناصر استطاعوا التغلب عليه ، فاستولوا على منورقة ، وباسة ، ومبورقة ، ورقعت اعلام التوحيد في امالي الجدران » (40)

(39) رسائل موحدية الرسالة 35 .

(40) الرسالة 36 .

(41) الرسالة 37 .

(42) نفس المصدر السابق .

لهذه المدن . كما فتح الجيش كلا من افريقية وقايس حيث اجتمعت الكلمة « على التوحيد الذي نصر ( الله ) انصاره ... وظهر من كل بهتان وعدوان منابره وامصاره » (41) .

ثم انصرف الناصر بعد ذلك الى اصلاح والتنظيم حتى يعود الاستقرار والاطمئنان يقول في رسالته : « وجئنا نحن قايس واقمنا بها مدة نصلح من احوال اهلها ما فسد » (42) .

( يتبع )

#### ● النظام الاداري والاقليمي في صدر الاسلام

بقلم : الدكتور ابراهيم حركات

اقرأ المقال في العدد القادم



في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن

# تطوان

في كتاب "يوميات شاهد عن حرب إفريقيك"

تأليف : الكاتب الإسباني دي ألكون  
عرض وتقديم وترجمة : الاستاذ رضا الدابراهيم الأيني

الواد الحلو .. كل هذه الاسماء الملتصقة بالدماء التي  
عشت بها عدة مرات مذكراتي تبدو لي الآن في  
سختلي كأنها أضفأت أحلام .. وكذلك معكرونتنا  
ومخيماتنا فإنها اختفت وتعيش الآن في طيات التاريخ  
الذهبي .. كم من ليال مرت تحت خباء تعصف به  
الرياح أو على ضوء نار خافت أو على قمم جبال  
موحشة وفي غابات وسهول وضفاف أنهار وفي  
خنادق وأغوار .. وتحت وطأة ذلك الشتاء الطويل  
الذي عشنا فيه كأننا وحوش منقرضة في الأدغال ..  
وفي غمار تلك المعارك الضارية التي تصورنا فيها  
جوعا وكابدنا الانعاب والحرمان والإهمال .. وصارعنا  
خلالها الأمراض والموت الزؤام .. كل ذلك قد  
انتهى الآن .. انتهى ابتعادي عن المجتمع وعن العالم  
كله .. تلك الوحدة العوحشة التي طويت فيها ليلة  
الميلاد وليلة السنة الجديدة ويوم الملوك الثلاثة ..  
أيام ولال قضيتها بالأم مزدوج وبحيرة وانقباض ..  
كل ذلك عضي وذهب مع الأنام .. الآن أنا في سبيلي  
إلى سقف يطلني وإلى بيت يؤويني وإلى مدينة  
تحتويني .. كل آمالي تحققت .. وأنا واحد من  
المحتلطين الذين يدخلون تطوان ..

ثم اخذ يروي أخبار تطوان الواصلة إليهم  
معناها في ذكر الحالة السيئة التي كانت عليها المدينة  
في الليلة السابقة لدخولهم إياها .. ثم ذكر كيف نظم  
القائد العام أودونيل موكبه قبل الدخول وكيف رتب

عن دخوله لتطوان ( في 6 فبراير 1860 ) :

توالي عرض ما قصدنا لاجله في هذه الترجمة  
من ذكر بعض أحوال تطوان المدنية والاجتماعية مما  
استخلصناه من يوميات الكاتب الإسباني دي ألكون  
المتطوع في فرقة الخدمات المدنية التابعة للجيش  
الثالث الذي أتى من إسبانيا على عجل مددا للجيشين  
الأول والثاني في الحملة الحربية المنظمة للقاعدة  
احتلال تطوان ( 1860 ) انطلاقا من مدينة سبتة  
المجاورة التي لا تفصلها عن تطوان إلا نحو أربعين  
كيلومترا ومع ذلك استغرق القتل بينهما أكثر من  
ثلاثة أشهر وقد شاهد صاحبنا ألكون منها قرابة  
شهرين ابتداء من 11 دجنبر 1859 تاريخ خروجه من  
مالقة إلى 6 فبراير 1860 حين دخوله تطوان مسع  
القائد العام أودونيل .. تلك الفترة القاسية الهائلة  
التي قاسى فيها الكاتب الأمرين ، مرارة الحرب  
المظلمة ومرارة فصل الشتاء القارس والأمطار  
المتوالية وتراكم الأوجال والزوابع وانتشار الأوبئة  
والأمراض .. وغير ذلك من الأهوال والمتاعب التي  
جملت كاتبنا يستبشر ويظهر فرحا لما وجد نفسه  
على أبواب تطوان حيث كتب ما يلي : « أخيرا وصلنا  
.. أخيرا استطع أن أؤرخ هذه الرسائل (لأنه كتب  
يومياته في صورة وسائل صحافية ) من تطوان بعد ما  
أرختها بعدة نقاط في الطريق من سبتة ، من السراي ،  
من الفنيدق ، من واد سمير ، من كابو ليكرو ، من

وأناسدها وهتافاتها .. ألا أنها لم تجد تجاوبا الا من  
نزر قبيل من السكان المتمثل بل المتحضر في الاقلية  
اليهودية ومن على شاكلتهم .. كما يتجلى ذلك واضحا  
من يوميات الكتاب ..

### استطلاع :

وأما القائد العام قائده قبل ان ينزل الى المدينة  
رأى أن يصعد مترجلا هو ومن معه الى أعالي القصبة  
حيث يرفرف العلم الاسباني ويلقي من هناك نظرة  
عامة فاحصة على المدينة وأبراجها وأحيائها وأحوالها  
ليعلم كيف يرسم خططه ويتصرف ..

ومما كتبه الأركون عن هذا الاستطلاع الأول  
انهم في طريقهم اليه اجتازوا على مقابر المسلمين  
الأولين وظنوها في أول الامر بقايا منازل قديمة  
( نظرا الى الطريقة العتيقة التي كان الاندلسيون  
يبنون بها القبور حيث كانوا يجعلونها على هيئة حوش  
مغطى بقباب واقواس كما يدل عليه المبقى منها  
الى الآن ) .. ووصف الأركون بأنه لم ير أبهى منها  
وبأن اقواسها وزخارفها لا يوجد لها مثل في أوروبا  
وأنها كلها بالأجر والجير وباتقان وبياض باهر وثبتت  
فيها اشجار اللبلاب والخروب وازهار الياسمين  
والرياحين .. ولكن لا أسماء عليها ولا تواريخ ولا  
كتابة .. قائلا : ان الموت هنا بليغ وان كان أصم  
أبكم .. كالذي يوجد في تصورات الانسان ..  
وأضاف : أننا سعدنا من هذا المكان المقدس بدون  
مبالاة .. نقفز من قبر الى قبر بأقدامنا وأحذيتنا  
وتصطدم أسلحتنا برخام المقابر .. ولا شك ان  
الاجيال الماضية تضح في مراقدها الخالدة وتثن من  
وطأة أقدامنا وأسلحتنا .. أولئك النبلاء العرب الذين  
ولدوا بغرناطة وجاءوا ليموتوا في هذه الارض ..  
أولئك الذين لم يجل بخاطرهم انه سيأتي يوم تلحق  
فيه هذه المحنة أبناء النبي .. آه .. لو استيقظوا  
ورفعوا الرؤوس وراونا بالصليب على الصدور  
وبالسيوف على الحزام .. ثم أسترسل يقول : وبينما  
أفكر على هذه الصورة اذا بنظراتي تتسع سريعا من  
حمامات بيضاء وهي تطير فوق المدينة وتروعها جلبة  
وضوضاء جنودنا في الأتربة .. ولا تدري أين تنجيه ..  
وفي النهاية النجاة الى الملاذ الذي يلجأ اليه كل  
خائف .. احتمت بمسجد المدينة بصومعة الجامع  
الكبير ..

كل شيء قبل المسير اليها .. حيث عين على كل  
فرقة من جيوشه جنرالا من جنرالاته يدخل على  
رأس فرقته في الجهة المعينة له .. وسار هو بوصفه  
القائد العام على رأس طابور يتقدم موكبهم ومعه أركان  
حربه فاصداً الباب المعروف بباب المقابر حسب  
الخطّة التي كان قد رسمها وكانت محل اتفاق بينه  
وبين الوفد المتمثل لكان تطوان وعلى رأسهم أحمد  
ابيعير .. قال الكاتب : وأنا منذ البداية اتخذت قرارا  
أن لا أفارق الجنرال اودونيل في هذه الساعة  
المشهودة لا يمكن من مشاهدة سائر المراسم وأنجل  
جميع المشاهد والوقائع الكبرى التي تصحب هذا  
الحدث العظيم .

### الدخول :

كانت الساعة التاسعة صباحا يوم 6 فبراير  
1860 حين تحرك موكب القائد العام نحو باب المقابر  
منطلقا من معسكره العام الذي يقع أسفل المدينة على  
طريق مارتيل .. فانضم الأركون الفرصة فصار  
يصف ما يمر عليه في طريقه من معالم المدينة  
وضواحيها ومزارعها وبقيّة العمارة ومخلفات الحرب  
ومنازل مهتمة وسواقي وفناطر وخنادق .. وأشياء  
أخرى كثيرة جعلته يتذكر بروح شعرية حالة طفولته  
وكيف كان يلعب ويجري في مدينته الموريسكية  
وآد آش .. في بيئة أشبه بما رآه هنا خارج تطوان  
.. ولم يصرفه عن تأملاته وتخيلاته الا وصول موكب  
اودونيل الى باب المقابر .. وكان في حاسبه أن  
يجده مفتوحا وفيه من ينتظره .. ولما وجده مغلقا  
ولا من ينتظره أصدر أوامره بفتح الباب وأجابته  
الحراس من الداخل بأن ليست عندهم المفاتيح  
فأمرهم بكسر الأقفال .. فعملا كسرت الأقفال وفتح  
الباب .. فدخل القائد العام بمفرده على فرسه آمرا  
من معه ان لا يدخل معه منهم أحد خوفا من مكيدة  
تدبر لهم .. ولما اطمأن على سلامة المكان عاد اليهم  
واذن لهم في الدخول .. وفي نفس الوقت كان قواده  
الآخرون قد دخلوا المدينة من الابواب المعينة لهم ،  
ولم يلتقوا مقاومة تذكر .. وكانت فرقة تقدمت الى  
أعالي القصبة المطلّة على المدينة ورفعت العلم  
الاسباني على صاريها وحجته بطلقات مدفعية أهزت  
لها المدينة وزرعت الهلع في النفوس .. وعلى الأثر  
سارت الفرق العسكرية تحتل أحياء المدينة وأبراجها  
وساحاتها وأجواقها الموسيقية تصدح بأهازيجها

مع احتفاظه بخيمته الخاصة به في المعسكر المصام  
وفي نفس الوقت كان يتردد على بيوت كثيرة يطيب  
له أن يسهر فيها ويلهو مع أصحابها الضباط كـدار  
الفقيه الشري الذي أشار إلى بعض مفاخراته فيها  
( وسياي يانها ) .

### جـولات :

وهو في ذلك كله لا يترك فرصة تشاح له الا  
وانتهزها ليبحث وينقب ويتجول ويسجل كل ما سنج  
له ويصف كل ما عن له من الاشياء كبيرها وصغيرها  
جليها وحقيرها ولا سيما ما يمت منها بأي صلة الى  
الشؤون المغربية متخذاً معه دليلاً من ابناء المدينة  
يدله على خفاياها وبرشده الى خباياها ويعرفه بعادات  
اهلها واحوالهم الحاضرة والغابرة .. الا انه كان  
يمقت هذا الليل ويها به ويشتمه في وجهه واحيانا  
يطرده .. ومع ذلك ظل يلزمه ويبصم في طامته  
وخدمته كلما تعمد صاحبنا في اهائه واذلاله .. لان  
ذلك الدليل من الجنس الدليل الذي لا يحس بمهانة  
ولا يبالي بزرارية .. وهذه النوع تفتي من التصريح  
باسمه واسمه ..

### عزة النفس عند المغاربة :

وكان من استنتاجات الاركون من خلال جولاته  
واستطلاعاته ان المغاربة وبالأحرى سكان تطوان من  
عنصر كريم ومحتد اصيل وفي مظهرهم ومخبرهم  
تبدو امارات التيل وتبرز دلائل العزة والانفة لا  
يرضون بالضيم والصفار ولا يحثون الراس لاي كان  
مهما ترائت عليهم النكبات وتماقبت المصائب  
والهزائم .. فهم لا يعترفون لنا - يقول الاركون -  
بهزيمتهم أمامنا ولا بانتصاراتنا عليهم .. استنتج  
الاركون من المعارك التي شاهدها ومن موقف المغاربة  
التطوانيين وعدم اكتراثهم بالجيش الاسبانية وهي  
تحتل مدينتهم .. فقد آثروا ان يحلوا عنها ويتركوها  
يلقوا على ان يشاهدوهم في أزقتها ويبادلوهم التحية  
والمنايع .. وحتى الضعاف والعجزة منهم الذين  
لم يستطيعوا مقادرة البلدة فانهم لاؤوا ببيوتهم  
ولازموها ليلا ونهارا صابرين على الجوع والخصاصة  
كاثمين لآلمهم ومتجرعين همومهم الى ان يأتي الله  
بالفرج .. ومن اضطرته الظروف لمقادرة بيته الى  
الشارع فانه لا يلتفت اليها - يقول الكاتب - ولا

ومن هناك أيضا ذكر انه لمع على سطوح المدينة  
- وهي شبه خالية - اشخاصا لا يدري اهم رجال ام  
نساء لانهم جميعا يلبسون لباسا متشابهاً .. ( وهو  
يجعل ان الرجال لا يصعدون عادة الى سطوح المنازل  
في عرف المدينة اذ هي خاصة بالنساء ) .. كما ذكر  
انه من هناك ارسل نظرة الى الحدائق والجنات  
والسباكين العنبية والمحيط بالمدينة .. فرأى ان  
تطوان مثل زمردة خضراء او مثل فص ابيض في  
خاتم اخضر بين اصبعين ( جيلين ) ملتفين بكوة  
خضراء .. وان كل شيء رائع وياسم في هذه الربوع  
الا سكانها النساء .. الذين يهرمون منها ويهربون  
في افواج .. يا له من مشهد .. ! ذلك المشهد  
المؤلم الذي يبدو في من بعيد لاولئك الغارين العائدين  
من جديد الى بلادهم الاولى .. النساء يحملن  
اطفالهن والشباب يخذلون بيد المشايخ والجرحى  
والمعجزة محمولون على الدواب .. والنخيل التي كانت  
تقائل صارت تحمل الانتقال .. والنبلاء والانباء  
يسبرون راجلين مع الاشقياء والضعفاء .. يدركوني  
هذا بهجرة الموريكوس عندما طردوا من اسبانيا ..  
ان المغاربة يفضلون كل انواع الحرمان والبؤس  
والشقاء ولا يرضون بذل الاعتراف بهزائمهم .. هذا  
شيء بطولي وقديم في الشعوب الباسلة ..

### تنظيمات :

ثم تعرض الاركون لبعض الاعمال التنظيمية التي  
يادر القائد العام اودونيبيل بالقيام بها التي منها التحاقه  
بدار المخزن الكائنة في ساحة القندان ( السوق )  
وكيف نجا من انفجار مدبر وقع بها وكيف استعرض  
جيشه في الساحة وكيف رتب شؤون المدينة بان  
عين الجنرال ريوس حاكما عاما للمدينة وعين بجانبه  
حاكما مغربيا ( وهو الحاج احمد ابيير ) وكلفهما  
باحصاء المنازل العامرة منها والفارغة وانزال الضباط  
الكبار بها واختيار اللائق منها للمصالح والمرافق  
العامة .. الى غير ذلك من الاجراءات المدنية  
الضرورية .. مشيرا الى ان القائد العام اودونيبيل  
فضل ان يبقى مقيما بمعسكره العام خارج المدينة  
وكذلك بعض جنرالاته وان كان جعل تحت تصرفهم  
دورا لائنة بهم في المدينة .. واما الاركون نفسه فانه  
ذكر انه كان يقيم أولا في بيت الاسرائيلي ابراهام من  
اميان اليهود واثريائهم ثم انه انتقل الى دار آل  
اشعاش الكائنة بالقندان واستقر بها طول مقامه بتطوان

الشيخ هذا الالباء واكبرناه في نفوسنا .. واشترنا اليه  
بالتحبة بأيدينا وما تحرك ولا يالى بنا ..

و قد تكرر مثل هذا الموقف .. مما جعل  
الكاتب في مشاهد مماثلة يدون في مذكرته ان  
المغاربة عند ما تمر مواكبنا لا يعيروننا التفاتا ولا  
يرفعون اليها راسا ولو على سبيل الصدفة .. انهم  
يعتقدون ان النظر اليك والى مواكبنا معناه الاعتراف  
بنا ولو ضمنا .. يصدق عليهم مثلهم العربي : اذا  
كان الكلام من ففة فالسكوت من ذهب .. اني لم  
ار نبلا اقدر على تحمل المصائب مثلهم .. جالسون  
ولا يطلبون الخبز ، يتالمون ولا يكون ، يعوسون ولا  
يتساملون معنا ، قراراتهم لا يفصحون عنها ولو  
بالنبح بالوطنية ، يكتفون باقتناعهم بأنهم لن يكونوا  
عييدا لنا ابدا .. الحقيقة انني لا أدرك مستوى  
حضاري اكثر من هذا ، فاذا كانت الحضارة تعني  
تمجيد النفس الانسانية وجعلها تنصر على المادة  
وعلى الشهوات فانا اعتقد ان ثبات المغاربة وجمودهم  
وعزة النفس التي يحتفظون بها في الهزيمة - هذا  
الشموع المستمد من دينهم - لما يظهر لنا ويعطينا  
الليل على انهم عنصر قوي يمارس قدراته بحكمة  
سقراط .. وان لا سبيل الى غروهم وقهرهم ولو  
بالقوة ولا بالحضارة الكاثوليكية .. انهم يشبهون  
الانجليز في جل الصفات ..

### حضارة تطلوان :

هكذا كان الاركون في تجولاته يحارات تطلوان  
يسير الاغوار ويستشف ما خلف الاسوار وما وراءها  
من الاسرار .. ليس كالسائح الذي يقف عند المظاهر  
ويكتفي بالفسور بل انه يتعداها الى الكشف عن  
حقائق الامور والى رد الفروع الى اصولها والمعلومات الى  
علمها وحكمتها .. شان العالم المثقف والصحافي  
الماهر المستطلع ، لذلك كان يلج بالحالة التي وجد  
عليها المدينة ويبتهج بحالة اهلها المحافظين وتمسكهم  
بعاداتهم وحضارتهم العتيقة .. وآثارهم القديمة ..  
ومما كتبه في هذا السدد : انني وجدت تطلوان لا  
أحلى منها ولا أبهى ، فلما كانت كما يريد لها اصحابي  
الجنود من توفرها على مظاهر الحضارة الاوربية من  
اوئيلات ومقاهي ومسارح ومتاسف ونوادى  
وملاعب .. الخ لو كانت كذلك لرأيتها انا عديمة  
الجدوى لا تعدو ان تكون كحي من احياء المدن

يعبرنا ادنى اهتمام كانتا لنا بموجودين .. وقد  
قص الكاتب كثيرا من الشواهد والوقائع شاهدها  
بنفسه تدل على صدق ما يقول .. من ذلك انه لاحظ  
عند دخول الجيوش الاسبانية الى تطوان خلوا الطرقات  
والسطوح والنوافذ وسائر الممرات من التعصر  
المغربي .. لا وجود لهم اطلاقا ولا لفضوليين منهم  
.. ولا في ساحة الاستعراض التي يجلب اليها عادة  
غبار الناس فلم يشاهد الاستعراض الا بعض اليهود  
القربيين منها .. وقال الاركون انه كثيرا ما كان  
يتجول في الأزقة وهي خالية تماما فيقول له دليله :  
انهم مختبئون في بيوتهم .. قال : فنتسمع من  
أخصاص الابواب فنحن ان بداخلها حركة ودوي  
كدوى النحل .. وأن بها جرحى ومرضى يكتمونهم  
عن السلطات الامر الذي جعلني - يقول الاركون -  
اكن اعمق الاحترام لأولئك الذين يكتمون الامهم  
ويصبرون على بلواهم .. كما لاحظ ان بعض الصبيان  
يغفل اهلهم ليطل من الباب ولكن سرعان ما تمتد يده  
من الداخل فتجذبه وتصفق الباب .. كما لاحظ في  
احدى جولاته انه مر في زقاق ووجد فيه شيخوخا  
يجلس كل واحد منهم بباب بيته منعزلا عن جواره  
الآخر لا يلتفت اليه ولا يبادل الحديث مع قريبهم من  
البعض .. فائلا وذلك من فرط تحفظهم وابتمادهم  
عن الفضول خوفا من ان يصدر من احدهم شيء يتم  
عن اصرافهم بالوجود الاسباني في مدينتهم ..  
واضاف ان هؤلاء المغاربة الذين كانوا اغلقوا عليهم  
ابواب بيوتهم ولبثوا قابعين فيها ربما اضطرهم طول  
المكث الى الخروج ولو ليضع ثوان وعدة خطوات  
قصدا استنشاق الهواء النقي ..

كما قص علينا الكاتب قصة ذلك الشيخ الذي  
مر عليه موكب القائد العام اودونيبيل في طريقه الى  
وسط المدينة يوم دخوله تطلوان .. فرأى الاركون  
من ذلك الشيخ صورة من صور الالباء المزوج بالترفع  
وعدم الاكتراث .. كان شيخا طاعنا في السن ذا لحية  
طويلة بيضاء كالثلج وعمامة كثيفة وحائك من الصوف  
كان جالسا امام دكان صغير لا شك انه له وكان باب  
الدكان ورفوفه الخشبية ركاما على الارض .. ويداه  
على فخذه وعيناه مركزان على الارض كأنه غارق في  
بحر التأملات .. مر الموكب حوالبه في صخب  
ولجب دون أن يرفع راسه لينظر ما حوله ولا انه  
تملئ من مكانه لشقى على الافل سمالك الخيل  
ويتحاشى ان يصيبه مكروه .. قال : فاعظمتنا في



والصناعات والعوائد .. زيارة تطوان اليوم معناها  
رؤية قرطبة القرن الثالث عشر .

### دار الرئيــــــــــــسي :

وكان قصر الحاج محمد الرئيــــــــسي الشهير من  
أكبر البيوتات التي تعلق بها الأركون واستصدر  
أذاً خاصاً من الجنرال الحاكم يسمح له بزيارته ، إذ  
كانت عليه حراسة عسكرية خوفاً من امتداد يد  
التهب إليه بعد أن غادره صاحبه في جلة من غادروا  
تطوان والنجا إلى يستان له يقع عبر بعيد من تطوان  
في الأجنة المعروفة هناك بمدشر كبتان .. ووصفه  
الأركون بأنه غني جداً وأن أخاه ( يقصد الحاج أحمد  
الرئيــــــــسي ) أفنى منه .. يقولون عنه أنه يؤن الذهب  
بالقفاف وأنه عند ما فر من تطوان الباحة ( كذا )  
حمل أمواله على تسعة بقال وعلى ثلاثة جمال وثمانية  
عبيد .. وأن القصر نفسه يكشف عن هذا الثراء  
الفاحش ، وبما أنه قصر فاخر فإن صاحبه تركه كما  
هو لما شرع في بناء قصر آخر بجانبه يريد أنضم  
منه وأعظم .. فجاءت الحرب وتوقف البناء ..  
فالافواس قائمة والاشباب مجموعة وأكوام الموزيك  
بأحجامها وألوانها وتصاميم الرياض الواسعة .. كل  
هذا ينبيء عما سيكون عليه القصر لو تم .. وأما ما  
تعلق بالدار القديمة فإنها وحدها كافية لتعطينا فكرة  
عن حياة تلك الاستقراطي الذي كان يسكنها ..  
الشرف واسعة والسقوف عالية جداً وهي من الخشب  
الملون المصنوع يدوة متناهية .. والحيطان كلها  
مكسوة بالفيفساء الجميلة وكذلك الحنايا والافواس  
المكونة للممرات ، فهي تخطب الإبصار وتعجب  
برقتها وفخامتها ..

ثم تابع يقول : وأول شيء يرغب فيه المرء  
عندما يدخل إلى هذه الدار هو الجلوس والابتكاء عدة  
ساعات .. فبناك الهدوء والراحة وشيء آخر لا يجد  
له اسماً .. هناك ظل الأشجار وخير المياه وأزهار  
البرتقال التي تعطر الجو والطيور التي تغرد وتزفزع  
بين الأفواس والأشجار ..

واستمر يقول : لا أملك وأنا ما زلت في  
الصحف الأول من هذه الدار إلا أن أفكر في النساء ..  
ولم لا .. ! وهذه التحفة الفنية بنيت للحب ..  
والجو ما زال عبقاً بطيب الحريم .. فصرت أحسن

الأوربية ، إذن لا داعي للمجيء إليها .. فانا أنظر  
إليها بعين الفنان الذي لا ينظر إلى القشور والظواهر  
بل بغوص إلى أعماق الأشياء ، يستششف وراء  
المحسوس والملحوس .. أتى وجدت تطوان كما  
كنت أتمنى ، عربية صرفة لا مثل لها عندي في المدن  
الأوربية ، هي في نظري عش المقاربة الخالص وبقية  
مما تركه أجدادهم في البيازين بقرنطة الفيحاء ..  
وأضاف أن المغربي يعزف من الملهي ويميل إلى  
الانزعاج ويكره التظاهر بالأشياء الفدرة ، فلا يقيم  
وتنا لمظهر بيته الخارجي ولا للمقريات والمباهج  
الزائقة .. واستنتج من ذلك أن المقاربة يجهلون  
المدينة مقبولة من الخارج والبيوت مزينة في الداخل  
.. ثم استطرذ يقول : وهناك استثناء وهو ذلك  
الفندق الكائن بفسحة الوسعة المقام إزاء مقهى  
عمومي أحدثه الجزائريون اللاجئون إلى تطوان  
ويرتاده الشباب والشيوخ على السواء حيث يتناولون  
كؤوس الشاي والقهوة وينبدلون الأحاديث ..  
وذكر أنه كان يشاركهم في هذا المقهى وأنه معجب  
بطعم القهوة التي يفلونها على النار في غلايات خاصة.

ووصف المدينة بأنها كبيرة نوعاً ما ومزدحمة  
وأن سكانها يقدرون بـ 50 ألف نسمة وأن بها أسواقاً  
حسنة وساحات واسعة وقبائرية تحتوي على أكثر  
من 300 دكان إلا أنها مخربة الآن ومنهوبة وهناك  
سقايات عمومية وأفران وحمامات وفنادق للتجار  
واللدواب ...

### بيوت تطــــــــوان :

ووصف بيوت تطوان بأنها تذكر بيوت الأندلس  
القديمة من حيث التخطيط والمرافق .. وأن ترف  
البيت يتجلى في الأبواب والنوافذ الداخلية وفي  
السقف المخطط بتقش رائع على الخشب الملون ..  
وكذلك في الموزيك الذي يكسو الأرض والحيطان ..  
وفيما يخص الآثار ذكر أن أماله لم تعجب عند زيارته  
لبعض البيوت .. ( فالآثار الذي رأيته والزواصي  
والستائر والخزانات وأدوات الأكل وكل ما شاهدته  
ودرسته كان أصيلاً وقنياً رائعاً ، له مميزات شرقية  
جد بارزة مليء بالكتابات والصور الرمزية والمخطوط  
الهندسية .. ويتطابق تماماً الامتعة المورسكية  
الموجودة في إسبانيا .. كل شيء لم يتغير ، الفن

واتسمع الى ان سمعت من وراء سائر غناء امراء  
وبكاء طفل .. ولكن التعليقات تنقضي بان لا انتهك  
الحرم واقتحم الحجب .. والحارس وهو مغربي  
من واقف لي بالمرصاد .. ومن ورائه عسكري  
مساح واقف بالباب لا يأذن الا لمن بيده ورقة مميورة  
من الحاكم وعليها تعليمات صارمة .. الا انني بحيلة  
استطعت ان اغافل الحارس المغربي واتسلل الى  
غرفة ايقنة وفيها فتاة سوداء تهز بيديها مهذا يرقد  
فيه صبي .. فاملتها فاذا هي فائنة كأنها قطعة من  
الكهرمان الاسود .. انبسمت وأفترت عن ثغر نضيد  
من اللؤلؤ دون ان تبدي انزعاج أو نفورا .. وتاملت  
غرفتها فاذا كل ما بها آية من الآيات .. سرير ملوكي  
مغطى بأقمشة حمراء فاخرة وستائر من الحرير  
ومتكآت عديدة ومخدرات كثيرة وفي الوسط مبخرة  
ذهبية على صينية ومعها كؤوس بلورية وأبريق لماع  
.. الى غير ذلك من الاواني والتحف النادرة .. ولم  
يسعني الا ان انسحب من الغرفة قبل ان ينكشف  
أمري .. ثم اكتشفت ان هناك جناحا آخر فيه بقية  
نساء الرزني اللاتي لم يصحبهن معه .. وتابعت  
تطوافي على سائر الغرف والمرافق فاذا هي تحتوي  
على اثاث ثمين من مختلف الانواع .. وكذلك المخازن  
فانها ممتلئة بأصناف المأكولات والمشروبات .. ( وأطال  
القول في ذلك كله اذ تتبع كل ما احتوت عليه المدار من  
الثغائن والذخائر الدالة على ثراء الرزني الرجل  
الديبلوماسي الذي كان فيما سبق قنصلا معتمدا  
للمغرب في جيل طارق وكانت جل المصادرات والواردات  
تمر على يده ... )

### الجامع الكبير :

وكان الجامع الكبير من معالم المدينة التي  
حرص صاحبنا على زيارتها .. فبادر هو ورفيق له

الى زيارة الجامع قبل ان يمنع الحاكم زيارته على غير  
المسلمين كما هو المتبع عند المسلمين المغاربة من  
منع دخول غيرهم بيوت العبادة ( والمعروف ان  
أودونيل كان تعبد للوفد المثل لكان تطوان باحترام  
أمكنة العبادة ولكنه لم يوف بهذا التعهد .. ) قال  
الأركون وجدنا حارسا عسكريا على باب الجامع الكبير  
وهو باب مهيّب عليه نقوش وزخرفة باهتة .. دخلنا  
وطفنا جنبات المسجد فاذا هو خال الا من الحصر  
وبعض المذبح المهيبة للومظ أشبه ما يكون بالكنايس  
البروتستانية الخالية من التعاليل والتهابيل ..  
فجلسنا جانبا في الضلع الواسع أنا ورفيقي ..  
يرسم هو بريشته ما يراه وأكتب أنا بقلم ما يبدو لي  
من افكار حين لم اجد شيئا يستحق الوصف ..  
وقلت ها هي اقدامنا وأحذيتنا وطئت أرض هذا  
المسجد وسقعه يردد صدى وقع اقدامنا المتعللة  
بتعال التصاري الثقيلة الوطاة .. أين ذلك النبي ..  
لماذا لا يهدم على رؤوسنا هذا البيت الذي دنسناه  
باحذتنا وانتهكنا حرمة بامتحامه ..

وسجل في الاخير أن المؤذن حضر ونظر اليهما  
بانعان وقصد المزولة وقاس خلتها بعينيه وأشار  
اليهما بأن الساعة هي الثانية فصعد الى الصومعة  
واذن للصلاة : الله اكبر .. الله اكبر .. قال :  
فبادرنا بالخروج وتركنا المكان لقداسته والمومنين  
الذين أخذوا يتواردون لاداء الصلاة .. وكنا نلهم  
عليهم : سلام ، فيردون علينا بمثله ..

والبقية تأتي بحول الله .

الرباط : رضا الله إبراهيم الألفي

ألفه — عرب :

● صدر عن صندوق

أحياء التراث الاسلامي

المشرك بين المملكة

المقريية والامارات

العربية المتحدة الجزء

الخامس والاخير من

كتاب « ازهار الرياض

في أخبار عياض » لابي

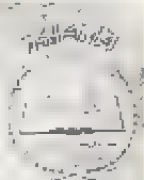
العباس المقرئ . وقد

حقق هذا الجزء الاستاذ

سيد احمد عياض الباحث سعيد اعراب

بمجمع كتابات شاذ من مختلف مدارس تونس والدكتور عبد السلام

الهراس .



ازهار الرياض في اخبار عياض

كتاب ليد احمد عياض في المغرب

الجزء الخامس

سيد احمد عياض الباحث سعيد اعراب

بمجمع كتابات شاذ من مختلف مدارس تونس والدكتور عبد السلام

وكاتب وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية قد

اعادت طبع الاجزاء الثلاثة الاولى من هذا الكتاب

بالاوقاف ، كما نشرت الجزء الرابع في السلسلة

العاشية بتحقيق الاستاذ محمد بن تاويت والاستاذ

سعيد اعراب .

والكتاب من امهات الكتب المقريية النفيسة ،

وهو ترجمة مفصلة لعلامة المغرب ، وفقه مدينة

سيرة السليبة القاضي عياض رحمه الله .

وبقع الجزء الخامس من هذا الكتاب في 354

صفحة من القطع المتوسط ، وقد اعتمد المحققان

مجموعة من النسخ الخطية اثنتان منها بالخزانة الملكية

بالرباط وثالثة بالخزانة العامة بالرباط .

ويشمل الكتاب على مجموعة فهرس للاعلام ،

والقبائل والشعوب والطوائف ، والبلدان والامكنة ،

والاشعار ، والكتب الواردة في المتن ، ومصادر

التحقيق ، وفهرس الموضوعات .

وقد استغرقت الفهارس 54 صفحة من الكتاب .

● تحت شعار الحديث الشريف ( من لم يهتم

بأمر المسلمين فليس منهم ) نظمت جمعية الثقافة

الاسلامية بتطوان مهرجاتها الثقافي الثالث عن

افغانستان المسلمة الذي استغرق ثلاثة ايام ( 16 -

17 - 18 ماي ) . وقد اهتم المهرجان بإبراز حقائق

اساسية عن جغرافية افغانستان وتاريخها وجهادها

ودور رجالها في خدمة الثقافة الاسلامية .

● نظمت كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط

ندوة عن الفكر العربي والثقافة اليونانية وذلك بمناسبة

مرور الف سنة على ميلاد الفيلسوف الاسلامي الكبير

الشيخ الرئيس ابن سينا وثلاثة وعشرين قرنا على

وفاة ارسطو . وقد استمرت الندوة اربعة ايام

( 7 - 8 - 9 - 10 ماي ) .

● حصل الاستاذ يوسف الكتاني المعامي على

درجة دكتوراة الدولة في العلوم الاسلامية من دار

الحديث الحسنية حول اطروحته « مدرسة الامام

البخاري في المغرب » . وقد ترأس لجنة المناقشة

الاستاذ العلامة الرحالي الفاروق وضمت الدكتور

الشيخ محمد الحبيب بلخوجة مفتي الديار التونسية

والدكتور رشيد فكاز . وقد استحق الباحث درجة

حس .

● بمناسبة مرور الف عام على مولد العلامة

الفيلسوف ، والطبيب العربي المسلم « ابن سينا »

ينظم امكتب انتقيا لجمعية المقريية للنظام من

الاسلامي ، مسابقة علمية بين الاساتذة والباحثين

المقريية لكتابة دراسة متكاملة عن حياة وآثار العالم

الكبير ابن سينا .

ويشترط للمشاركة في هذه المسابقة ما يأتي :

( 1 ) أن يكون المتايق من جنسية مقريية .

( 2 ) أن تكون له مشاركات علمية مشهود له بها

من قبل .

## ● شهريات الفكر والثقافة

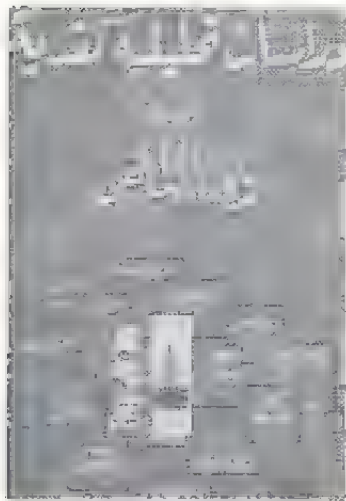
مؤتمر التعريب الرابع لدراساتها وإقرارها وتعميم استعمالها في جميع الاقطار العربية .

● توفيت مؤخرا بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة الفرنسية وآدابها في موضوع : « الدراسات اللغوية العربية المعاصرة : محاولة نقدية » تقدم بها السيد بوجمعة الاخضر . وكانت لجنة المناقشة تتكون من الاستاذ جان موليرو رئيسا ، والاستاذ احمد المتوكل مقررا والاستاذ ميشيل دولابر عضوا .

● صدر للدكتور محمد عابد الجابري كتاب جديد بعنوان « نحن والتراث : قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي » . وذلك عن دار الطليعة ببيروت ، ويتضمن الكتاب الموضوعات التالية : مشروع قراءة جديدة لفلسفة الفارابي السياسية والدينية ، ابن سينا ، المدرسة الفلسفية في المغرب والأندلس ، مشروع قراءة جديدة لفلسفة ابن رشد ، إبستمولوجيا المبعول واللامعقول في مقدمة ابن خلدون ، ما تبقى من الخلدونية ، مشروع قراءة نقدية لفكر ابن خلدون .

● اصدر الناقد نجيب العوفي كتابه الاول بعنوان « درجة الوعي في الكتابة » .

● « البدايات » مجموعة قصص قصيرة اصدرها الكاتب ادريس الخوري .



● «دراسات تحليلية» نقدية لرواية دفننا الماضي « أحدث كتاب صدر للاستاذ عبد الكريم غلاب يتضمن دراسات لعدد من كتاب المغرب والمشرق لروايتهم الشهيرة نشرت في صحف ومجلات مختلفة.

( 3 ) تتضمن الدراسة المقدمة لهذه المايقة تفضيلات علمية عن حياة ابن سينا ( اصله - نشأته - شيوخه - مؤلفاته - آثاره العلمية - فضل معارفه على الانسانية ) .

( 4 ) تكتب الدراسة باللغة العربية ويجب ان لا تقل صفحاتها على مائة ويستحسن طباعتها على الآلة الكاتبة .

( 5 ) آخر موعد لتقبل المشاركات هو نهاية شهر شوال 1400 - غشت 1980 .

( 6 ) ترسل المشاركات الى الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي ، صندوق البريد 351 الرباط .

— الجوائز —

الجائزة الاولى : طباعة الدراسة الفائزة بالجائزة الاولى على نفقة الجمعية .

الجائزة الثانية : تذكرة سفر ذهابا وايابا لاداء فريضة الحج .

الجائزة الثالثة : مجموعه كتب ومؤلفات اسلامية قيمة .

● انعقدت ابتداء من الثاني عشر من شهر ماي الماضي في مكتب تسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط ولمدة خمسة ايام ندوة توحيد مصطلحات التعليم المعيشي والتقني عكف خلالها خبراء عدد من الاقطار العربية على دراسة المصطلحات التي أعدها مكتب تسيق التعريب في التجارة والميكانيكا والصناعة المعمارية والتجارة والمحاسبة والكهرباء والطباعة .

وقد شارك في هذه الندوة باحثون من المملكة الاردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، والمملكة المغربية .

ونظرا لما لهذه المواد من اهمية في عالمنا اليوم والحاجة الماسة والملحة لها في التعليم فقد تقرر ان تعرض هذه المصطلحات على شكل معاجم متخصصة « ثلاثية اللغة » ( عربي - انجليزي - فرنسي ) على



— كتاب طبقات المشايخ لابي العباس أحمد بن سعيد الفرجيني مصدر للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي المغربي ...

وقد جاء في المقدمة التي كتبها المؤلف نفسه ان هذا الكتاب يقدم للقارئ العربي مجموعة من الدراسات المقريية تدور حول محور واحد هو التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي الوسيط كما انه يضع امام المهتمين بالتاريخ عامة وبالتاريخ الاسلامي المغربي خاصة بعض النتائج المتواضعة حول موضوعات تناولها اكثر الدراسات الحديثة من وجهة نظر كلاسيكية اثبتت الابحاث الجديدة بعدها عن الحقيقة التاريخية الموضوعية مثل قضية الاسباب الأساسية الكامنة وراء الصراع القاطفي .

وقد حاول المؤلف في دراسته هذه عن المغرب أن ينطلق من رؤية شعولية للتاريخ الاسلامي تعتمد اساسيا قراءة جديدة لمصادر التاريخ العربي الاسلامي .

ومن الملاحظ ان مؤلف هذا الكتاب الجديد نشر في تونس عام 1978 كتاب « المغرب الاسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية » عن الدار التونسية للنشر ، وكان له صدى في المشرق والمغرب العربي .

#### مصدر :

قام معهد المخطوطات العربية بالقاهرة بطبع ( فهرس المخطوطات العربية ) . ويتضمن وصفا تفصيليا لنحو اربع مائة مخطوطة تبدأ عناوينها من حرف ( الالف ) الى حرف ( الخاء ) كجزء أول من هذا العمل الضخم ، وهو خاص بالادب .

❶ تأسس في القاهرة ( المجلس الاسلامي الاعلى ) الذي يمثل الازهر والوقف والجمعيات الاسلامية والطرق الصوفية ووزارات الاعلام والشباب والتعليم والثقافة .

وقد اشتمل الكتاب على ثلاث عشرة دراسة باقلام : عبد الله كتون ، عبد المجيد بن جلون ، د. عبد الهادي التازي ، عبد الحيار الحيمي ، د. محمد برادة ، محمد العربي المساري ، جورج انطونيوس ، محمد فريد الرباحي ، أحمد اليابوري ، د. صالح جواد الطمعة ، عبد الرزاق البشير ، أحمد محمد عطية ، عبد الله بن محمد .

وقد اهتم النقاد بهذه الرواية اهتماما كبيرا لما تحمله من تحصيل لاهم فترة في تاريخ المغرب الحديث، ولما يمثلها أبطالها من تضال ايجابي في سبيل الحياة الافضل في ظل الاستقلال والحرية ، ولانها رواية تمثل انبعاثا لرواسب عديدة من فترة المخاض ، وهي فترة عاشها شعب المغرب بكل وعيه وفتحه على العالم الجديد .

#### تونس :

❷ ما زال الدكتور الحبيب الجنحاني المؤرخ والاساتذ في كلية الآداب في جامعة تونس يواصل محاولاته الرامية لإعادة كتابة التاريخ العربي الاسلامي ...

وقد اصدر عدة كتب في هذا المجال آخرها كتاب صدر له اخيرا عن دار الطليعة في بيروت تحت عنوان « دراسات مقريية » ...

وقد احتوى هذا الكتاب على اربعة اقسام اساسية هي :

- سياسة الخلافة الاموية تجاه المغرب ولا سيما في الميدان المحلي .
- حركات الخوارج في المغرب وفي منطقة الخليج خلال العصر الاسلامي الاول : الجوانب الاقتصادية والاجتماعية .
- السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب .
- الخلفية الاقتصادية للصراع الفاطمي - الاموي في المغرب ( القرن الرابع الهجري ) .

● **شهابيات الفكر والثقافة**

صحيحة لاعلاء كلمة الله وكيف أنه ما ترك قوم الجهاد الا ذلوا . كما يتناول الكتاب عرضا لآيات الجهاد في التوراة انكم .

❦ « ثقافة الفقر » صدر في الاسكندرية لديكتور محمد حسن الغامري استاذ العلوم السلوكية بالمعهد القومي لتنمية الادارة .

● صدر للكاتب فتحي رضوان كتاب بعنوان « الخليج العاشق » وهو سيرة ذاتية للمؤلف . ويريد الكاتب بالخليج أحد احياء مدينة القاهرة .

صدرت للكاتب الصحفي أحمد عادل رئيس تحرير جريدة «المساء» مجموعة قصص بعنوان : «رجل في فقاعة» .

٢٨ « حكم تداول المخدرات في التشريع الإسلامي »  
كتاب جديد لعادل رسلان . وقد حصل عنه المؤلف  
على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من  
معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة .

● « محمد نبي الاسلام » و « تربية الطفل »  
 كتابان جديداً للكاتب الاذاعي فاروق أبو العلا  
 حبيبي -

● « الاسطورة والفن الشعبي » كتاب جديد  
للدكتور عبد الحميد بونى ، يتحدث فيه عن الفلكلور  
والميثولوجيا والاسطورة والرمز القوي والملحمة  
الشعبية .

❶ صدر للشاعر الدكتور تاج الدين توفل ديوان جديد بعنوان « ثُلُوْ ومِرجان » ، الديوان مكتوب بخط يد المؤلف ، وجاء في الإهداء : « إلى أمي ، ثم أمي ثم أمي - ثم أمي » .

: لیست:

② صدر مؤخرا عن مؤسسة الرسالة في بيروت كتاب « رسائل خليل مردم بك » رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق سابقا . اعدده وقدم له فجله الشاعر عدنان مردم بك ، وضم نماذج من خطوط

● (الملحمة المحمدية) مسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صاغها شعرا في 2000 بيت الشاعر الكبير كامل أمين .

٥ « اعجاز النظام القرآني » كتاب جديد للسواء  
احمد عبد الوهاب صدر من مكتبة غريب .

② « الشيوعية والاديان » لمؤلفه الدكتور طارق حجي صدر عن مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية . وكان المؤلف قد صدر له كتابه بمدينة فاس بعنوان « العارضية في الميزان » منذ ثلاث سنوات .

❶ « حصاد الألوان » أحدث كتاب صدر للدكتور  
نعيم عطية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

❖ « صحيفة تحت الطبع » صدرت منه الطبعة الجديدة المؤلف سمير صبحي ويتحدث عن فن الإخراج الصحفي \*

٥٦ تأسست في القاهرة «جماعة أبو الو الجديدة» برئاسة الدكتور مختار وكيل . وكانت هذه الجماعة الشعرية قد أسسها الدكتور الشاعر أحمد زكي أبو شادي عام 1932 . وقد تخرج من هذه الجماعة عدد كبير من الشعراء العرب المعاصرين .

⑤ « التكنولوجيا والثقافة » ترجمة المهندس محمد عبد المجيد نصار . وهي من تأليف العالم والمؤرخ العلمي ( ملفين كزانبرج ، وليام هـ. دافنبورت استاذ الادب بكلغورنيا .

● « الثقافة والسياسة في الصين » كتاب جديد  
أسدرة محمد نعيان حلال .

« عدة المجاهدين » للكاتب الإسلامي عطية عيد  
الرحيم عطية . يتناول الكتاب في عرض سهل  
غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وجهاده مع

## ● شهريات الفكر والثقافة

دراسة الادب ، بين أزمة المثقفين العرب وأزمة المجتمع ، النقد النفسي وسوسيولوجيا الادب .

### الاردن :

● أصدرت مكتبة الجامعة الاردنية كتاب البيبلوغرافيا الاردنية . ويشتمل على قائمة بالكتب والرسائل الجامعية التي كتبت عن الاردن باللغة العربية واللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والتقارير الرسمية الحكومية والدوريات الاردنية . ويتضمن الكتاب الذي تربت محتوياته حسب الموضوعات معلومات عن 833 كتابا باللغة العربية و 100 دورية عربية وميكروفيلمين هربيين و 313 كتابا باللغات الاجنبية و 3 دوريات باللغة الانجليزية .

● صدر عن ( دار البريق للصحافة والنشر والتوزيع والدعاية والاعلان ) في عمان كتاب « نظرات في الواقع الثقافي الاردني » لمؤلفه الدكتور ابراهيم خليل المجلوني .

● أصدرت وزارة الاوقاف والمقدسات الاسلامية دليلا عن بلدة « مؤتة » . ويشتمل الدليل على مقدمة تاريخية عن الاردن في العصر الاسلامي ، ومعلومات عن بلدة ( مؤتة ) من حيث اهميتها وموقعها وتاريخها ، وبشكل خاص معركة ( مؤتة ) الشهيرة في التاريخ الاسلامي . ويحتوي الدليل على اسماء الشهداء الذين استشهدوا في المعركة ونبذة عن سيرة القادة الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة .

● صدر في عمان كتاب ( الشيمة : نشاتها وتطورها حتى أواسط القرن الثالث الهجري ) للدكتور محمد العقيلي .

### الهند :

● صدر في الهند كتاب جديد للأستاذ المرحوم محمد الحسيني رئيس التحرير السابق لمجلة البحث

الادباء العرب مثل : مي زيادة ، وأسلاف التشابهي ، وشكيب أرسلان ، وغيرهم .

### ● تعزيزت الصحافة

الاسلامية في لبنان يصدر مجلة اسلامية جديدة بعنوان : « الوحدة » . وهي فكرية مستقلة تصدر عن دار طريق الوحدة ، ويتولى رئاسة تحريرها عبد الحسن الامين .

ومن خلال موضوعات الاعداد الثلاثة الاولى التي وصلت الى المغرب مؤخرا يتضح الخط الفكري الاسلامي الذي تلتزم به المجلة .

### ونقرأ في العدد الثالث الدراسات التالية :

- العوامل الحاضرة لتعرق المسلمين .
- المعادلة الحضارية في الاسلام .
- الماركسية في ضوء الاقتصاد الاسلامي .
- نحو وعي مطابق لتطور البلدان الاسلامية .
- مناهج التفسير القرآني .
- موقف « ثويني » من الاسلام والمغرب .
- لقاء مع عجاج نويض مترجم كتاب « حاضرون العالم الاسلامي » .

● مركز الائمة القومي ببيروت أصدر مجلة « الفكر العربي المعاصر » . للعلوم الانسانية والحضارية . رئيس تحريرها مطاع صفدي . وكان المركز يصدر مجلة سابقة تحمل عنوان « الفكر العربي » . من موضوعات العدد الاول ( ماي 1980 ) ( السلفية والجدانة ) من خلال دراسة نقدية للكتاب تجديد الفكر العربي للدكتور زكي نجيب محمود . سوسيولوجيا الثقافة ، المنهج البنوي التكويني في

## ● شهر يات الفكر والثقافة

### سوري :

● صدرت في دمشق مجلة نقدية جديدة تحمل عنوان : « دراسات تاريخية » . وهي مجلة علمية فصلية تعنى بالدراسات حول تاريخ العرب ، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق .



- العدد الاول من هذه المجلة الصادر في مارس المسمم يتضمن الابحاث التالية :
- كتابة تاريخ العرب لماذا ؟
- انتشار الاسلام في الخليج في زمن الرسول الكريم .
- اصول تبين مواقف الدول الاوروبية حيال المسألة السورية ( اللبنانية ) .
- مظاهر من الحياة العسكرية العثمانية في بلاد الشام .
- الحركة العربية خلال الحرب العالمية الثانية وفي اقطابها .
- العرب في شرق افريقية ( جزر القمر ) .
- ملوك اوغاريت من خلال الوثائق .

### اسباني :

● تضمن العدد الثاني من مجلة « أوراف » التي يصدرها المعهد الاسباني العربي للثقافة بمadrid باللغة العربية موضوعات اسلامية واندلسية هامة ، منها موضوع قيم للدكتور احمد علي عن « الحركة الفكرية واتجاهاتها في صدر الاسلام » ، ودراسة تاريخية للدكتور احمد مختار العبادي عن « حركة الزط في العصر العباسي الاول » ، وبحث للدكتور معن خليل عمر عن التحليل السببي للظاهرة عند ابن رشد . ونشرت المجلة مختصر جيليوغرافية الادب الفلسطيني .

الاسلامي بعنوان : « تناقض تحار فيه العيون وتطابق يسر به المؤمنون » . مع مقدمة للعلامة الشيخ ابي الحسن علي الحلي الندوي .

- وضع حجر الاساس لمجمع الجامعة العربية في ( شاه اباد ) والتي ستكون امتدادا للجامعة العربية السلفية القديمة بمقاطعة ( اوتار ايراديش ) الهندية .
- احتفل بالعيد السنوي لدار العلوم ( الجامعة الاسلامية الكبرى ) في ديوبند على مسافة 125 كلم من نيودلهي .

### امريكي :

● صدر حديثا في نيويورك كتاب جديد بعنوان : « مستقبل الثقافة في ظل طبقة المثقفين الجدد » . يناقش المؤلف ( الفين - و - جولدنر ) مفهوم الثقافة في العالم المعاصر ، ويحلل نوعية المثقف الجديد ، ويقول انه لم يعد ينتمي لطبقة او ايديولوجية او مجتمع معين ، بل الى شكل ثقافي جديد هو نتاج الانتماء الهائل على وسائل الاعلام الحديثة . ويؤكد جولدنر في كتابه ضرورة تغيير النظرة التقليدية للثقافة وان تكف عن الهجوم على شكلها الجديد حيث ان الثقافة في خلال هذا القرن قد ازدهرت بصورة لم يسبق لها مثيل وأنه قد ظهر عدد من الفنانين والمفكرين اثروا التراث البشري .

● اصدرت جامعة انديانا الامريكية كتابا جديدا بعنوان : ( قراءات في علم اللغة العربية ) اشترك فيه نخبة من اساتذة اللغويات في الجامعة .

يتناول الكتاب قضايا اللغة العربية وتطور علم اللغة منذ بداية نشأته على يد الخليل بن احمد حتى يومنا هذا .



## فهرس العدد 3 السنة 21

صفحة	
1 -	الافتتاحية : اصالة في الفكر وعراقة في الحضارة - - - - -
6 -	الخطاب الملكي السامي يوم 13 ماي
9 -	الخطاب الملكي السامي في افتتاح اكاديمية المملكة المغربية - - - - -
12 -	كلمة السيد أمين السر الدائم للأكاديمية المملكة المغربية - - - - -
15 -	كلمة الأستاذ عبد الله كنون - - - - -
18 -	كلمة السيد المدير العام للمعظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - - - - -
22 -	الرسالة الملكية السامية الى ندوة الامام مالك
30 -	خطاب السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية في الجلسة الافتتاحية لندوة الامام مالك - - - - -
35 -	برقية ندوة الامام مالك الى جلالة الملك
37 -	بشيرة - - - - -
40 -	الامام مالك ونظريته في تأصيل عمل اهل المدينة - - - - -
48 -	ابن أبي زيد القيرواني ورسالته - - - - -
65 -	فتاوي النوازل في القضاء المالكي المغربي
74 -	الجالية الاندلسية في المغرب ( 1 ) - - - - -
82 -	الايدولوجية الاجتماعية عند ابن ريسون
93 -	سيدي عبد السلام ابن ريسون طبيبا
100 -	ملك قريش - - - - -
103 -	تاريخ الموحدين ومذهبهم من خلال ( رسائل موحديّة ) - 1 - - - - -
109 -	تطوان في كتاب (شاهد عن حرب افريقيا)
115 -	شعريات الفكر والثقافة - - - - -

ندوة الحق

محمد الطوي

الرحالي الفاروق

احمد سحنون

رضا الله ابراهيم اللفي

الحسن السائح

محمد العربي الشاوش

العربي بنونة

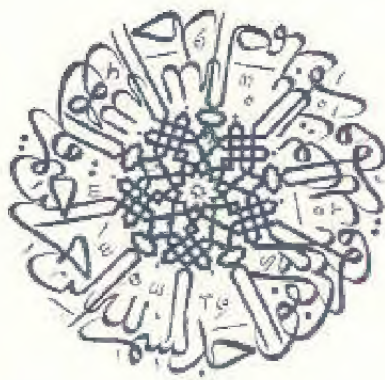
عبد الواحد اخريف

الحسن الشاهدي

رضا الله ابراهيم اللفي

ندوة الحق







الحمد لله

محکم دلائل سے مزین متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

المجلد الرابع  
الطبعة الأولى  
الطبعة الأولى

1991-1992



أوصاف الناصر في التواريخ والصلوات

الزراعة والقطاعات

المجلد ١٠ - ١٩٨٥

توضیح و تفسیر

فليس هذا الا كما به شرف العبد المذنب لظفر وشارف الاسارى بين ملكك والخرقة  
عازلة اعمال العبد المذنب

ایضاً

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم

REF - 1107



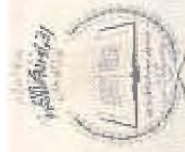
金

في ذكر المعاهد والديار

المطبخ التونسي  
للسان الدين بن الخطيب التسليفي  
١٩٧٩ - ١٩٨٠

تحریر: محمد رفیع

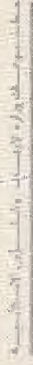
طبع في دار الكتب المصرية بمصر في سنة ١٣٢٤ هـ  
وكانت الطبعة الأولى من سنة ١٣٢٤ هـ



مراق السعد  
نشر البينود

الخزعة الطافية

الحمد لله الذي جعل في هذه الدنيا ما لا يحصى من النعمان، وما لا يدرى به إلا الله العليم الغني.



الموسم في المغرب

مجلسه التدوين والقبائل

—

مجلس الشورى  
البرلمان  
البرلمان  
البرلمان  
البرلمان

6000

0-10001